المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية

قسم علم الاجتماع السياسي والعلاقات الدولية

إشكالية انضمام تركيا إلى الإتحاد الأوروبي
دراسة العامل الديني

مذكرة لنيل شهادة الماستر في العلوم السياسية

تخصص: تحليل السياسة الخارجية

إعداد الطالبة:

أسماء بلاحجي

تحت إشراف:

الدكتور محمد بوالروايح

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذة الدكتورة: يميلي غبالو ..... رئيسا

الأستاذ الدكتور: محمد بوالروايح ..... مشرفا ومقررا

الأستاذ الدكتور: كمال بوشرف ..... عضوا مناقشا

جوان **2013**

إهـــــداء

إلـــى عـــائـــلـــتـــــي.....

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الخالص للأستاذ المشرف د. محمد بوالروايح على المتابعة والتوجيه وملاحظاته القيمة.
كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر والتقدير للأستاذ مصطفى شريف على نصائحه وتوجيهاته،
كما أشكر كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل.

الملخص:

تمتلك تركيا عناصر القوة اللازمة لتقوية دورها إقليميا ودوليا، والتي تتمثل في: الموقع الاستراتيجي والتركيبة السكانية الشابة والديناميكية، اقتصاد قوي يثبته حصولها على المرتبة السادسة عشر دوليا، وقدرات عسكرية كبيرة، ثاني أكبر جيش بعد الولايات المتحدة في حلف الناتو، بالإضافة إلى نظام سياسي ديمقراطي، وقد أثرت هذه العناصر كلها على توجهات السياسة الخارجية التركية. يعتبر الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي أحد أهم أهداف السياسة الخارجية التركية والذي تسعى منذ عقود طويلة إلى تحقيقه، وبالرغم من أن مفاوضات انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي قد بدأت منذ 2005 إلا أن حصولها على العضوية الكاملة لا يزال يبدو بعيد الأمل، إذ لم تشهد مفاوضات انضمامها إلى اليوم أي تقدم ملحوظ.

إن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي يفرض العديد من التحديات، منها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو ديموغرافي إضافة إلى بعض المشاكل السياسية الداخلية، ففي نظر العديد من الأوروبيين تركيا "كبيرة جدا، فقيرة جدا، ومختلفة جدا". لكن القيام بحساب التكلفة/الفائدة لعملية انضمام تركيا يبين أن إيجابياتها أكبر من سلبياتها، خاصة منذ مجيء حزب العدالة والتنمية إلى السلطة عام 2002، الذي اتبع عملية إصلاح شاملة من أجل تلبية معايير كوبنهاغن و تحقيق التوافق مع تشريعات وقوانين الاتحاد الأوروبي. من هنا، يبدو أن الانشغال الرئيسي للمعارضين لعضوية تركيا هو كونها "مختلفة جدا".

إن خصوصية وصعوبة طلب تركيا للعضوية في الاتحاد الأوروبي تنشأ عن الاختلاف الثقافي وخاصة الدّيني بينها وبين الدول الأوروبية، فتركيا في نظر المعارضين لانضمامها إلى الاتحاد الأوروبي ليست دولة أوروبية إذ لا تنتمي إلى نفس الموروث الحضاري والثقافي المسيحي الأوروبي، كما أن هوية تركيا المسلمة، في نظرهم، تشكل خطرا على هوية ومعايير المجتمع الأوروبي.

واقع زادت من حدته أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تبعها من تفجيرات في عدة مدن أوروبية، على غرار لندن و مدريد، و ما أتبع ذلك من انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام في أوروبا، حيث أصبح ينظر إلى هذا الأخير من جديد على أنه يشكل خطرا على أوروبا والحضارة الغربية، وهذا ما يجعل من قبول دولة مسلمة كبيرة مثل تركيا في الاتحاد الأوروبي أمرا صعبا جدا.

Résumé

La Turquie jouit des plus importants éléments de puissance, lui permettant de renforcer son rôle régional et international. Ces éléments sont: un emplacement stratégique, une composante démographique constituée d'une jeunesse dynamique, une économie forte la plaçant au 16ème rang au niveau international, une capacité militaire importante, la plaçant après l'armée américaine dans l'effectif de l'OTAN, s'ajoute à cela l'instauration d'un système politique démocratique. Tous ces éléments réunis ont été déterminant pour définir les orientations de la politique étrangère turque.

L'adhésion à l'Union européenne constitue l'un des principaux plans la politique étrangère turque, visés depuis des décennies. Et malgré le fait que les négociations portant sur son intégration au sein de l'Union européenne ont été entamées depuis 2005, son adhésion reste encore un lointain espoir. En effet, les négociations en question n'ont pas enregistré de progrès significatif.

D'ailleurs, L'adhésion turque à l'Union européenne pose de nombreux défis, économiques, démographiques et liés aux obstacles de politique intérieure. Aux yeux d'un grand nombre d'Européens la Turquie est un pays "très grand, très pauvre et très différent." Pour calculer le rapport coût / bénéfice résultant de cette adhésion, il ressort que les aspects positifs l'emportent sur les négatifs, surtout depuis l'accession du Parti de la Justice et du Développement au pouvoir en 2002, lequel a initié de grandes réformes, afin de répondre aux critères de Copenhague et d'assurer la conformité avec la législation et les lois de l'Union européenne. De là, il semble que la principale préoccupation des opposants à l'adhésion de la Turquie est le fait qu'elle est «très différent».

La particularité et difficulté d'intégrer la Turquie à l'Union européenne découle de sa différence culturelle, et essentiellement religieuse des pays européens. La Turquie n'est pas considérée par les antagonistes comme pays européen, car n'ayant pas la même appartenance civilisationnelle et culturelle que les chrétiens européens, de surcroît son identité musulmane peut se révéler comme menace pour l'identité et les normes régissant la communauté européenne.

Cette réalité a été accentuée par les événements du 11 Septembre 2001 et les attentats ultérieurs perpétrés dans plusieurs villes européennes, à l'image de Londres et de Madrid, favorisant la propagation du phénomène de l'islamophobie en Europe, considéré comme une menace pour l'Europe et la civilisation occidentale, et rendant difficile l'acceptation d'un grand pays musulman comme la Turquie au sein de l'ensemble européen

Abstract

Turkey has the necessary elements of power to strengthen its regional and international role, with its strategic location, young and dynamic population, strong economy -the sixteenth place in the world, and a large military capabilities -the second largest army after the United States in NATO, in addition to its democratic political system. All of these elements have affected Turkey's foreign policy orientations. Accession to the EU has been, for decades, One of the main goals of Turkish foreign policy. Despite the fact that Turkey's accession negotiations with the European Union had started since 2005, it seems that Turkey's full membership is still far-reaching. Today, negotiations over Turkey's accession are only symbolically moving, with several chapters of the *acquis* effectively blocked.

Turkey's accession to the EU poses many challenges, some of which are of an economic or a demographic nature, in addition to some domestic political problems. Turkey is perceived by many Europeans as being "too big, too poor, and too different". However, upon a calculation based on costs/benefit of Turkey's accession process, it turns out that its positive implications exceed the negative ones. Especially since the AKP came to power in 2002, Turkey has undergone sweeping reforms is well underway towards meeting the Copenhagen criteria and to achieve compatibility with the legislation and laws of the European Union (the EU *acquis communautaire*). Thus, the main concern from the opponents of Turkish membership is that it is "too different".

The particularity and difficulty of Turkey's application for EU membership arise from cultural, and particularly religious, differences between Turkey and the European countries. Turkey is perceived by the opponents of its membership in the EU as a non-European country, because it doesn't share the European cultural and Christian heritage. Also, Turkey's Islamic identity poses, for many Europeans, a threat to the identity and standards of the European society.

A fact that has been accentuated by the events 9/11, and subsequent attacks in several European cities, such as: London and Madrid, fostering the spread of Islamophobia in Europe. Islam was perceived again as a threat to Europe and Western civilization, and that what makes the inclusion of a large Muslim country, like Turkey, such a difficult thing.

خطة الدراسة:

مقدمة

الفصل الأول: مقومات الدولة والمجتمع في تركيا

المبحث الأول: المقومات الجيوسياسية والجيواستراتيجية

المبحث الثاني: النظام السياسي في تركيا وعلاقة الدين بالدولة

الفصل الثاني: تركيا ضمن سياسة توسيع الاتحاد الأوروبي

المبحث الأول: الاتحاد الأوروبي وسياسة التوسيع

المبحث الثاني: موقع تركيا من سياسة التوسيع

المبحث الثالث: المواقف الأوروبية من انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي

الفصل الثالث: أثر الهوية الأوروبية على العلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي

المبحث الأول: الهوية الأوروبية

المبحث الثاني: التصور الأوروبي لعضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي من منظور الهوية الأوروبية

المبحث الثالث: الإسلام والهوية الأوروبية: من منظور "صدام الحضارات"

خاتمة

المقدمة

لقد استطاعت الدّول الأوروبية أن تحقق نجاحا كبيرا في عملية التكامل، فبعد أن انطلقت عملية الاندماج الأوروبي من "المجموعة الأوربية للفحم والصلب" أصبحت اليوم تكتلا إقليميا يضم 27 دولة أوروبية تحت تسمية "الاتحاد الأوربي". والحقيقة أن تجربة التكامل الأوربية استطاعت أن تفرض نفسها على السّاحة الدولية، وتحتل موقعا متميزا نظرا للتقدم والنجاح الذي حققته في شتى المجالات، وهذا ما أدى إلى بروز الاتحاد الأوربي كقوة اقتصادية تجارية بصفة خاصة، وفاعلا سياسيا في منظومة العلاقات الدولية خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة وزوال الثنائية القطبية.

لطالما اعتبر الاتحاد الأوروبي سياسة التوسيع وسيلة لنشر السلام والازدهار والاستقرار داخل القارة الأوروبية، وهذا فعلا كان الهدف الأول من تأسيس المجموعة الأوروبية للفحم والصلب بعد الحروب الطويلة التي عاشتها الدول الأوروبية. تنص المعاهدات المؤسسة للاتحاد الأوروبي على أن أي دولة أوروبية يمكنها التقدم لطلب الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي والتي تقبل بتطبيق القانون الأوروبي بأكمله، لكن يجب أن تتوفر في هذه الدولة مجموعة من الشروط السياسية والاقتصادية غير القابلة للتفاوض وهي ما يعرف بـ"معايير كوبنهاغن". في هذا الإطار، تسجل تركيا من بين الدّول الأوائل التي تقدمت بطلب العضوية في المجموعة الأوروبية.

إن تركيا تتمتع بموقع استراتيجي وجيوبوليتيكي مهم و ذلك لانتمائها الثنائي، فهي دولة آسيوية من حيث الموقع الجغرافي والفلكي، وهي في نفس الوقت دولة أوربية ليس فقط لوجود جزء منها في أوربا، وإنما أيضا لحجم المصالح الحيوية المشتركة بينهما. بدأت مسيرة تركيا نحو الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي منذ السنوات الأولى لتشكيل المجموعة الأوروبية، حيث تقدمت تركيا رسميا بطلب الانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة منذ 1959 ولكنها لم تحصل على صفة الدولة المرشحة إلى غاية 1999 خلال قمة هلسنكي، لتتخذ بعد ذلك قمة بروكسل قرارا تاريخيا بفتح المفاوضات الرّسمية لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي في 3 أكتوبر 2005.

لقد كان للعضوية في الاتحاد الأوروبي والمشروطة بتحقيق "معايير كوبنهاغن" دور كبير في دفع تركيا نحو القيام بإصلاحات اقتصادية وسياسية كبيرة، خاصة بعد وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم. نتيجة لهذه الإصلاحات حققت تركيا تقدما ملحوظا ما جعل المفوضية الأوروبية تقر بهذا التقدم، ليتخذ بعد ذلك مجلس أوروبا في ديسمبر 2004 قراره بفتح مفاوضات انضمام تركيا في 3 أكتوبر 2005. مع ذلك، فإن بدء مفاوضات الانضمام لم يعن عضوية تركيا

بل كان مجرد بداية لمسار طويل، ولا ينتهي بالضرورة بمنح تركيا العضوية الكاملة. فإلى اليوم، وبالرغم من مرور ما يقارب العشر سنوات من انطلاق مفاوضات الانضمام إلا أنه لا يظهر أي تقدم ملحوظ، بحيث لم يتم إغلاق إلا فصل واحد من بين 35 فصل بشكل مؤقت في حين تم تجميد عدد من الفصول الأخرى.

بالرغم من الأهمية الاستراتيجية والجيواستراتيجية لتركيا وما يمكن أن ينتج عن انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي من مكاسب لكلا الطرفين، إلا أن مسار تركيا نحو العضوية الكاملة في الاتحاد الأوروبي كان ولا يزال عملية شاقة ومعقدة تتخللها مجموعة من العوائق وتقابل برفض الدول والشعوب الأوروبية على حد سواء. فقد أثيرت العديد من القضايا العالقة في وجه تركيا والتي كان لها تأثير سلبي على عملية المفاوضات، مثل: عجز تركيا في تنفيذ بعض الإصلاحات خاصة فيما يتعلق بحقوق الإنسان، المشكلة القبرصية، قضية الأرمن التي تثيرها فرنسا بحيث ذهبت هذه الأخيرة إلى حد سن تشريع يجعل إنكار "مذابح الأرمن" في تركيا "جريمة يعاقب عليها القانون، وغيرها من العوائق.

حقيقة، إن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوربي يطرح إشكاليات ذات طابع خاص، منها ما يتعلق بالموقع الجغرافي، ومنها ما يتعلق بالوزن الديمغرافي، ومنها ما هو اقتصادي، ففي نظر العديد من الأوروبيين تركيا "كبيرة جدا، فقيرة جدا، ومختلفة جدا"، لكن يبدو أن لهذا العامل الأخير، أي الاختلاف الثقافي وعلى وجه الخصوص الاختلاف الديني، دورا في التأثير على المواقف الأوروبية من مسألة انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي. فبالرغم من أن تركيا دولة علمانية، إلا أن بعض الدول الأوربية تشدد على أن تركيا لا تنتمي إلى الموروث الثقافي والتاريخي، والأهم من ذلك الديني الذي تنتمي إليه الدول الأوروبية، إذ ترى أحزاب المسيحية الديمقراطية المعارضة أن هوية تركيا الإسلامية لا يمكن أن تتوافق مع الهوية الأوربية. كما أن أحداث 11 سبتمبر والهجمات الأخرى التي تلتها في العديد من المدن الأوروبية، مثل:تفجيرات مدريد ولندن، قد ساهمت في انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام، أو ما أصبح يطلق عليه بـ"الإسلاموفوبيا"، في أوروبا، وفي الغرب عامة، وفي المقابل زاد من النقاش حول إمكانية قبول دولة مسلمة كبيرة مثل تركيا في الاتحاد الأوروبي.

أسباب اختيار الموضوع:

تعتبر مسألة انضمام تركيا إحدى القضايا الدولية المثيرة للجدل، فبالرغم من أن تركيا حققت تقدما كبيرا في السنوات الأخيرة إلا أن مفاوضات انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي لم تشهد أي تقدم يذكر منذ بدءها عام 2005. ومن هنا تبرز أسباب اختيار الموضوع، من حيث محاولة تقديم دراسة أكاديمية تتجاوز المبررات الهيكلية إلى مبرر، رغم أنه لا يظهر على المستوى الرسمي إلا أنه يبدو مؤثرا على مواقف كل من الحكومات والشعوب الأوروبية اتجاه قضية انضمام تركيا (أول دولة مسلمة تتقدم لطلب العضوية).

أهمية الموضوع وأهدافه:

تتمثل أهمية هذه الدراسة في إلقاء الضوء على دور العوامل غير المادية، الحضارية والثقافية وبصفة أخص الدينية، في توجيه سياسات الدول. بحيث تصبح المقاربات العقلانية، التي تفترض أن قرارات الدول توجهها المصلحة القومية وحسابات التكلفة/ الفائدة المادية، في بعض الأحيان عاجزة عن تفسير بعض الظواهر الدولية. في هذا الإطار، تظهر أهمية دراسة العامل الديني ودوره في التأثير على مواقف الدول الأوروبية من انضمام تركيا، باعتبارها أول دولة مسلمة تتقدم لطلب العضوية، إلى الاتحاد الأوروبي. لذلك، تهدف هذه الدراسة إلى تتبع تطور العلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي، ومحاولات تركيا المتكررة للانضمام إلى الاتحاد وتبيين موقع تركيا الحالي من سياسة التوسيع في الاتحاد الأوروبي. كما تهدف هذه الدراسة إلى التركيز على التحدي الحضاري والديني الذي تفرضه تركيا المسلمة على الاتحاد الأوروبي من منظور الهوية الأوروبية،خاصة في ظل تزايد التخوف الأوروبي والغربي بصفة عامة من الإسلام، وما هي علاقة هذا العامل بموقف بعض الدولة الأوروبية الرافضة لمنح عضوية كاملة لتركيا في الاتحاد الأوروبي.

إشكالية البحث:

صحيح أن قضية انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي تفرض العديد من التحديات، إلا أن النقاشات المتزايدة حول صعوبة وخصوصية طلب تركيا للعضوية بدأت تطرح العديد من الأسئلة حول هوية الاتحاد الأوروبي والتحدي الحضاري الذي تفرضه عضوية دولة مسلمة كبيرة مثل تركيا. ومن هنا جاءت إشكالية الدراسة على الشكل التالي:

كيف تؤثر الهوية الدينية لتركيا على مسار انضمامها إلى الإتحاد الأوروبي؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات أهمها:

- ما هي الخصائص الموضوعية التي تتميز بها تركيا؟ وهل تؤهلها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي؟
- ما هي المعايير التي يعتمد عليها الاتحاد الأوروبي لقبول عضوية دولة ما؟
- ما هي مكانة الدين في سياسات وفي دول الإتحاد الأوروبي؟
- ما هي انعكاسات عضوية تركيا على الاتحاد الأوروبي؟
- على ما ذا تقوم الهوية الأوروبية؟ وكيف تؤثر الهوية الأوروبية على العلاقات الأوروبية- التركية؟
- هل يمكن للاختلاف الحضاري والديني بين تركيا والاتحاد الأوروبي أن يشكل عائقا أمام مطلب تركيا بالعضوية الكاملة؟

الفرضيات:

1. بالإضافة إلى المعايير السياسية والاقتصادية التي تقوم عليها العضوية في الاتحاد الأوروبي، هناك معيار آخر "غير معلن" لكنه يؤثر على مواقف الدول الأوروبية من عضوية تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، وهو: الإرث التاريخي والثقافي الأوروبي الذي تشترك فيه الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي.
2. إن الاختلاف الديني بين تركيا ودول الاتحاد الأوروبي يلعب دورا مهما في تفسير المواقف الأوروبية المعارضة لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي.
3. إن دول الاتحاد الأوروبي ترى في تركيا المسلمة خطرا وتهديدا للقيم والهوية الأوروبية.

الدراسات السابقة:

لا بد من الإشارة إلى أن هناك عدد من الكتب والدراسات المعتبرة فيما يتعلق بتركيا أو الاتحاد الأوروبي، لكن الدراسات المتوفرة التي تناولت أثر العامل الديني على مسار انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي كانت قليلة نوعا ما، خاصة باللغة العربية. لذلك، فإن هذه الدراسة اعتمدت على مجموعة من الدراسات السابقة، نذكر منها:

كتاب "تركيا البحث عن المستقبل" **لياسر أحمد حسن**، يصور هذا الكتاب الحياة السياسية والاجتماعية في تركيا منذ عهد الإمبراطورية العثمانية إلى تأسيس الجمهورية التركية ورسم ملامح التغيير التي شهدتها وما زالت تشهدها البلاد وتأثرها بالتغيرات والتحولات التي اجتاحت العالم في العقود الأخيرة. كما يركز على تطور دور الإسلام في الحياة السياسية والاجتماعية في تركيا، وفيما يتعلق بموضوع انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي فقد خصص له الكاتب الفصل الخامس والذي كان بعنوان: "تركيا وأوروبا... أسئلة حول الهوية، والديمقراطية.... والمصير"، رصد فيه مسار تركيا نحو الاتحاد الأوروبي والجهود التي بذلتها تركيا، بدءا بسياسة التغريب التي اتخذها **أتاتورك** و نخب الدولة وصولا إلى عملية الإصلاح التي شهدتها في السنوات الأخيرة لتوفيق أوضاعها حسب معايير كوبنهاغن، في سبيل تحقيق هذا الهدف.

مقال لأحمد مجدي السكري بعنوان: "العلاقات التركية-الأوروبية بين إشكالية مفاوضات الانضمام وآفاق المستقبل" المنشور في المجلة العربية للعلوم السياسية. تناولت هذه المقالة التطور التاريخي للعلاقات التركية-الأوروبية، تحليل المفاوضات التركية-الأوروبية وأهداف تركيا من مفاوضات الانضمام وفي المقابل أهداف الاتحاد الأوروبي من هذه المفاوضات أيضا. ثم يذكر مجموعة من العوامل المؤثرة على عملية التفاوض، فيذكر: العامل الاقتصادي، قضايا حقوق الإنسان وحقوق الأقليات العرقية والدينية بالإضافة إلى تأثير المتغيرات الدولية والإقليمية، كما يذكر أيضا العامل الثقافي، أو العامل الديني، لكنه يرى بأن هذا العامل ليس له أي دور في مسار المفاوضات فهناك متغيرات أكثر أهمية من العامل الديني، مثل: المتغير الاقتصادي، والمتغير الديمغرافي بالإضافة إلى بعض العوامل السياسية الداخلية.

مقال لـ **باش ميلتيم موفتولر** Baç Meltem Müftüler و **تشكين إيفرين** Taşkin Evrim**بعنوان**: «Turkey's Accession to the European Union: Does Culture and Identity Play a Role?», التي نشرتها مجلة أنقرة للدراسات الأوروبية. ترى هذه المقالة بأن عملية توسيع الاتحاد الأوروبي تحدد الحدود لما هو أوروبي وما ليس أوروبيا ودور الهوية والثقافة في تحديد هذه الحدود، وأن انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي يمثل أهم مثال لتوضيح ذلك، وهذا يعني أن مفاوضات دولة مرشحة للعضوية في الاتحاد الأوروبي تتحدد بتصور مدى توافق هذه الدولة مع الهوية الأوروبية.

مقال **لأوينر سلسن** Öner Selcen بعنوان: «Turkey's Membership to the EU in Terms of "Clash of Cilizations"»، يؤكد هذا المقال على أن تزايد ظاهرة "الإسلاموفوبيا" في أوروبا أدت إلى فتح النقاشات حول عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي على أساس فكرة "صدام الحضارات" وعدم توافق الإسلام مع الهوية الأوروبية. كما يشير في المقابل إلى المؤيدين لانضمام تركيا كفكرة مضادة لـ"صدام الحضارات".

بالإضافة إلى مذكرة ماستر مقدمة عام 2008، بالمدرسة العليا للعلوم الاجتماعية، جامعة إزمير، من طرف **Şahika Susuzlu** بعنوان: "توسيع الاتحاد الأوروبي وتركيا: مقاربة ثقافية". **"The European Union Enlargement and Turkey: A Cultural Approach"** تركز هذه الدراسة على تحليل القيم الثقافية المشتركة التي تؤدي إلى تماسك الإتحاد الأوروبي، وأثر الهوية الأوروبية على العلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي.

يمكن القول أن كل دراسة عالجت إشكالية انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي من زاوية مختلفة أو وفقا لمقاربة مختلفة، وفي هذا الإطار حاولت هذه المذكرة الإلمام بمختلف هذه الجوانب مع التركيز على العامل الديني وأهميته بالنسبة لكل من تركيا والاتحاد الأوروبي ودوره في التأثير على العلاقات بينهما.

منهجية الدراسة:

ستعتمد هذه الدراسة بغرض الوصف والتحليل منهجا مركبا نظرا لطبيعة الموضوع، التي تستدعي بالضرورة استعمال **المقترب التاريخي** من خلال إلقاء الضوء على أهمية العوامل التاريخية في التأثير على العلاقات الأوروبية- التركية في الوقت الحالي، بالإضافة إلى تتبع أهم المراحل والمحطات التاريخية في تطور علاقات تركيا بالاتحاد الأوروبي. و **المنهج المقارن** الذي يظهر من خلال مقارنة حالة انضمام تركيا بباقي حالات التوسيع التي شهدها الاتحاد الأوروبي، دول أوروبا الوسطى والشرقية على وجه الخصوص، ومقارنة المواقف الأوروبية حول عضوية تركيا التي تختلف بين مؤيد ومعارض لفهم أسباب هذا الاختلاف.

الإطار النظري للدراسة:

إن دراسة دور العامل الديني في التأثير على انضمام تركيا في الاتحاد الأوروبي يقتضي تجاوز المقاربات العقلانية التي تعتمد على التفسير المادي للعلاقات بين الدول إلى المقاربات التي تركز أكثر على دور العوامل غير المادية في رسم السياسة الدولية. من هنا، تعتمد هذه الدراسة على **المقاربة البنائية** في العلاقات الدولية، التي تؤكد على أن البنى المعيارية أو الفكرية هي بنفس أهمية البنى المادية في تفسير الظواهر الدولية وأن للهوية دور في تحديد مصلحة الدولة، فهي تجعل من الهوية مكونا أساسيا للعلاقات الدولية. وفقا للبنائيين، أن لمنظومة الأفكار المشتركة والمعتقدات والقيم تأثيرا قويا على الفعل الاجتماعي والفعل السياسي، وبالتالي فإن المواقف الأوروبية من عضوية تركيا إلى الاتحاد الأوروبي يمكن فهمها بشكل أفضل في إطار الهوية الأوروبية المشتركة.

المقاربة النظرية الأخرى، هي مقاربة "صدام الحضارات" **لصامويل هنتنغتون** والتي تؤكد على أنه لا يمكن للحضارات المختلفة أن تتوافق مع بعضها البعض، وبالتالي فإن السبب الرئيسي للصراعات الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة لن يكون سببه اقتصاديا ولا إيديولوجيا ولكن حضاريا، تختلف هذه الحضارات في: التاريخ ، اللغة، الثقافة، والتقاليد، والأهم من ذلك، الدين. كما يؤكد في نظريته على أن الإسلام يمثل أكبر عدو يهدد الحضارة الغربية، وبالتالي فإن مسألة انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي إما تؤكد هذا الطرح أو تنفيه انطلاقا من أن تركيا دولة إسلامية ولا تنتمي إلى الحضارة الأوروبية.

خطوات الدراسة: انقسمت هذه الدراسة إلى ثلاث فصول كالآتي:

يحاول الفصل الأول إعطاء نظرة عامة عن مجموعة المقومات الموضوعية التي تمتلكها تركيا، من موقع جغرافي وتركيبة بشرية وقدرات اقتصادية وعسكرية، ثم ينتقل هذا الفصل لدراسة النظام السياسي التركي من خلال التركيز على مبدأ العلمانية والدور الذي يلعبه الدين بالنسبة للحياة السياسية والحياة العامة. يعتبر هذا الفصل بمثابة تقييم عام للمؤهلات التي تملكها تركيا باعتبارها دولة مرشحة لعضوية الاتحاد الأوروبي.

تم تخصيص الفصل الثاني للحديث عن الاتحاد الأوروبي بدءا من تطوره التاريخي إلى سياسته التوسعية والمعايير التي يعتمد عليها في ذلك وصولا إلى القيم التي يتبناها الاتحاد. ثم ينتقل هذا

الفصل للحديث عن موقع تركيا من سياسة توسيع الاتحاد الأوروبي والانعكاسات المحتملة لعضوية تركيا على الاتحاد الأوروبي من خلال حسابات "التكلفة/ الفائدة" المادية على أساس المقاربة العقلانية، لينتهي الفصل بإعطاء نظرة عن أهم المواقف الأوروبية، الدول والحكومات والرأي العام، حول عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي.

أما الفصل الثالث، فقد تم تخصيصه لقراءة مسألة تركيا إلى الاتحاد الأوروبي من منظور الهوية الأوروبية، وذلك بالإشارة إلى أهم مكونات الهوية الأوروبية ودور الآخر في تشكيلها، ثم تأثيرها على العلاقات الأوروبية- التركية مع التركيز على أهمية العامل الديني، لينتهي الفصل بإسقاط نظرية "صدام الحضارات" على مسألة انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي.

الفصل الأول

مقومات الدولة والمجتمع في تركيا

إن مقومات أي دولة هي عبارة عن مجموعة الخصائص العامة (الطبيعية، الاقتصادية، السياسية ، العسكرية، المجتمعية) التي تميز هذه الدولة، وفي هذا الإطار يشير **أحمد داود أوغلو** في كتابه: "العمق الاستراتيجي" بأنه: "تشكل الخصائص الجيوسياسية والجيواقتصادية والجيوثقافية وحدة تكاملية مع استيعاب العامل الزمني والتاريخي للمجتمعات. ويعتبر كل من المرجعية الحضارية لأي مجتمع، وهويته الثقافية، والأنماط التي أفرزتها المسيرة التاريخية على التنظيمات المجتمعية وخارجها، معطيات ثابتة في معادلة القوة لأي بلد"، إذا فإن هذه الخصائص تمثل مقياسا لمدى قوة هذه الدولة ومكانتها والدور الذي يمكن أن تلعبه على الساحة الدولية.

لذلك فإنه من الأهمية بما كان، أن تبدأ هذه الدراسة بتقييم عام لما تملكه تركيا من مقومات وخصائص طبيعية وبشرية واقتصادية وعسكرية وسياسية ومجتمعية، وتأثيرها على مسار انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي.

المبحث الأول: المقومات الجيوسياسية والجيواستراتيجية

إن المقومات الجيوسياسية والجيواستراتيجية هي مجموعة الخصائص الجغرافية والطبيعية التي تمتلكها دولة ما والتي تدخل في إطار رسم السياسة الخارجية للدولة وتحديد توجهاتها، كما أنها تشكل أحد مصادر قوة الدولة والتي تؤثر بشكل كبير على وزنها ودورها في الساحة الإقليمية والدولية. تتمثل هذه المقومات في: مقومات طبيعية (موقع الدولة، مساحتها، شكلها، مناخها، مظاهر سطحها، والثروات الطبيعية)، العناصر البشرية بالإضافة إلى المقومات الاقتصادية والعسكرية. كما يرى **روزنو** ـ ***Rosenau*** ـ بأن: "تكوين الأرض، خصوبتها والمناخ، وموقعها بالنسبة لكتل اليابسة الأخرى والممرات المائية... تساهم كلها في تحديد البيئة السيكولوجية التي يعرف من خلالها المسؤولون والشعوب روابطهم بالعالم الخارجي، والبيئة العملية التي يتم منها صياغة اعتمادهم على دول أخرى".[1] ولذلك، كان لابد من دراسة هذه الخصائص التي تتمتع بها تركيا وتأثيرها على قرارات كل من سياساتها الداخلية والخارجية وكذا علاقاتها بالدول الأخرى.

[1] James Rosenau: «The Scientific Study of Foreign Policy», New York, Free Press, 1971, pp. 19–20. Quoted in; Mustafa Aydin: « The Determinants of Turkish Foreign Policy, and Turkey's European Vocation», The Review of International Affairs, Vol.3, No.2, winter 2003, pp. 306-331, p. 315.

خريطة رقم 1: موقع تركيا

المصدر: http://www.geography-site.co.uk/pages/countries/atlas/maps/turkey.gif

المطلب الأول: الموقع الجغرافي

يعتبر الموقع من أهم الملامح الطبيعية للدولة، وهو يتضمن الموقع الفلكي (وفقا لدوائر العرض وخطوط الطول) وموقع الدولة وفقا لتوزيع اليابس والماء بالإضافة إلى الموقع وفقا لعلاقته بالدول الأخرى.[1] فالموقع الاستراتيجي لبعض الدول يكسبها أهمية كبرى، بينما يؤدي الموقع الهامشي لبعض الدول إلى عزلتها، ويؤثر الموقع في درجة الاتصال الحضاري بالشعوب الأخرى، وفي الدور الذي يمكن أن تلعبه على الساحة الدولية.

تمتلك تركيا موقعا استراتيجيا هاما، إذ " لطالما شكل موقع تركيا الجغرافي تاريخيا ركيزة لانطلاقها نحو العالمية، ولا تشذ المعطيات الجغرافية القائمة اليوم في تركيا الحديثة عن هذه

[1] فايز محمد العيسوي: **الجغرافيا السياسية المعاصرة**، مصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، 2008، ص.62-63.

القاعدة، حيث يحاول صناع القرار هناك استغلال هذا الموقع لبناء رصيد إقليمي والارتقاء به للتحول نحو العالمية" [1].

تعود هذه الأهمية لكون الأراضي التركية تمتد بين آسيا وأوروبا، بحيث يشكل الجزء الواقع في آسيا حوالي 97% من مساحتها ويضم عاصمة الدولة **أنقرة**، وهو ما يطلق عليه "الأناضول" أو "آسيا الصغرى"، أما الجزء المتبقي من مساحتها - أي حوالي 3%- فهو يقع في جنوب شرق أوروبا ويضم **اسطنبول**، وهي بذلك تحد الشرق الأوسط ودول الإتحاد السوفييتي سابقا والاتحاد الأوروبي. كما تحدها المياه من ثلاث جهات، البحر الأسود في الشمال وبحر إيجة في الغرب والبحر المتوسط في الجنوب، كما أنها تسيطر على ممرين مائيين مهمين وهما "مضيق البوسفور" شمالا حيث يصل بين البحر الأسود وبحر مرمرة، و"مضيق الدردنيل" في الجنوب الغربي حيث يصل بين بحر مرمرة والبحر الأبيض المتوسط عن طريق بحر إيجة، وهذا ما يتيح لها التحول إلى قوة مائية بالإضافة إلى كونها قوة قارية [2]. هذا الموقع يعطيها فرصة ليكون لها دور في نقل الموارد الطبيعية من الأقاليم الغنية بالموارد الطبيعية إلى أسواق النفط الأوروبية، وكل مشروع نقل سيزيد من فعالية وأهمية تركيا في الساحة الدولية.

أما بالنسبة لمساحة تركيا فهي تبلغ 783562 كلم^2، "وللمقارنة فإن مساحة تركيا أكبر من ولاية تكساس بقليل، كما أنها توازي تقريبا مساحة ألمانيا وإسبانيا مجتمعتين، وتحد الجمهورية التركية 8 دول بمساحة مشتركة مختلفة على الحدود: في الجنوب الشرقي جورجيا (252كلم) وأرمينيا (268 كلم) وأذربيجان (9 كلم)، في الشرق إيران (499 كلم)، في الغرب اليونان (206 كلم)، في الشمال الغربي بلغاريا(240 كلم)، وفي الجنوب سوريا (822 كلم) والعراق (352

[1] علي حسين باكير: «تركيا: الدولة والمجتمع المقومات الجيوسياسية والجيو- إستراتيجية النموذج الإقليمي والإرتقاء العالمي»، في: محمد عبد العاطي، محرّر، **تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج** ، قطر، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الأولى، 2009، ص.20.

[2] علي حسين باكير،نفس المرجع، ص.20- 21.

كلم) ويتيح انتشار هذا العدد من الدول على حدودها حرية أكبر في اختيار سياسات أو تحالفات أو إقامة تجمعات في ظل كون تركيا دولة محورية في مجالها الجغرافي".[1]

يعتبر **مصطفى أيدن** أن الجمهورية التركية مثال جيد لكيف وإلى أي درجة تحدد الجغرافيا السياسة الخارجية لبلد ما. حتى وإن تغيرت الأهمية النسبية لتركيا بالنسبة لدول أخرى، فإن إدراك صناع القرار الأتراك لأهمية تركيا الجغرافية والتهديدات الآتية من هذا الموقع الخاص لم يتغير بعد جذريا. فقد استطاعت تركيا بفضل موقعها الجيواستراتيجي أن تلعب دورا في السياسة الدولية أكبر مما يمكن أن يشير إليه حجمها وسكانها وقوتها الاقتصادية. ويضيف بأن حدود الدولة يمكن أن تكون مصدرا للقوة أو الضعف، هذا يعتمد على طولها وعدد الدول المجاورة ونواياهم والقوة النسبية المتاحة للأطراف المعنية. فأحد أهم أسباب إحساس تركيا بعدم الأمن حقيقة أنها محاطة بدول مجاورة مختلفة بخصائص وأنظمة وإيديولوجيات وأهداف مختلفة، وأن العلاقة بينهم وبين تركيا ليست سلمية دائما ويمكن أن تأخذ شكل صراعات مسلحة في بعض الأحيان.[2]

بالرغم من هذه الأهمية الجغرافية لتركيا، إلا أن المعارضين لانضمامها إلى الاتحاد الأوروبي يرون بأن "تركيا ليست جزءا بطبيعتها الجغرافية أو البشرية من أوروبا، ومن ثم فهي يجب ألا تصبح جزءا من الاتحاد"، فهي لا تقع في قلب أوروبا، ولكن في المنطقة المحيطة بها.[3] بالإضافة إلى التحديات الأمنية التي تفرضها حدودها مع دول غير مستقرة، مثل سوريا والعراق وإيران.

المطلب الثاني: العوامل البشرية

"تبين لنا في ما سبق مقدار تأثير العوامل الطبيعية في قوة الدولة، ويجيء الآن دور الحديث عن أثر العوامل البشرية. وهي بلا شك تؤثر هي الأخرى على مكانة الدولة وقوتها، خصوصا إذا ما عرفنا أن العوامل البشرية أكثر ديناميكية، وأبلغ أثرا من العوامل الطبيعية. والمقصود بالعوامل البشرية التي

[1] علي حسين باكير، مرجع سابق، ص.20.

[2] Mustafa Aydin, Op.cit., p.315- 316.

[3] حسين طلال مقلد: «تركيا والاتحاد الأوروبي بين العضوية والشراكة»، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 26، العدد الأول، 2010، ص.ص.335-395، ص346 .

تؤثر في قوة الدولة هي جميع العوامل المتصلة بالإنسان ونشاطه والتي لها دور أو تساعد على دعم قوة الدولة ومنعتها"[1].

تحتل تركيا المرتبة الـ 17 عالميا من حيث تعداد السكان، ويبلغ عدد سكانها 79,749,461 (وفقا لتقديرات جويلية 2012)، بمعدل نمو 1,197%[2]، "ويؤهلها هذا الكم البشري من لعب دور هام على الصعيد الإقليمي والدولي في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية والعسكرية والدينية. إذ لايكفي موقع الدولة الجغرافي ليؤهلها للعب أدوار إقليمية ودولية كبيرة، فلعدد السكان دور أيضا في ذلك"[3].

تتميز التركيبة العمرية للسكان بغلبة الطابع العمري الشاب كما يظهر من خلال النسب التالية[4]:

0ـ14 سنة: 26.2% (ذكور 10,698,923 / إناث 10,217,799).

15ـ64 سنة: 67.4% (ذكور 27,148,981 / إناث 26,571,364).

65 سنة فما فوق: 6.4% (ذكور 2,336,911/ إناث 2,775,483).

كما يبلغ متوسط العمر الكلي 28,8 سنة، "وتعتبر البنية السكانية الشابة والديناميكية لتركيا عنصرا هامامن مقاييس القوة، لا بد أن يؤخذ في الحسبان، خصوصا في مجال علاقات تركيا مع الاتحاد الأوروبي"[5]. إذ توفر هذه البنية السكانية الشابة والمتعلمة اليد العاملة

---

[1] محمد حجازي محمد: **الجغرافيا السياسية**، مصر، القاهرة: دار الفكر العربي، 1996ـ1997. ص.121.

[2] الأرقام والإحصائيات من موقع: CIA The World Fact Book. اطلع عليه في: 26 ديسمبر 2012.
https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/tu.html

[3] علي حسين باكير، مرجع سابق، ص.21 .

[4] موقع: CIA The World Fact Book

[5] أحمد داود أوغلو: **العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية**، (ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل)، لبنان، بيروت، الدار العربية للعوم ناشرون، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الثانية، 2011، ص.42.

المؤهلة مما يؤدي إلى توسيع سوق العمل، بالإضافة إلى زيادة طلب الاستهلاك الداخلي وزيادة نسبة النمو الاقتصادي ـ إذ تمكنت تركيا من تحقيق أعلى نسبة نمو في الناتج المحلي الإجمالي (GDP) في أوروبا الغربية عام 2010م بنسبة 9,2% ـ [1] هذا على عكس الدول الأوروبية التي تعاني من تدني معدل نمو السكان وانخفاض نسبة فئة الشباب وبالتالي نقص اليد العاملة.

أما فيما يتعلق بالتركيبة العرقية والدينية للسكان في تركيا فهي تتميز بتنوعها، فرغم كون معظم سكان الجمهورية من المسلمين بنسبة 99,8% (أغلبية سنية)، "إلا أن البلاد ظلت متعددة الأعراق. إلى جانب الأتراك من السنة والعلويين عاش في تركيا ولا يزال يعيش آخرون كُثر، لم يكونوا من الأتراك ولم يعتبروا أنفسهم من العرق التركي مطلقا. حيث استقر بها بلغاريون وأشخاص من البوسنة والألبان وبوماق قادمون من البلقان، فضلا عن أبناء أذربيجان وجورجيا وطاجكستان والشيشان القادمين من بلاد القوقاز والأوزباك والقوقاز القادمين من وسط آسيا، ومن جنوب روسيا نزح إليها القوقازيون والتتار" [2]. بحيث يمثل الأتراك 70-75 %، ويمثل الأكراد أكبر أقلية بما نسبته 18%، في حين تمثل الأقليات الأخرى 7ـ12% (حسب الأرقام المنشورة في موقع CIA The World Fact Book).

هذه التعددية تمثل في الواقع استمرارا لما كانت عليه الدولة العثمانية، "غير أن ما يميز الجمهورية الكمالية هو أنها نجحت في تقليص الحيّز المعترف به دوليا، الذي يحدد بدقة مفهوم الأقليات وما هيتها فالمواد من 37 إلى 44 من معاهدة لوزان حددت الأقليات في تركيا بتلك التي لا تعتنق الدين الإسلامي، وهي المجموعات المسيحية واليهودية" [3]، وقد كان الأتراك بالنسبة لمؤسسي الدولة: كل مسلم يعيش على أرض الجمهورية، وكان الأكراد بوصفهم سُنيين يُحسبون على

[1] "Turkey's Population Yong and Rapidly Expanding", January 24th 2012. Accessed on: 26thDecember 2012. http://blog.euromonitor.com/2012/01/turkeys-population-young-and-rapidly-expanding.html

[2] راينر هيرمان: **تركيا بين الدولة الدينية والدولة المدنية الصراع الثقافي في تركيا**، (ترجمة: علا عادل)، مصر، القاهرة، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، الطبعة الأولى، 2012، ص.20.

[3] محمد نور الدين: **تركيا الجمهورية الحائرة (مقاربات في الدين والسياسة والعلاقات الخارجية)**، لبنان، بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، الطبعة الأولى، 1998 ، ص.51.

الأغلبية التركية وحتى العلويون من الشيعة لم يُعتبروا من الأقليات كذلك.[1] وانطلاقا من هذا المفهوم النافي للإعتراف بالآخر، حُرمت المجموعات العرقية غير التركية من التعبير عن هويتها وشخصيتها وتطلعاتها بلغاتها القومية، ومُنعت من فتح مدارس وجامعات ودور نشر ومحطات إذاعية وتلفزيونية بلغتها. فالجميع، بموجب الكمالية أتراك، لغة وثقافة وتراثا.[2]

إن هذا التنوع في التركيبة المجتمعية يفرض تحديا كبيرا على تركيا، خاصة وأن مفهوم القومية التركية ،الذي هو أحد المبادئ التي قامت عليها الجمهورية التركية ، أدى إلى تهميش باقي الأقليات العرقية والدينية، أبرزها الأقلية الكردية باعتبارها أكبر أقلية. هذه الأخيرة تم تجاهلها "كليا كجماعة إثنية واعتبرتهم الدولة (بعد حرب الاستقلال) "أتراكا" أو "أتراك الجبال" الذين يجب تمدينهم. ولكن الأكراد لم يركنوا إلى الوضع الجديد، وحاولوا تغييره بمختلف الوسائل، وقد نهضوا في مواجهته عدة مرات"،[3] وكان ذلك من خلال العمل المسلح ابتداءا من السنوات الأولى من تأسيس الجمهورية. من أبرز هذه المواجهات "الانتفاضة التي اشتهرت باسم رجل الدين **سعيد بيران** عام 1925، وانتفاضة **آغري** عام 1928ـ1930، و**ديرسيم** عام 1938، ولكن أبرزها انتفاضة حزب العمال الكردستاني الذي بدأ حرب عصابات منذ عام 1984 من أجل الاستقلال ثم من أجل الحكم الذاتي"[4]. إن القضية الكردية تعتبر مشكلة متكررة في تركيا على الصعيد الداخلي وعلى الصعيد الخارجي، إذ تواجه تركيا بسببها اتهامات الإتحاد الأوروبي بانتهاك حقوق الإنسان وعدم احترام حقوق الأقليات. لكن لا بد من الإعتراف بأن الدولة التركية قامت بخطوات معتبرة في هذا المجال، فقد تم الإعتراف باللغة الكردية من قبل السلطات التركية، كما رفع الحزب الحاكم ـحزب العدالة والتنميةـ الحظر على تعليم اللغة الكردية، زيادة على ذلك فقد افتتح رئيس الوزراء **رجب طيب أردوغان** منذ جانفي 2009 محطة تلفزيونية عامة ناطقة باللغة الكردية.

---

[1] راينر هيرمان، مرجع سابق، ص.31ـ32.

[2] محمد نور الدين، مرجع سابق، ص.53.

[3] عقيل سعيد محفوض: **جدليات المجتمع والدولة في تركيا المؤسسة العسكرية والسياسة العامة**، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الطبعة الأولى، 2008، ص. 79.

[4] عقيل سعيد محفوض، نفس المكان.

إضافة إلى ملف حقوق الإنسان، فإن من بين أسباب المعارضة الأوروبية لعضوية تركيا نجد العامل الديموغرافي الذي يمثل هاجسا بالنسبة للدول الأعضاء في الإتحاد الأوروبي، لأنه في حال انضمام تركيا، التي يقارب عدد سكانها 80 مليون نسمة مع أغلبية مسلمة ساحقة، إلى الاتحاد الأوروبي فإنها ستحوز على أكبر عدد من أعضاء البرلمان الأوروبي بعد ألمانيا، وستكون أيضا الشريك الرئيسي في المجلس التشريعي للاتحاد، كما أنها ستصبح أكبر متلقي للمساعدات من الاتحاد الأوروبي (السياسة الزراعية المشتركة، صندوق التنمية الأوروبي الإقليمي، الصندوق الاجتماعي الأوروبي). بالإضافة إلى التخوف من هجرة عدد كبير من الأتراك إلى الدول الأوروبية في حال فتح الحدود أمام تركيا في حال انضمامها.

تعتبر العناصر سابقة الذكر (الجغرافيا والسكان) بالإضافة إلى التاريخ والثقافة معطيات ثابتة في معادلة القوة لأي دولة، وهي عناصر لا يمكن لإرادة الدولة أن تغيرها على المديين المتوسط والبعيد كما يعبر عنها وزير الخارجية التركي - حاليا - **أحمد داود أوغلو** في كتابه **العمق الاستراتيجي**. لكنه يضيف إلى معادلة القوة هذه معطيات متغيرة، وهي العناصر التي يمكن تفعيلها على المدى القريب والمتوسط والتي تعكس مدى قدرة الدولة على استخدام القوى الكامنة فيها. تتمثل هذه العناصر في الاقتصاد والتكنولوجيا والقدرة العسكرية. لذلك سيتم التطرق من خلال النقاط التالية إلى الاقتصاد التركي وقدراتها العسكرية.

المطلب الثالث: الاقتصاد التركي

لقد شهدت فترة ما بعد الحرب الباردة تزايد أهمية العامل الاقتصادي في العلاقات الدولية فأصبحت قوة الدولة تقاس بمدى قوتها الاقتصادية، "لكن ثروة الدولة تتجاوز تملكها لموارد معينة وارتفاع متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي. فإن الدولة القوية اقتصاديا تكون ذات قدرةإنتاجية كبيرة".[1] بالرغم من افتقار تركيا إلى كميات معتبرة من النفط والغاز، فإن تركيا تكاد تحتكر الموردين الأكثر أهمية على صعيد المنطقة وهما المياه والغذاء، فتركيا من البلدان القليلة

[1] فايز محمد العيسوي، مرجع سابق، ص.123.

التي تتمتع باكتفاء ذاتي من الناحية الغذائية والزراعية. هذا بالإضافة إلى تمتعها بموارد طبيعية وثروات معدنية أخرى كثيرة.[1]

إلى جانب قطاع الزراعة التقليدي الذي يشغل حوالي 25% من اليد العاملة في تركيا، فقد ازدادت أهمية قطاع الصناعة الذي يشغل 26.2% من اليد العاملة وقطاع الخدمات بنسبة 48.4%. لقد استطاعت تركيا بفضل الإصلاحات الاقتصادية الهيكلية التي قامت بها حكومة حزب العدالة والتنمية أن تنتقل من مرحلة الأزمة في 2001 إلى مرحلة الانتعاش الاقتصادي في السنوات الأخيرة، وأصبح الاقتصاد التركي من أسرع الأنظمة الاقتصادية نموا في المنطقة، حيث احتلت المرتبة السابعة عشرة في ترتيب أكبر الاقتصاديات على المستوى العالمي عام 2011، بمعدل نمو الناتج المحلي الإجمالي 8.5% (المرتبة الخامسة عشر عالميا).

يقوم الاقتصاد التركي على سياسة السوق الحرة، وقد استهدفت الإصلاحات أساسا "تحقيق الحرية المالية والتجارية بشكل أساسي، والمضي قدما في عمليات الخصخصة والحد من دور الدولة"[2]، وهذا ما زاد من استثمارات القطاع الخاص في مجال الصناعة والنقل والاتصالات مما أدى إلى توسيع إنتاج السوق ليتجاوز قطاع النسيج والألبسة إلى صناعات أخرى، مثل: السيارات والإلكترونيات والحديد والبناء والمواد الغذائية وغيرها، وقد وصلت نسبة مساهمة قطاع الصناعة في الناتج المحلي الإجمالي إلى 27.9% عام 2011، وزيادة صادرات البلد. وتعتبر تركيا الأولى على المستوى الأوروبي فيما يتعلق بصناعة كل من: الأسمنت والصناعات النسيجية وأجهزة التلفزيون والأسمدة، والثالثة في تصنيع الفولاذ. كما يُعد قطاع السيارات سابع أكبر منتج للسيارات في أوروبا[3]. كل هذه التطورات أدت إلى إيجاد فرص عمل جديدة وبالتالي خفض نسبة البطالة (من 12% سنة 2010 إلى 9.8% سنة 2011) ورفع مستوى دخل الأفراد والمستوى المعيشي بصفة عامة، هذا بالإضافة إلى انخفاض معدلات التضخم. كما شهدت السوق التركية زيادة تدفق الاستثمارات

[1] علي حسين باكير، مرجع سابق، ص.24.

[2] إبراهيم أوزتورك: «التحولات الاقتصادية التركية بين عامي 2002ـ 2008»، في: محمد عبد العاطي، مرجع سابق، ص.48.

[3] راينر هيرمان، مرجع سابق، ص.187.

الأجنبية هذا لأن "مفاوضات الإلتحاق بالاتحاد الأوروبي تحسّن من الشروط العامة للاستثمار، كما أنهم يأتون لأن السوق جاذب، والسوق الداخلي ينمو بسرعة كما أن عنصر الإنتاج المتمثل في العمل لا زال سعره مناسب، والموقع الإستراتيجي في الواجهة بين أوروبا وآسيا والشرق الأوسط يتيح المرور إلى أسواق مهمة"[1].

وبهذا فإن تركيا استطاعت أن تحقق شرط العضوية الاقتصادي والمتمثل في وجود اقتصاد سوق حر والقدرة التنافسية مع المنتجات الأخرى للدول الأعضاء، بل إن الاقتصاد التركي يعد أكثر كفاءة في مجالات عدة مقارنة ببعض الدول الأعضاء، مثل:اليونان ورومانيا وغيرها. من جهة أخرى هذه القوة الإنتاجية التركية يمكن أن تغرق السوق الأوروبية بالمنتجات التركية، وهذا ما خلق مخاوف اقتصادية أوروبية، إذ "يرى المعارضون أن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي سيجعل منها صينا أخرى في أوروبا، كما هي الصين بالنسبة إلى العالم، إذ ستغزو الصناعات التركية الأسواق الأوروبية في الوقت الذي ترغب فيه أوروبا أن تكون تركيا سوقا لها وليس مصنعا لسوقها"[2].

المطلب الرابع: القدرات العسكرية التركية

"إن القدرة العسكرية هي التي تحول كل العناصر المذكورة إلى قوة فعلية، وهي إحدى المؤشرات الأساسية للقوة الكامنة للدولة في زمن السلم، وأهم ما يعكس القوة الحقيقية للدولة زمن الحرب. إن القدرة العسكرية لبلد ما، كمقياس يستطيع التكيف مع الأوضاع المتغيرة، تتحد بالقدرات الاقتصادية والدبلوماسية والسياسية وما ينتج عن هذه القرارات من توجهات وتطبيقات"[3].

لقد استلزم الموقع الجيوبوليتيكي لتركيا في أحد أكثر المركبات الأمنية تقلبا في العالم، بالإضافة إلى دورها في الحرب الباردة كـ 'خط أمامي' front line تطوير قدرات عسكرية

[1] راينر هيرمان، مرجع سابق، ص.187.

[2] حسين طلال مقلد، مرجع سابق، ص.360ـ361.

[3] أحمد داود أوغلو، مرجع سابق، ص.48.

واسعة.[1] إذ يُعتبر الجيش التركي من بين أكبر الجيوش في العالم، فهو يُمثل ثامن أكبر جيش عالميا وثاني أكبر جيش بعد الولايات المتحدة في حلف شمال الأطلسي، وهو يمثل بالنسبة لتركيا ضمان الاستمرارية. وقد لعبت تركيا، بفضل موقعها الجغرافي وقدراتها العسكرية، دور الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية في مواجهة الخطر السوفييتي أثناء الحرب الباردة.

تحتل القوات المسلحة التركية مكانة مميزة داخل الدولة التركية وداخل المجتمع التركي عموما. هذه المكانة المميزة تعود إلى الإمبراطورية العثمانية التي سبقت الجمهورية التركية الحديثة واستمرت هذه الحال لغالبية القرن العشرين. فمنذ تأسيس الجمهورية في 1923، اعتبرت القوات المسلحة نفسها 'حارس' الإيديولوجية الكمالية التي تأسست عليها الجمهورية.[2] فقد "أحدثت حركة المقاومة الوطنية وحرب الاستقلال مزجا قويا بين الدورين السياسي والعسكري في مفهوم الوظيفة العسكرية، ووفق **مصطفى كمال** ومجموعته في استخدام هذه الشخصية ذات الوجهين السياسي والعسكري في تولي إدارة البلاد ومن ثم لم يقتصر دور الجيش آنذاك على نقل الكماليين إلى سدة الحكم، بل تحول الجيش ذاته إلى عضو فاعل في مؤسسة النظام الجديد".[3] وبذلك فإن الجيش لم يتخل أبدا عن دوره الخارجي المتمثل في حماية استقلال البلاد، ولا عن دور آخر داخلي رآه وحدده لنفسه والمتمثل في قيادة الدولة والمجتمع نحو التحديث. وبعد وفاة أتاتورك رأى حماة الدولة العلمانية في المؤسسة العسكرية أن المواطن التركي لا يمكنه حكم نفسه دون إرشاد، وأنه يتعين عليهم الأخذ بيده حتى ينضج ويتمكن من إدارة شؤونه بوعي دون الوقوع تحت

[1] Fintan Hastings: **Guarding the Camp, Outside the Tent- The Relationship Between Turkey and the European Union from a Military and Regional Security Perspective,** Master of Art in History (International Relations), School of History, National University of Ireland, Cork, 2010, P.42.

[2] Fintan Hastings, Ibid.

[3] طارق عبد الجليل: «الجيش والحياة السياسية.. تفكيك القبضة الحديدية»،في:محمد عبد العاطي، مرجع سابق، ص.67.

تأثير "الأعداء في الخارج والداخل"...ظلت تلك هي العقلية التي حكمت الجمهورية لزمن طويل، تفترض عدم نضج المدنيين من جهة، وتثق في حكمة وقدرة الجيش من جهة أخرى.[1]

إن الجيش يمكنه التدخل وإقالة الحكومة إذا رأى أن هناك خطر على مبادئ الجمهورية كما حدث في الانقلابات العسكرية لعام 1960، و1971، و1980، والحملة التي تزعمها الجيش وتعبئة الرأي العام ضد حكومة **أربكان** ما أجبرها على تقديم استقالتها عام 1997. "يستند الجيش في كل انقلاب إلى واجباته التي أقرها القانون، ويشير بذلك إلى "قانون الخدمة الداخلية" لعام 1961، الذي أصبح بمنزلة رخصة للتدخل، حيث تنص المادة رقم 2 من القانون على أن: "الجيش ملزم بتعليم فنون الحرب وتطبيقها لحماية استقلال وجمهورية الوطن التركي"، وجاءت المادة 35 أكثر وضوحا: "واجب القوات المسلحة هو حماية الوطن التركي والجمهورية التركية التي أقرها الدستور ومراقبتها بحرص".[2] "بنهاية عقد التسعينات أعلنت المؤسسة العسكرية التركية أن الخطر الأكبر على الجمهورية يتمثل في الأصولية الإسلامية (بتأثير وصول حزب الرفاه للسلطة الذي اعتبر اختراقا للدولة العلمانية)، والانفصال الكردي (بتأثير الحرب التي كان يشنها حزب العمال الكردستاني على الدولة منذ 1984)"،[3] فأحدهما يهدد العلمانية والآخر يهدد مركزية الحكومة.

بلا شك فإن تدخلات الجيش في السلطة مثلت ولاتزال تمثل إعاقة أكيدة لمسار الديمقراطية في تركيا. إلا أن السنوات الأخيرة شهدت تراجعا كبيرا في تدخل المؤسسة العسكرية في السياسة خاصة بعد تولي حزب العدالة والتنمية الحكم منذ 2002، الذي قام بتعديلات دستورية بلغ عددها سبع حزم قانونية. "غير أن الحزمة القانونية السابعة التي صادق عليها البرلمان التركي في 2003/7/30م كانت نقطة التحول الأقوى في العلاقة بين العسكريين والمدنيين داخل مجلس

[1] ياسر أحمد حسن: **تركيا البحث عن المستقبل**، مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006. ص.50-51.

[2] راينر هيرمان، مرجع سابق، ص. 46.

[3] ياسر أحمد حسن، مرجع سابق، ص.51.

الأمن القومي وأمانته العامة؛ حيث استهدفت الحد من دور المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية من خلال تقليص وضعيته الدستورية والقانونية".[1]

المبحث الثاني: النظام السياسي في تركيا وعلاقة الدين بالدولة

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية واقتسام أراضيها بين دول الحلفاء، قام **مصطفى كمال** في 29 أكتوبر 1923، بعد حرب استقلال دامت أربع سنوات، بتأسيس الجمهورية التركية، بحدودها المعروفة اليوم. أول تجربة لحكومة جمهورية في العالم الإسلامي. سُمي لاحقا **مصطفى كمال** بـ "أتاتورك" أي أبو الأتراك. لقد أراد مؤسسو الجمهورية الجديدة نموذجا مختلفا عن الإمبراطورية العثمانية متعددة الشعوب وذات الهوية الإسلامية، فقد أرادوا "دولة قومية علمانية متجانسة، دولة حديثة على النسق الغربي... ورفع أتاتورك شعار النهوض بتركيا إلى "مستوى الحضارات المعاصرة". كانت أوروبا الخصم في حرب التحرير، وكانت هي، أيضا المرجع للتحديث".[2]

لقد قامت هذه الدولة الحديثة على ستة مبادئ أو "السهام الستة" التي صاغها أتاتورك عام 1931 وهي: "القومية" التركية و"العلمانية" و"الجمهورية" و"الدولانية" واستمرار التحول الثوري، والرؤية لمجتمع متجانس دون طبقية؛ أي ما يسمى "الشعبية".[3]

المطلب الأول: المؤسسات الدستورية

ينص الدستور التركي على أن تركيا هي جمهورية برلمانية ديمقراطية وعلمانية، كما ينص على مبدأ الفصل بين السلطات، والتي تتمثل في:

الفرع الأول: السلطة التشريعية

تمثلها **الجمعية الوطنية** -أو **المجلس الوطني التركي الكبير**- "البرلمان"، تمارس صلاحية التشريع وفقا للمادة 7 من الدستور، وهي صلاحية لا تفوض. وتتألف من 550 عضوا ينتخبون كل أربعة أعوام

[1] طارق عبد الجليل، مرجع سابق، ص.79.

[2] راينر هيرمان، مرجع سابق، ص.28.

[3] راينر هيرمان، نفس المرجع، ص.73-74.

(بعد التعديل الدستوري عام 2007). وتتمثل أهم صلاحياتها في: التشريع وتعديل القوانين وإبطالها، والإشراف على عمل مجلس الوزراء والوزراء، وتفويض مجلس الوزراء (في حالات محددة)، وإصدار مراسيم حكومية تكتسب قوة القانون، وإقرار الخطط الحكومية بشأن السياسة العامة الداخلية والخارجية، ومناقشة مشروع الميزانية، وإعلان الحرب وتفويض القوات المسلحة وقرار إرسالها إلى الخارج.[1]

تتم الانتخابات النيابية تحت إشراف القضاء وعلى أسس الحرية والمساواة والسرية في الاقتراع في جولة واحدة وبالتصويت العام والفرز العلني والتعدد المفتوح. ويحق لكل فرد يحمل الجنسية التركية ويبلغ 18 من العمر المشاركة في الانتخاب. فيما يحق لكل من يبلغ 25 من العمر وأتم الدراسة الإبتدائية ترشيح نفسه. وطريقة الانتخاب تحدد بالقوانين. ويؤدي المجلس مهامه عن طريق اللجان طبقا للدستور ونظامه الداخلي المعد من قبله. وتشكل هذه اللجان حسب الاختصاصات وتقوم بالأعمال التحضيرية. وتكون الكلمة الأخيرة للجمعية العامة. ويحق لكل مواطن، ولكل أجنبي مقيم في تركيا وفق مبدأ المعاملة بالمثل، تقديم الطلبات والشكاوي إلى لجنة الاستدعاءات.[2]

الفرع الثاني: السلطة التنفيذية

تتكون من رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء وتنخرط أيضا ضمن السلطة التنفيذية مؤسسات مثل مؤسسات التعليم العالي والمؤسسات المهنية ذات الصفة العامة ومؤسسة الإذاعة والتلفزيون التركية ومجمع أتاتورك العالي للثقافة واللغة والتاريخ ورئاسة الشؤون الدينية.

1- رئيس الجمهورية:

وهو على رأس الدولة، ويمثل الجمهورية التركية ووحدة الشعب التركي. بعد التعديل الدستوري في أكتوبر 2007، أصبح الرئيس يُنتخب من قبل الشعب عن طريق الإقتراع العام بالأكثرية المطلقة للأصوات الصحيحة ، من بين النواب الذين أتموا الأربعين من العمر ممن أكملوا الدراسة العليا أو من بين المواطنين الأتراك المؤهلين للانتخاب نوابا. فترة ولايته خمس

[1] عقيل سعيد محفوض، مرجع سابق، ص.145.

[2] «**تركيا**: هيكل الدولة والدستور والنظام القانوني»، ص.142، اطلع عليه في: 5 جانفي 2013.
http://www.trtarabic.tv/ar/turkey-information/arabia/142-143.htm

سنوات، ويمكن انتخابه لفترتين على الأكثر ، علما أنه يجب أن يتنحى عن عضوية الحزب حال اعتلائه السلطة.[1]

أما فيما يتعلق بمهامه وصلاحياته حسب المادة 104، فمن بينها: الإشراف على تطبيق الدستور، وإصدار القوانين، وتعيين رئيس الأركان العامة ورئيس الوزراء والوزراء المقترحين من طرف رئيس الوزراء، ودعوة الجمعية الوطنية للانعقاد عند الضرورة، ودعوة مجلس الوزراء للانعقاد برئاستع عند الضرورة، وطلب الاستفتاء العام، والدعوة لانتخابات عامة، ودعوة مجلس الأمن للانعقاد برئاسته، وإعلان الأحكام العرفية، وحالة الطوارئ، وتعيين أعضاء مجلس التعليم العالي، وتعيين أعضاء المحكمة الدستورية. المصادقة على المعاهدات الدولية ونشرها، ترؤس مجلس الأمن القومي ومجلس الوزراء عند الاقتضاء، التوقيع على المراسيم والقرارات.[2]

2. مجلس الوزراء:

هو مركز السلطة التنفيذية على اعتبار أن النظام السياسي في تركيا هو نظام برلماني، ويتكون من رئيس الوزراء والوزراء، ويتم تعيين رئيس الوزراء من قبل رئيس الجمهورية وغالبا ما يكون من الأغلبية البرلمانية، ويقوم هذا الأخير باختيار وزؤائه من بين النواب أو من بين أشخاص مؤهلين للانتخاب كنواب، ويعرضهم على رئيس الجمهورية كي يتم تعيينهم. ومن اختصاصات رئيس الوزراء (المادة 112) أنه يشرف على عمل الوزراء ويعد ويخطط برنامجا للسياسات العامة يكون هو الأساس الذي يُمنح على أساسه ثقة الجمعية الوطنية... وتتركز اختصاصات مجلس الوزراء في رسم وتخطيط السياسة العامة ووضع الميزانية والإشراف على خطط وإمداد القوات المسلحة وإعدادها للحرب في الحالات التي تتطلب ذلك.[3]

الفرع الثالث: السلطة القضائية:

تمارس السلطة القضائية في تركيا محاكم مستقلة وجهات قضائية عليا نيابة عن الشعب التركي. يستند القسم القضائي في الدستور إلى مبدأ سلطة القانون. تم تأسيس السلطة القضائية

[1] «**تركيا**: هيكل الدولة والدستور والنظام القانوني»، نفس المكان.

[2] عقيل سعيد محفوض، مرجع سابق، ص. 146.

[3] عقيل سعيد محفوض، نفس المرجع، ص. 147.

وفقا لمبادئ استقلال المحاكم وتأمين مدة تولي القضاة لمناصبهم. ويعمل القضاة بشكل مستقل؛ فهم يحكمون وفقا لقناعتهم الشخصية واستنادا إلى أحكام الدستور والقانون والنظام القانوني. يجب أن تنصاع الجهات التشريعية والتنفيذية لأحكام المحاكم ولا يمكنها تغيير أو تأخير تطبيق هذه الأحكام. وبشكل عملي، تبنى الدستور النظام القضائي ثلاثي الجهات وتبعا لذلك، انقسم النظام القضائي إلى 3 فئات هي: القضاء العدلي و القضاء الإداري والقضاء الخاص.[1] وتدخل المحاكم العسكرية ضمن نطاق القضاء العسكري.

واعتبر الدستور، فيما يخص بالقضاء الدستوري المحكمة الدستورية، وبالنسبة للقضاء العدلي محكمة التمييز، وبالنسبة للقضاء الإداري المحكمة الإدارية العليا، وفيما يخص بالقضاء العسكري محكمة التمييز العسكرية والمحكمة العسكرية الإدارية العليا، وبالنسبة للخلافات الناجمة عن الطرق القضائية محكمة فصل المنازعات كمحاكم عليا في الدولة. وهناك أيضا ضمن السلطة القضائية ديوان المحاسبة والمجلس الأعلى للقضاة والمدعين العامين.

لقد أخذت حكومة العدالة والتنمية "خطوات جادة واضحة محددة نحو إعادة هيكلة مؤسسات تركيا وتشريعاتها الدستورية والقانونية للتواؤم مع معايير كوبنهاجن؛ تلك التي تركز على استقرار المؤسسات بالشكل الذي يمثل ضمانة للديمقراطية وترسيخ دولة القانون، واحترام حقوق الإنسان وحماية الأقليات".[2] وقد تركزت معظم هذه التغييرات على تعزيز وترسيخ الحقوق والحريات الأساسية وتطوير وتوطيد الكيان الديمقراطي في البلاد، وفي هذا الإطار يمكن ذكر أهم التعديلات الأخيرة التي شهدها دستور 1982:[3]

- التعديل الذي تم إجراؤه بتاريخ 7 مايو 2004 ، تم إلغاء عقوبة الإعدام، التي لم يتم تنفيذها منذ عام 1984 ، ومحاكم أمن الدولة. كما غدا حكما قانونيا عدم جواز مصادرة

[1] «لمحة عن تركيا، البنية القانونية والسياسية». اطلع عليه في 5 جانفي 2013. نقلا عن موقع:
http://www.invest.gov.tr/ar-SA/turkey/factsandfigures/Pages/LegalAndPoliticalStructure.aspx

[2] طارق عبد الجليل، مرجع سابق، ص.78.

[3] «**تركيا:** هيكل الدولة والدستور والنظام القانوني»، لمزيد من التفاصيل انظر الموقع:
http://www.trtarabic.tv/ar/turkey-information/arabia/140-141.htm

المعدات الإعلامية ومنع تداولها، وصولا إلى ضمان حرية الصحافة. في حالة نشوب أي نزاع بين أحكام الاتفاقيات الدولية بشأن الحقوق والحريات الأساسية والموضوعة حيز التنفيذ حسب أصولها وبين القوانين بسبب نصها على أحكام مختلفة في نفس الموضوع، فإن يتم الأخذ بأحكام الاتفاقيات الدولية. وهكذا أصبحت الاتفاقيات الدولية المبرمة في مجال الحريات وحقوق الإنسان أولى بالتنفيذ وتعلو على التشريعات الوطنية.

- التغييرات التي تمت الموافقة عليها نتيجة الاستفتاء الشعبي الذي أجري بتاريخ 21 أكتوبر 2007:

- إجراء انتخابات المجلس الوطني التركي الكبير كل أربع سنوات.
- نصاب عقد جلسات المجلس الوطني التركي الكبير هو ثلث إجمالي الأعضاء في كافة الأعمال بما في ذلك الانتخابات.
- تقرر أن يتم انتخاب رئيس الجمهورية من قبل الشعب مباشرة. (وفقا للشروط التي ذكرها في الفرع الثاني).

يمثل المخطط التالي أهم السلطات والمؤسسات في جمهورية تركيا:

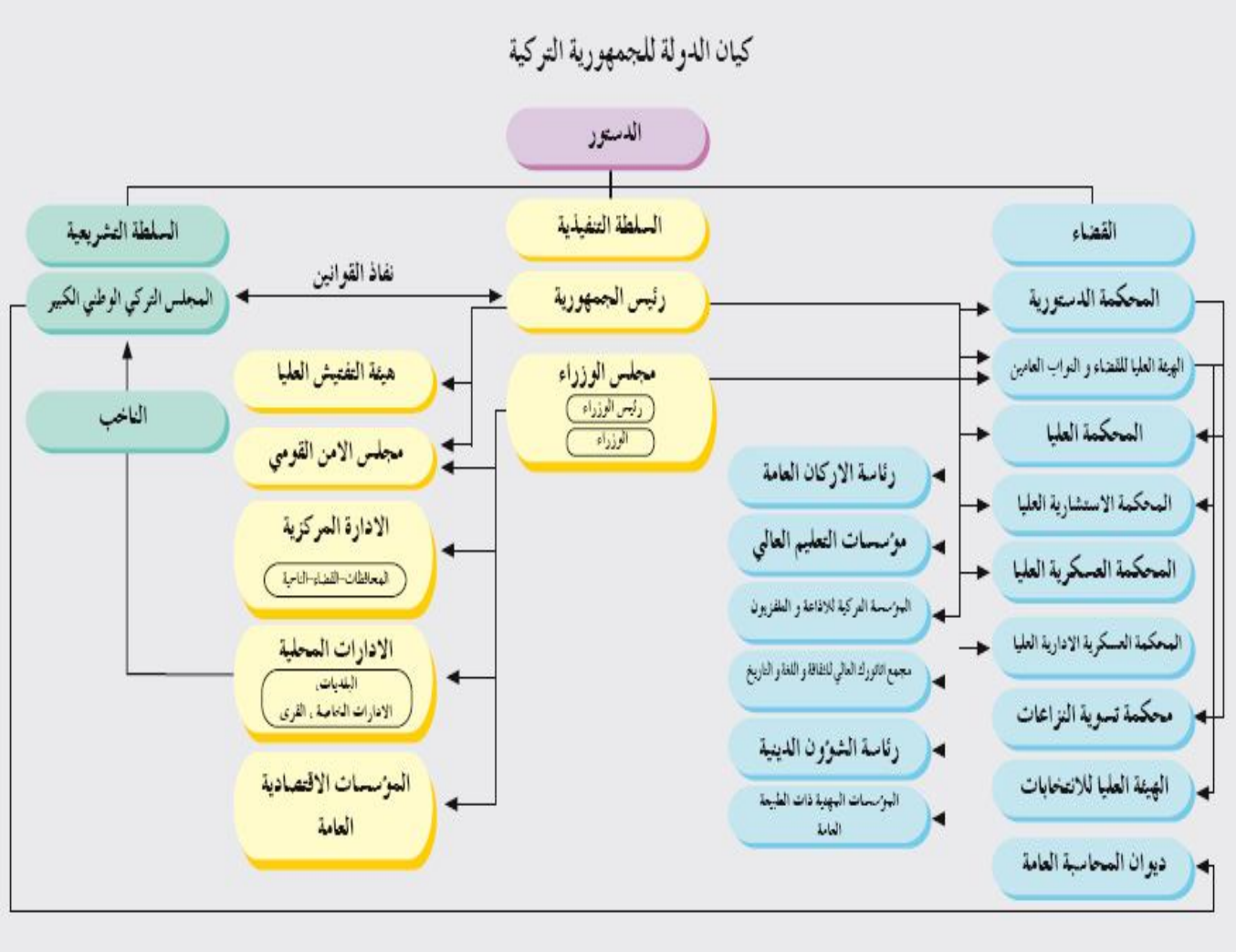

المصدر: http://www.trtarabic.tv/ar/turkey-information/arabia/140-141.htm

المطلب الثاني: الإسلام والعلمانية في تركيا

إن إحدى المسائل المحيرة بشأن السياسة التركية هي كون تركيا دولة مسلمة لكنها في نفس الوقت تكرس مبدأ العلمانية، وهذا ما خلق نقاش حاد حول حقيقة الدور الذي يلعبه الدين في الحياة العامة من جهة وعلاقة الدين بالدولة والسياسة من جهة أخرى.

لا بد من الإشارة إلى أن الجمهورية التركية ورثت عن الإمبراطورية العثمانية تقليدا راسخا يكرس مبدأ مصلحة الدولة، والذي يقضي في كثير من الأحيان بإعلاء هيمنة الدولة على الدين[...]وفي امتداد ملحوظ للنموذج العثماني لم تحاول العلمانية في تركيا أن تفصل بين الدين والدولة، بل قام النظام الجمهوري بممارسة السيطرة الحازمة على المؤسسة الدينية واحتكار الأنشطة الإسلامية واحتواء رموزها داخل المؤسسة البيروقراطية للدولة.[1] لذلك فإن فهم العلمانية التركية بصورة أفضل يقتضي بالضرورة الرجوع إلى تاريخ الدولة العثمانية، خاصة منذ منتصف القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر أين ظهرت موجة ذات ثقافة غربية بدأت بإصلاحات التنظيمات واستمرت مع الشباب العثمانيين وتركيا الفتاة وتوجت بإنشاء الجمهورية التركية العلمانية.

الفرع الأول: الفترة العثمانية

كانت الإمبراطورية العثمانية دولة ثيوقراطية مثل باقي الدول التركية التي ظهرت عبر التاريخ، بداية من القرن 10 إلى غاية القرن 15. كانت الشريعة (القرآن الكريم) القانون الأساسي للمؤمنين كما بالنسبة للحكام. لكن القليل من الحكام المسلمين جعلوا منها الشأن الرئيسي للدولة[2]، فقد ظلت الأسرة التي أسست الإمبراطورية "مترددة إزاء السماح للإسلام بتقرير الحدود السياسية والقانونية لسلطة الدولة. وبالنظر لقوة الدين في تحريك الجماهير، فإنه حتى العلماء من الحراس على الشريعة كانوا محل ريبة الحكام العثمانيين"،[3] مما وضع المؤسسة الدينية تحت رقابة الدولة.

---

[1] تاشبينار عمر:«أثر التقاليد العلمانية على تطور النظام السياسي التركي»، مجلة شرق نامه، "النموذج التركي والمجتمعات العربية"، العدد السابع، أكتوبر 2010. ص.ص. 7-21. ص.7.

[2] Bülent Daver : « Secularism In Turkey», Ankara Üniversitesi SBF Dergisi, vol.43, No.1-2, 1988, pp.29-40, p.p.30-31.

[3] تاشبينار عمر، مرجع سابق، ص.8.

كما أنه كان للسلطان أن يضع قواعد ويسن قوانين مستقلة عن الشريعة، كانت مبنية على العقلانية وليس على المبادئ الدينية ومطبقة بشكل أساسي في مجالات القانون العام والإداري والجنائي وكذلك في مجال المالية العامة للدولة، وهي ما يطلق عليه بـ «الفرمانات» أو «المراسيم السلطانية» إلا أنها كانت تحوي صيغة تنص على مطابقتها للشريعة [1].

بالرغم مما سبق ذكره إلا أن الإسلام لعب دورا أساسيا بالنسبة للدولة كما بالنسبة للأفراد. حيث أن الإسلام لم يكن مجرد إيمان أو عقيدة، لكنه كان يمثل أيضا نظام شرعي يهدف إلى تنظيم كل مجالات الحياة، بما فيها السياسية والاجتماعية والمدنية والثقافية. [2] وبالتالي يمكن القول بأن الإسلام لعب دورا في تدعيم سلطة الدولة من جهة والحفاظ على النسيج الاجتماعي من جهة أخرى، واستطاعت الإمبراطورية العثمانية بذلك أن تحقق تكاملا وظيفيا بين الدين والدولة.

لكن بدايات القرن التاسع عشر بدأت تشهد وضعا دوليا جديدا والذي تمثل أساسا في الضعف التدريجي لمكانة الإمبراطورية العثمانية، مقابل التفوق الأوروبي، خاصة الدول الأمم الناشئة حديثا في أوروبا الغربية، عسكريا واقتصاديا وتكنولوجيا. أصبح هذا واضحا من خلال سلسلة من الحروب التي انتهت أغلبها بهزيمة الإمبراطورية العثمانية وخسارة العديد من أقاليمها. [3] هذا ما سمح للدبلوماسية الأوروبية، عن طريق بريطانيا وفرنسا، بالضغط على الدولة العثمانية من أجل إدخال المدنية الغربية إلى الدولة. [4]

كل هذه المتغيرات الدولية بالإضافة إلى المتغيرات الداخلية أدت إلى تغييرات مهمة في النظام السياسي العثماني، منذ أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، وبالتحديد منذ فترة التنظيمات (1839-1876) حيث بدأت محاولات إدخال النظام الدستوري في أجهزة الدولة. يمكن القول أن هذه التطورات كانت، نتيجة التأثير الأوروبي الكبير على الإمبراطورية العثمانية، هذا التأثير كان يمارس على ثلاث مستويات أو مجالات مختلفة، لكن مرتبطة فيما بينها: دمج جزء متزايد من

[1] تاشبينار عمر، مرجع سابق، ص.9.

[2] Bülent Daver, Op.cit., p.31.

[3] Erik, J. Zürcher: **Turkey A Modern History**, London, New York, I.B. Tauris & Co Ltd, second edition 1998, p.21.

[4]. أحمد نوري النعيمي: **النظام السياسي في تركيا**، الأردن، عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011، ص.16.

الاقتصاد العثماني في منظومة العالم الرأسمالي، التأثير السياسي المتزايد للقوى الأوروبية الكبرى التي حاولت تقطيع الإمبراطورية العثمانية والسيطرة عليها في حين الحفاظ عليها ككيان سياسي منفصل، وأخيرا، تأثير الإيديولوجيات الأوروبية، مثل: القومية، الليبرالية، العلمانية والوضعية.[1]

لكن بالإضافة إلى الضغوط الخارجية، فإن حركة التنظيمات كانت أيضا نتيجة للضغوط الداخلية من قبل عدد من الأتراك الذين تعلموا في الغرب أو بطريقة أخرى عن طريق احتكاكهم بالغرب[2]. فقد رأت إدارة التنظيمات، التي تأثرت بالمؤسسات الغربية، استحالة تسيير شؤون الدولة في عالم سريع التغير وفقا للمبادئ الدينية. وشعرت تحت الضغط الكبير للأحداث بأنها مجبرة على إدخال القوانين والمؤسسات الغربية إلى تركيا، والتي كانت قائمة على المبادئ الحديثة الموجودة في الأمم الحديثة.[3] وبدأ التحول التدريجي إلى العلمانية في مجالات الإدارة والقضاء والمؤسسات التعليمية، وهو ما أفضى إلى إضعاف مركز هيئة العلماء ومكانتها الاجتماعية.[4] وفي الحقيقة فإن هذه الفترة (1839-1876) وضعت أسس التحديث الذي ورثته تركيا الحديثة من الماضي.

لكن على الرغم من تلك الخطوات التحديثية إلا أن الإمبراطورية العثمانية بقيت أساسا دولة ثيوقراطية صفة ومظهرا، فالسلطان كان رسميا قائد كل المسلمين. كما أن أول دستور عثماني، عام 1876، أعلن بوضوح أن الواجب الرئيسي للجمعية كان يتمثل في دعم مبادئ الشريعة، مادة أخرى من الدستور نصت على أن دين الدولة هو الإسلام[5]. وفي هذا الصدد يؤكد الدكتور **أحمد نوري النعيمي**، في كتابه "**النظام السياسي في تركيا**"، أن "إدخال وسائل المدنية الحديثة من تطوير العلم والمدارس، وإدخال التقنية الحديثة في الجيش، وإنشاء مدارس على النمط الغربي، لا يعني في الحقيقة، تبني العلمانية في الدولة العثمانية لأن الإسلام لم يكن ليمنع هذه الأمور جميعا".

إن سياسات الإصلاح المتبعة في فترة التنظيمات لم تقم أبدا على الطلب الشعبي، بل تم فرضها على المجتمع العثماني لأن البيروقراطيين في السلطة اعتبروها ضرورية أو لأنهم أجبروا على ذلك من طرف

---

[1] Erik J. Zürcher, Op.cit., p.2.

[2] أحمد نوري النعيمي، مرجع سابق، ص.19.

[3] Bülent Daver, Op.cit., p.31

[4] تاشبينار عمر، مرجع سابق، ص.ص.10-11.

[5] Bülent, Daver, Op.cit., p.32.

ممثلي القوى الكبرى. بذلك فإن الإصلاحات لم تحظى بدعم كبير، فظهر رد فعل معارض في الأوساط الشعبية من الأغلبية المسلمة التي رأت فيها تخليا عن التفوق الذي أسسه أجدادهم بالسيف. تطور نوع آخر من المعارضة في أوساط الإصلاحيين أنفسهم، مجموعة من البيروقراطيين الذين تلقوا تدريبا غربيا (أغلبهم من موظفي مكتب الترجمة بوزارة الخارجية)، من خلال معرفتهم للفرنسية أصبحوا ملمين بالتيارات الفكرية الأوروبية في وقتهم، خاصة أفكار 1848، الليبرالية والقومية، [1] هذه المجموعة من البيروقراطيين والكتاب أصبحت تعرف بـ "العثمانيين الشباب". كانت وجهة النظر التي تبنتها حركة "الشباب العثمانيين" هي أن لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي تحميه من الانحلال، وأن العثمانيين أهملوا البعد الديني الهام جدا في الثقافة لدى محاكاتهم للغرب بطريقة سطحية. [2]

لقد كان الشباب العثمانيين جماعة صغيرة ضمن النخبة الحاكمة، الذين لم تدم نشاطاتهم المنظمة أكثر من خمس سنوات، لكن بالرغم من ذلك فقد كان لهم تأثير، ولو غير مباشر، في وضع الدستور العثماني لعام 1876، وفي الحركة الدستورية العثمانية التي عارضت الحكم الأوتوقراطي للسلطان بعد 1878 التي قامت على كتاباتهم. [3]

في حين رأت الطبقة البيروقراطية في الدولة أن سياسات الإصلاح المستلهمة من أوروبا وسيلة فعالة لمواجهة مشاكل الإمبراطورية، رأى العلماء أن هذه الإصلاحات تقوم بإضعاف الدولة[...] وبدأوا يجادلون بأنه يجب على الدولة العثمانية قبول الخبرة العلمية والتكنولوجية الأوروبية وليس مؤسساتها الاجتماعية والسياسية وإيديولوجيتها، وقد رأوا بأن الإسلام عامل مهم لتماسك المجتمع العثماني ويجب أن يصبح إيديولوجية الدولة. أصبح لهذه الأفكار تأثير أكبر على الحكومة العثمانية مع حكم السلطان **عبد الحميد الثاني** (1876ـ 1908). خلال حكم عبد الحميد الثاني ظهرت مجموعة من الإصلاحيين، المعروفة بحركة "تركيا الفتاة"، الذين قدموا أنفسهم على أنهم تقدميين على أساس أنهم تلقوا تعليما علميا وكانوا موجهين بالعلم والمنطق بدل الدين[...] كان

[1] Erik J. Zürcher, Op.cit., p.p.69-70.

[2] تاشبينار عمر، مرجع سابق، ص.12.

[3] Erik J. Zürcher, Ibid., p.p. 73-74.

هدفهم الأول والرئيسي حماية وتعزيز سلطة الدولة العثمانية، حتى محاولاتهم لخلق "مواطنة عثمانية" كانت تهدف إلى توسيع الأساس الاجتماعي للدولة.[1]

في حين حاولت حركة "تركيا الفتاة"، الذين وصلوا إلى السلطة من خلال الحركة الدستورية عام 1908، الحفاظ على السلالة الحاكمة مع القيام باصلاحات قام خلفُهم بإلغاء الملكية وتأسيس جمهورية علمانية. كان أول ظهور **لأتاتورك** في السياسة الدستورية نتيجة احتلال الحلفاء (بريطانيا، فرنسا، إيطاليا، اليونان) لاسطنبول في16 مارس 1920، أين قاموا باعتقال حوالي 150 قوميا وترحيلهم إلى مالطا. تم وقف البرلمان في احتجاج مع دعوة أتاتورك لانتخاب برلمان جديد يكون مقره في أنقرة، المركز الرئيسي للحركة القومية. التقى البرلمان الجديد (المجلس الوطني الكبير) في 23أفريل 1920، وفي ماي من ذلك العام قام بتعيين لجنته التنفيذية مع أتاتورك رئيسا لها.[2]

بعد تحقيق **أتاتورك**، باعتباره قائدا للقوميين، انتصارات عسكرية ضد القوى الغربية المتحالفة و تحرير كل الأراضي التركية، قام مصطفى كمال بوضع برنامجه من أجل التغيير السياسي، فقام عام 1922 بتأسيس حزب سياسي، هو "**حزب الشعب** " والذي أصبح اسمه "**حزب الشعب الجمهوري**" عام 1924، ليكون أداة للحكم بعد أن استطاع إلغاء السلطنة وإعلان تأسيس الجمهورية التركية عام 1923.

الفرع الثاني: العلمانية عند أتاتورك

بشكل أو بآخر، فإنه قبل نشأة الجمهورية كان الدين الإسلامي يلعب دورا مهما سواءا في الحياة السياسية أو الحياة العامة، ومترسخ لدى الأتراك عبر تراكمات قرون ممتدة... أما في عهد الجمهورية، فقد أصبح الإسلام لا يمثل بالنسبة للدولة سوى دين الغالبية العظمى لسكانها لا أكثر ولا أقل، جرى وضعه في حدود اختصاص دائرة حكومية، تعمل تحت إشراف الدولة باسم "هيئة الشؤون

[1] M. Hakan, Yavuz: **Islamic Political Identity in Turkey**, New York, Oxford University Press, 2003. P.42.

[2] Edel Hughes: « The Secularism Debate and Turkey's Quest for European Union Membership», Religion and Human Rights, 3, 2008, pp 15–32, p.p. 17-18.

الدينية".[1] فقد رأى الآباء المؤسسون للجمهورية التركية أن الإسلام عقبة أمام التقدم وينبغي أن يقتصر على المستوى الشخصي للأفراد والاحتفاظ له بدور هامشي في الحياة العامة. وفي حين يمكن القول بأن القيم المسيحية أثرت في تطور العديد من الدول الأوروبية، فإنه لم يكن للدين نظريا أي دور في المحيط العام في تركيا الحديثة منذ تولي مصطفى كمال أتاتورك الحكم.[2]

ومن أجل تأسيس جمهورية علمانية على النسق الغربي، عمل **مصطفى كمال** على إجراء تغييرات استهدفت فصل الدين عن الدولة، فكان أولها إنهاء الخلافة في 3 مارس 1924، وإلغاء وزارة الشؤون الدينية 1924، وإلغاء العمل بالتقويم الهجري واستبداله بالتقويم الميلادي واستبدال الحروف العربية باللاتينية وترجمة القرآن والأذان إلى التركية، بالإضافة إلى حل المحاكم الإسلامية والبدء بتطبيق القانون المدني السويسري في 1926، ثم قانون العقوبات الإيطالي، وفي عام 1929 بدأ الأخذ بالإجراءات الجنائية الألمانية. وفي عام 1928 ألغيت الفقرة الثانية من الدستور التي كانت تنص على أن كون "الإسلام هو دين الدولة التركية" ليُستبدل عام 1937 بـ "العلمانية" أي بالرؤية التركية للفصل بين الدولة والدين".[3]

لقد كان **لكمال** رسالة تمدينية متأثرة بشدة بالثورة الفرنسية وخصوصا بالتقاليد الفرنسية المعادية للمؤسسة الدينية (اللائكية) وهو نوع معين من العلمانية النشطة المدفوعة بقوة الدولة...أصبحت اللائكية في المعجم السياسي الكمالي اختبارا للحداثة، ولكي يكون المرء مواطنا تركيا مستنيرا وقوميا وجمهوريا وحديثا ومتمدينا؛ فإنه بالتعريف لا بد أن يكون علمانيا. وانخرط الكماليون في علمانية مسيطرة على السياسة حيث إنهم كانوا يؤمنون أن الإسلام كأسلوب للحياة يعيق التحول الإيجابي للفرد.[4]

في الممارسة الفعلية للعلمانية، أصبحت سطوة الدولة على المجتمع تعني تحول المبدأ بمعناه القاضي بفصل الدين عن السلطة من عملية تستهدف تحرير المعتقدات الدينية من سيطرة الدولة

[1] ياسر أحمد حسن، مرجع سابق، ص.ص.44.45.

[2] Edel Hughes, Op.cit., p.17.

[3] راينر هيرمان، مرجع سابق، ص.32.

[4] تاشبينار عمر، مرجع سابق، ص.ص.14.15.

إلى عملية تستهدف التحرر من هذه المعتقدات، وبدا أن خطوات الجمهورية الكمالية على هذا الصعيد تنتهي بها إلى فرض دين جديد، هو علمانيتها، محل هذه المعتقدات.[1]

بالرغم من أن العلمانية أصبحت جزءا لا يتجزأ من الجمهورية التركية شأنها شأن أي دولة أوروبية أخرى، إلا أنه لا بد من التأكيد على بعض الاختلافات بين مبدأ العلمانية في تركيا من جهة وبين الدول الغربية من جهة أخرى، نذكر منها:

- على خلاف الدول الغربية، فإن مبدأ العلمانية في تركيا لم يتحقق عن طريق تيارات وأفكار الفلاسفة التطورية، التي انتشرت ما بين أجزاء كبيرة من الشعب على مر القرون، لكن بدلا من ذلك فإنه كان نتيجة فعل مباشر وصارم وحماس ثوري لنخبة صغيرة معتبرة من البيروقراطيين وضباط الجيش الشباب.[2] إن محاولة أتاتورك عامة لتحويل تركيا إلى دولة حديثة، غربية وعلمانية كانت تمثل بالأساس "ثورة من الأعلى"، أين تم فرض الرؤية العلمانية لنخبة عسكرية-بيروقراطية صغيرة على مجتمع تقليدي معارض.[3]
- "إن العلمانية في الغرب تعني فصل الكنيسة عن سلطة الدولة، ولكن العلمانية في بلد مسلم تحمل مفهوما أكثر من ذلك لأن الإسلام ممتزج بالدولة وبشكل قوي، فالشريعة تحكم حياة الأفراد في كل نواحيها، ولم يستطع أي بلد إسلامي اختيار طريق العلمانية سوى تركيا، لذلك فإن تركيا أحدثت بموقفها هذا هزة شديدة في العالم الإسلامي."[4]
- في الجمهورية التركية، العلمانية لا تعني فصل الدين عن الدولة فقط، كما هو الحال في أغلب المجتمعات الغربية. لقد أصرت الدولة الكمالية، بالاعتماد على الممارسة

---

[1] ياسر أحمد حسن، مرجع سابق، ص. 45.

[2] Bülent, Daver, Op.cit., p.29.

[3] Angel Rabasa & F. Stephen Larrabee: **The Rise of Political Islam in Turkey**, Santa Monica, RAND Corporation, 2008, p.32.

[4] ضابط تركي، **الرجل الصنم كمال أتاتورك**، (ترجمة عبد الله عبد الرحمن)، بيروت 1978، ص.541. نقلا عن: أحمد نوري النعيمي،مرجع سابق، ص.198.

العثمانية إضافة إلى النموذج الفرنسي للائكية، على السيطرة على الدين من طرف مؤسسات الدولة.[1]

- في تركيا تعتبر العلمانية (اللائكية) شرطا من شروط عملية الاتجاه نحو الغرب، بينما في فرنسا شددت العلمانية على التحول نحو الديمقراطية، وهذه نقطة هامة جدا، لأن هناك إحساسا عاما بأن العلمانية التركية سادت على حساب عملية التحول نحو الديمقراطية.[2]

حاولت نخب الدولة، في فترة الحزب الواحد، من خلال القيام بإصلاحات جذرية أن تضع الإيديولوجية الكمالية مكان الدين (الإسلام)، لكنهم لم ينجحوا في ذلك. الإيديولوجية الكمالية لم تحل محل الإسلام في الحياة العامة، فبالرغم من حظر المؤسسات الإسلامية وأنماط الحياة وبعض الممارسات التقليدية إلا أن ذلك لم يدمره.[3] وهذا ما سيظهر خلال المرحلة التالية وهي مرحلة التعددية الحزبية.

الفرع الثالث: التعددية الحزبية وعودة الإسلام إلى الحياة العامة

بعد وفاة أتاتورك عام 1938 وبعد التحول إلى نظام التعددية تحت رئاسة **إينيونو İnönü** عام 1945، حدث هناك تغيير إلى حد ما. أحد أهم القضايا الجدلية بين حزب الشعب الجمهوري الذي أطلق العلمانية ودافع عنها، وبين الحزب الديمقراطي الجديد كان دور الدين في الحياة التركية. لقد قام الحزب الجمهوري ببعض التنازلات بعد 1945 فيما يخص هذه المسألة تحت الضغط الشديد لحزب المعارضة، فقد سمح الحزب الجمهوري على سبيل المثال ، بالتعليم الديني في المدارس العمومية بناء على طلب خطي من الوالدين، وتأسيس كلية العقيدة (**الثيولوجيا**) بأنقرة

[1] Angel, Rabasa & F. Stephen, Larrabee, Op.cit., p.11.

[2] تاشبينار عمر، مرجع سابق، ص.17.

[3] Fatma Yildiz: **Islamist Perception Of Turkey's EU Membership In Historical Process**, Master of Arts in International Relations, Institute of Social Sciences, Fatih University, 2005, p. 22.

وتدريب الأئمة.[1] بل أعلن الحزب الحاكم في مؤتمره عام 1947 أن "الدين غذاء روحي للمجتمع" ما كان شعارا يتعذر إطلاقه ببساطة هكذا خلال عهد أتاتورك. لكن على الرغم من هذه المحاولات، كان حزب **مندريس** ينجح على الجبهة المقابلة في جذب انتباه وتأييد المواطنين بفعل الوعود التي قطعها بتخفيف قبضة الدولة على الأفراد، وكان ذلك يعني للسكان المحافظين على امتداد الأناضول إبعاد سلطة الدولة عن التدخل في شؤونهم الخاصة بقمع مظاهر تقاليدهم وممارستهم الدينية.[2]

لقد اكتسب الحزب الديمقراطي، بزعامة **عدنان مندريس**، تأييدا كبيرا من قبل مختلف فئات المجتمع، ما أدى إلى فوزه بالأغلبية الساحقة في انتخابات عام 1950. لكن على الرغم من تأكيد الحزب على العلمانية في برنامجه الذي رسمه لنفسه عام1946 وذلك في المادة (14) من قانون الحزب، إذ جاء فيها: "إن الحزب يفهم العلمانية بعدم تدخل الدولة في شؤون الدين"، إلا أنه: "يرفض حزبنا التفسير الخاطئ للعلمانية والقائل أن العلمانية هي ضد الدين. وعلى هذا الأساس نعترف بحرية الدين كحق من حقوق الأفراد، ونؤيد تأسيس التنظيمات التعليمية الدينية والتي قام بها معلمو الدين. إن هذه التنظيمات شيء ضروري، ولكن من جانب آخر لا يعترف الحزب ولا يسمح باستخدام الدين لأغراض سياسية".[3]

وعلى هذا الأساس قام الحزب بمجموعة من الإصلاحات كان منطلقها أن المجتمع التركي هو مجتمع إسلامي، "فكما أن الدول الأوروبية، هي مسيحية في العقيدة، إلا أن أنظمتها السياسية هي علمانية، والشيء نفسه ينطبق على الدين الإسلامي، إذ أنه دين الأتراك مع الاحتفاظ بالعلمانية كنظام سياسي".[4] فتابع الديمقراطيون سياسة حزب الشعب الجمهوري في التخفيف من القيود على التعبير عن المشاعر الدينية، فأصبح رفع الأذان بالعربية قانونيا مجددا، توسيع التعليم الديني في المدارس العمومية إلا بطلب من الوالدين في عدم تلقي أولادهم لمثل

---

[1] Bülent, Daver, Op.cit., p.32.

[2] ياسر أحمد حسن، مرجع سابق، ص.ص. 72-73.

[3] أحمد نوري النعيمي، مرجع سابق، ص. ص. 169-170.

[4] الزين مصطفى، **أتاتورك وخلفاؤه**، لبنان، بيروت، دار النهار للنشر، ص.290. نقلا عن: أحمد نوري النعيمي، نفس المرجع، ص. 174.

هذا التعليم، زيادة عدد مدارس الأئمة، بالإضافة إلى زيادة ملحوظة في بناء المساجد والسماح ببيع الكتب الدينية.[1]

استمر حكم الديمقراطيين من 1950 إلى غاية 1960 لـ كنه انتهى بانقلاب عسكري، فقد رأت النخبة الكمالية ذات التوجه الغربي والجيش الذي يعتبر نفسه حارس الكمالية أن حكومة **مندريس** تهدد القيم الكمالية والعلمانية في تركيا. وبعد استيلاء الجيش على السلطة يوم 27 ماي 1960 "تم تشكيل لجنة الوحدة الوطنية برئاسة قائد القوات البرية، الذي أصبح رئيسا للجمهورية وللحكومة حتى أجريت انتخابات جديدة في 15 أكتوبر 1961 وفق دستور جديد للبلاد، تم إعداده بفلسفة جديدة، صدر بعد الاستفتاء عليه في 9 يوليو 1961. وجرى تقديم رئيس الوزراء **مندريس** وبعض أعضاء حكومته للمحكمة التي أدانتهم، فتم تنفيذ حكم الإعدام بحقه وبحق اثنين من وزرائه. هكذا انتهى عقد الخمسينات في تركيا بإعدام من أجرى صلحا مع الهوية الدينية للمجتمع، وأتاح للدين مظهره العام وليس الفردي."[2]

لقد أعطى الدستور الجديد حرية أكبر للنشاط السياسي مما أدى إلى ظهور أحزاب سياسية جديدة التي كانت لها فرصة الترشح في انتخابات 1961، كان أبرزها حزب العدالة (***Adalet Partisi***) الذي ترأسه ***Ragip Gümüşpala*** حتى وفاته عام 1964. يعتبر حزب العدالة مواصلة لسياسات الحزب الديمقراطي ما أكسبه شعبية أكبر وسط أنصار الحزب الديمقراطي سابقا، وقد استطاع أن يأخذ نسبة معتبرة من الأصوات خلال الانتخابات البرلمانية التي جرت في 15 أكتوبر 1961، إذ تحصل على نسبة 34,7٪مقابل حزب الشعب الجمهوري الذي فاز بفارق بسيط فتحصل على نسبة 36,7٪، فتشكلت حكومة ائتلافية برئاسة **عصمت إينيونو**.[3] لكن استطاع حزب العدالة برئاسة **سليمان ديميريل** ***Süleyman Demirel*** أن يحقق فوزا ساحقا خلال انتخابات1965.

[1] Erik J. Zürcher, Op.cit., p.244.

[2] ياسر أحمد حسن، مرجع سابق، ص. 75.

[3] Erik J. Zürcher, Op.cit., p.p. 258-259.

سيطر حزب العدالة على المشهد السياسي التركي ما بين 1963 و1970، وساعد على إدماج سكان الريف والقرى في الحياة المدنية من خلال سياساته لبناء جسور بين المجتمع والدولة[...] فضلا عن ذلك، فقد طور حزب العدالة مقاربة أكثر تباينا للعلمانية بالقول أن الدولة "يجب أن تكون علمانية" لكن ليس الأفراد. بطريقة تمزج الولاء الديني الشخصي مع العلمانية السياسية واقتصاد السوق.[1] لكن مع بداية 1971 بدأت تضعف حكومة **ديميريل** وعجزت عن مواجهة المشاكل التي أصبحت تواجهها، عندها قدم رئيس الأركان العامة، في 12 مارس 1971 مذكرة لرئيس الوزراء كانت بمثابة إنذار من قبل القوات المسلحة، والتي طالبت بتشكيل حكومة قوية وجديرة بالثقة والتي يمكنها أن تنهي الفوضى وتقوم بالإصلاحات "بروح كمالية". إذا لم يتم تنفيذ هذا الطلب فإن الجيش سيمارس واجبه الدستوري ويستولي على السلطة بنفسه.[2] وهذا ما يعتبر الانقلاب العسكري الثاني الذي شهدته تركيا في عهد الجمهورية الثاني.

أجبر الجيش كل الأحزاب على تشكيل حكومة وحدة وطنية من 1971 إلى 1973[...] وطلب قادة الانقلاب من المحكمة الدستورية حظر "حزب النظام الوطني" ***Milli Nizam Partisi*** بزعامة **نجم الدين أربكان** و "حزب العمال التركي" ذو التوجه الماركسي ***Türkiye İşci Partisi***. استطاع حزب الشعب الجمهوري بعدها أن يحقق انتصارا في انتخابات 1973 و1977 ولكن ذلك لم يمكنه من الحصول على الأغلبية في البرلمان. من هنا فقد عرفت تركيا من 1973 إلى 1980 حكومات ائتلافية غير مستقرة والتي فشلت في مواجهة مشاكل الدولة البنيوية المتزايدة. شهدت فترة السبعينات انقسامات سياسية قائمة أساسا على انقسامات إيديولوجية بين اليسار واليمين.[3]

لقد أدى عدم الاستقرار السياسي بالإضافة إلى تفاقم المشكلات الاقتصادية إلى انتهاء عهد الجمهورية الثاني بانقلاب عسكري ثالث بقيادة الجنرال **كنعان إيفرين** - ***Kenan Evren*** -

[1] M. Hakan, Yavuz, Op.cit., p. 65.

[2] Erik J. Zürcher, Op.cit., p.271.

[3] M. Hakan, Yavuz, Op.cit., p. 65.

وذلك يوم 12 سبتمبر 1980، الهدف الرئيسي الذي تم إعطاؤه لهذا التدخل الجديد كان: "من أجل تأسيس ديمقراطية قوية وسليمة ومن أجل التخلص من القوى الهدامة التي كانت تحاول تقسيم تركيا وكانت تعرض جوهر مبادئ جمهورية أتاتورك للخطر". أحد تلك المبادئ كان العلمانية. [1] فقد جاء في البيان الأول للانقلاب أن الجيش "تسلم السلطة وفقا للقانون الذي يجيز له ذلك لحماية الجمهورية"... وأن هدفه يتمثل في "استعادة النظام وإزالة العقبات التي تقف أمام الديمقراطية"، وجرت إقالة الحكومة وحل البرلمان وفرض حظر تجول في البلاد ومنع مغادرتها، وأعلنت الأحكام العرفية. [2] لكن "يؤكد كثير من الباحثين الأتراك أن انقلاب 12 أيلول 1980 استهدف بالدرجة الأولى الاتجاه الإسلامي الذي بدأ في ازدياد نشاطه في تلك المدة". [3]

كانت الأهداف الأولية لانقلاب 1980 تتمثل في الحيلولة دون تسييس المجتمع وإعادة بناء النشاط السياسي، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف حاولت اللجنة العسكرية أن تجعل الدين تحت سيطرتها واستعماله من أجل أهدافها الإستراتيجية. فاستعملوا الإسلام المعتدل في مواجهة الشيوعية والفاشية والتطرف الديني والتي كانت تعتبر تهديدات حقيقية للنظام. [4] وبدل إظهار العداوة العسكرية التقليدية اتجاه الإسلام، أخذ قادة الانقلاب خطوات عديدة لاستعمال الدين. ففتحوا الصفوف القرآنية، وأصبح التعليم الديني إجباري في المدارس العمومية، وتم توظيف أئمة جدد. [5] وبهذا فإن الجيش قد ساهم، من خلال الإجراءات التي قام بها، في تعزيز دور الإسلام في المجتمع بل وفي الحياة السياسية أيضا، ما أدى إلى خلق بعض الأحزاب السياسية ذات التوجه الإسلامي.

بعد تشكيل لجنة تشريعية تحت رئاسة البروفيسور **أورهان ألدكاتشي**، قدمت هذه الأخيرة أول صورة للدستور الجديد في 17 يوليو عام 1982. وقد مثل هذا الدستور الجديد تراجعا في دستور

---

[1] Bülent, Daver, Op.cit., p.p. 37-38.

[2] ياسر أحمد حسن، مرجع سابق، ص.ص. 80-81.

[3] أحمد نوري النعيمي، مرجع سابق، ص. 284.

[4] Fatma Yildiz, Op.cit., p.24.

[5] M. Hakan, Yavuz, Op.cit., p.69.

1960، إذ ركز السلطة في قبضة السلطة التنفيذية، وزاد من سلطات رئيس الجمهورية ومجلس الأمن القومي، وحد من حرية الصحافة وحرية الاتحادات العمالية بمنع التظاهرات السياسية وتظاهرات التضامن، كما قيد حقوق وحريات الأفراد.[1]

بعد حظر نشاط الأحزاب السياسية الفاعلة قبل الانقلاب ولمدة عشر سنوات، سمح مجلس الأمن القومي لثلاث أحزاب فقط بالمشاركة في انتخابات 1983، وهي: حزب الديمقراطية الوطني -*Milliyetci Demokrasi Partisi*-، والحزب الشعبي -*Halkçi Parti*-، وحزب الوطن الأم -*Anavatan Partisi*- بزعامة **تورغوت أوزال** -*Turgut Özal*- هذا الأخير أصبح، بعد فوز حزبه في انتخابات 1983 بنسبة 45.2% من مجموع الأصوات، رئيسا للوزراء إلى غاية 1989، ثم أصبح بعد ذلك رئيسا للجمهورية من 1989 إلى غاية وفاته عام 1993.

لقد ساهمت الإصلاحات الاقتصادية والسياسية التي قام بها **تورغوت أوزال** في منتصف الثمانينات في تقوية دور الجماعات الإسلامية. فقد قللت الإصلاحات من سيطرة الدولة على الاقتصاد وخلقت طبقة وسطى جديدة من المقاولين والرأسماليين من المدن القروية في الأناضول، سُميت بـ: "البرجوازية الأناضولية" ذات الجذور القوية في الثقافة الإسلامية. هذه المجموعة تؤيد السياسات الليبرالية الاقتصادية وتقليص دور الدولة في المحيط الاقتصادي والاجتماعي، كما تدعم أيضا حرية دينية أكبر.[2] أعلن مبدأ "دعه يعمل دعه يمر" في الاقتصاد وفي السياسة، وأعطى حريات للفرد في مجتمع لم يكن يعول على دور الفرد.[3] كما تبنى سياسة إسلامية معتدلة، طامعا في إحداث تسوية تاريخية بين الأتاتوركية والإسلام في تركيا. فكان من بين ما قام به بعد توليه الحكم أن دعم مدارس "إمام خطيب"، حظر وزارة التربية تدريس نظرية دارون في المدارس الابتدائية والمتوسطة، السماح للفتيات بارتداء الزى الإسلامي، كما سمح بالدعاية

[1] رضا هلال: **السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي**، مصر، القاهرة، دار الشروق ، الطبعة الأولى، 1999، ص. 143ـ144.

[2] Angel, Rabasa & F. Stephen, Larrabee, Op.cit., p.38- 39.

[3] ياسر أحمد حسن، مرجع سابق، ص.91.

الإسلامية في الإذاعة والتلفزيون والمطبوعات[...] وفي إطار السياسات الليبرالية الاقتصادية، أتيحت الفرصة لشركات تجارية ومشروعات إسلامية للتأسيس والنمو والانتشار.[1]

كما سمح أوزال لأول مرة في تركيا بحق تأسيس بنوك ومؤسسات مالية تمارس العمل المصرفي على أسس إسلامية دون فوائد بنكية.[2] أحد أهم ما خلفته سنوات **أوزال** كانت إضفاء الشرعية رسميا لمنظورات جديدة حول دور الإسلام والإرث العثماني في المجتمع التركي المعاصر، لقد استعمل الطرق الصوفية، روابط القرابة واتحادات المساجد لبناء جسور ديناميكية مع المجتمع ما أدى إلى تكيف هذه الشبكات التقليدية في المحيط الحضري الحديث.[3]

لقد أدت السياسات الصناعية والتحديثية إلى تدفق كبير لسكان المناطق الريفية نحو المدن الذين جلبوا معهم عاداتهم التقليدية ومعتقداتهم وأعرافهم، وقاموا ببناء أكواخ في أحياء عشوائية على ضواحي المدن الكبرى. هذا التدفق الكبير ساهم في خلق نوع من التوتر والصدام الداخلي في تركيا بين فئتين: الأولى، حضرية علمانية والثانية، ريفية ومتدينة. بطرق عديدة، جسد **أوزال** هذه التقاليد المتصادمة فقد كان تكنوقراطي تحصل على تدريب غربي وعمل في البنك العالمي، وفي نفس الوقت كان مؤيدا للطرق النقشبندية وكان منضما إلى حزب السلامة الوطني لـ**أربكان** قبل تأسيس حزب الوطن الأم. وبهذا فقد قام بوصل الانقسام العلماني-الإسلامي.[4] لم يهدف **أوزال** من خلال توجهاته نحو "إسلامية معتدلة" إلى الحد من "تطرف الأتاتوركية" فقط بل وكذلك للحد من الراديكالية الإسلامية الصاعدة في تركيا الثمانينات، بعد نجاح الثورة الإيرانية الإسلامية عام 1979.[5]

ساهمت الليبرالية الاقتصادية والسياسية التي شهدتها فترة حكم أوزال في تزايد نشاط الحركات الإسلامية والأحزاب السياسية ذات التوجه الإسلامي، والتي انتهت بوصول أول حزب إسلامي إلى رئاسة الحكومة وهو "حزب الرفاه" -*Refah Partisi*- بزعامة **نجم الدين أربكان**-

[1] رضا هلال، مرجع سابق، ص.154.

[2] ياسر أحمد حسن، مرجع سابق، ص.94.

[3] M. Hakan, Yavuz, Op.cit., p. 75.

[4] Angel Rabasa & F. Stephen, Larrabee, Op.cit., p.39.

[5] رضا هلال، مرجع سابق،ص.155.

-*Necmettin Erbakan* عام 1996. كان هذا الحزب نتيجة لسلسلة من الأحزاب التي أسسها **أربكان** كان أولها حزب النظام الوطني عام 1970 والذي تم حله مع انقلاب 1970، ليؤسس عام 1972 حزب الخلاص الوطني -*Milli Selamet Parisi*- كان الحل المقترح من طرف الحزب لمواجهة مشاكل تركيا هو العودة إلى تعاليم الإسلام. استطاع هذا الحزب أن يشارك في الحياة السياسية بقوة فترة السبعينات بعد اشتراكه في الحكومة الائتلافية مع حزب الشعب الجمهوري و"حزب العدالة" عام 1973، برئاسة زعيم الحزب الجمهوري **بولنت أجاويد** -*Bülent Ecevit* . ثم كانت مشاركتان أخريان للسلامة الوطني (الخلاص) في حكومتين ترأسهما زعيم حزب العدالة **سليمان ديميرل** في عامي 1975 و1977. وفي الحالات الثلاث كان **أربكان** نائبا لرئيس الحكومة. لكن مجددا وبعد انقلاب 1980 تم حظر "حزب السلامة" هو الآخر ليحل محله "حزب الرفاه" عام 1983 الذي تولى قيادته **ابراهيم تكدال** مؤقتا، إلى أن رفع حظر النشاط السياسي عن الزعماء الأتراك، ومنهم **أربكان** الذي عاد إلى زعامة الحزب عام 1987.[1]

لم تختلف كثيرا إيديولوجية "حزب الرفاه" عن حزب الخلاص الوطني. فقد عبر عن نفس العداوة اتجاه الغرب، كما أنه جاء ببرنامج اقتصادي "النظام العادل" الذي يؤكد على الحاجة إلى عدالة اجتماعية ومساواة أكبر ونهاية التأثير الغربي. أما في السياسة الخارجية فقد دعا الحزب إلى قطع روابط تركيا مع الغرب واندماج أكبر مع العالم الإسلامي.[2] ظهر "حزب الرفاه" بقوة لأول مرة في الانتخابات المحلية عام 1994، أما انتصاره الأكبر فقد تمثل في الانتخابات النيابية التي جرت في ديسمبر 1995 إذ فاز بالمركز الأول للمرة الأولى. "وتشكلت في إثر الانتخابات حكومة ائتلافية برئاسة **مسعود يلماظ** (حزب الوطن الأم) ومشاركة **تانسو تشيلر** (حزب الطريق الصحيح -*Doğru Yol Partisi*-) لم تصمد طويلا حتى سقوطها في 6 من يونيو عام 1996، لتفسح الفرصة التاريخية أمام "الرفاه" لتشكيل حكومة جديدة برئاسة "إسلامي" هو **نجم الدين أربكان**، للمرة الأولى في تاريخ تركيا الحديث"،[3] بالشراكة مع حزب الطريق الصحيح.

---

[1] محمد نور الدين، مرجع سابق، ص.90.

[2] Angel, Rabasa & F. Stephen, Larrabee, Op.cit., p.p.41-42.

[3] رضا هلال، مرجع سابق، ص.159.

لكن رغم شعارات **أربكان** خلال حملته الانتخابية التي عكست معاداة الغرب ومعاداة السامية والمطالبة بتكوين أمم متحدة إسلامية، واتحاد جمركي إسلامي وحلف عسكري إسلامي على غرار حلف الناتو، [1] إلا أن الحزب ومنذ توليه السلطة لم يمس علاقة تركيا بالغرب عموما، ولم يتعرض لالتزاماتها الدولية ومنها حلف الناتو على عكس ما وعد، ولا تأثرت علاقة تركيا باسرائيل، بل شهدت فترة حكمه توقيع اتفاق التعاون العسكري بينهما. [2]

إن التزام **أربكان** باستمرار تركيا غربية علمانية، لم يمنع من وضعه تحت مراقبة المؤسسة العلمانية في الدولة وخاصة المؤسسة العسكرية. قامت هذه الأخيرة، وعلى خلاف التدخل العسكري المباشر عام 1960 و1971 و1980، بانقلاب غير مباشر هذه المرة وهذا بعد اجتماع مجلس الأمن القومي يوم 28 فيفري 1997الذي خرج ببيان كان عبارة عن إنذار موجه لـ**أربكان**، والذي تضمن مجموعة من التوصيات التي لم يستطع تنفيذها فقادت المؤسسة العسكرية حملة بمشاركة مؤسسات اقتصادية وإعلامية وأكاديميين، خرجوا للرأي العام للتعبير عن رفضهم لسياسات الحكومة، التي "باتت تهدد نظام البلاد ووحدتها"، وفي أواخر أبريل 1997نشرت رئاسة الأركان التركية تقريرا عن مفهوم الأمن القومي التركي الجديد، وضع "الخطر الأصولي الرجعي" خطرا أولا على تركيا قبل خطر الانفصال الكردي. [3] هذا ما أدى في الأخير إلى إجبار **أربكان** على الاستقالة في جوان 1997، وفي جانفي 1998 تم حل حزب الرفاه ومنع زعيمه أربكان وستة آخرين من قادته من ممارسة العمل السياسي لمدة خمس سنوات.

إن أحداث 1997 أدت إلى اقتناع أعضاء الحركات الإسلامية بأن أي محاولة مباشرة لدفع أجندة إسلامية لن تنجح وستولد معارضة قوية من العلمانيين، خاصة الجيش، وبالتالي فإن الطريقة الوحيدة للإسلاميين للنجاح في تجنب المواجهة المباشرة مع العلمانيين. هذا الاعتراف أشعل نقاش حاد داخل الحركة الإسلامية حول الإستراتيجية والأجندة السياسية المستقبلية، مما أدي إلى ظهور مجموعتين مختلفتين: "التقليديين" بزعامة **أربكان** **ورجائي كوتان** -***Rcai Kutan***- معارضين لأي تغيير جدي في مقاربة أو سياسة الحركة، في حين مجموعة "الحداثيين" أو "الإصلاحيين"

[1] رضا هلال، مرجع سابق، ص.166.

[2] ياسر أحمد حسن، مرجع سابق، ص.149.

[3] ياسر أحمد حسن، نفس المرجع، ص.150.

بقيادة رجب طيب أردوغان وعبد الله غول -*Abdullah Gül*- الذين رأوا بأن على الحزب إعادة النظر في مقاربته لعدد من المسائل الأساسية، خاصة الديمقراطية، حقوق الإنسان، والعلاقات مع الغرب.[1]

ظهر أثر هذا الانقسام من خلال "حزب الفضيلة" -*Fazilet Partisi*- الذي حل محل "حزب الرفاه"، بحيث تصرف هذا الحزب الجديد على خلاف سابقه، الذي كان معاديا للغرب، باعتدال أكبر ودعا إلى النظام العلماني لتركيا وإلى النظام التعددية واقتصاد السوق. لكن بعد حظر حزب الفضيلة من طرف المحكمة الدستورية في جوان 2001، انقسم الحزب بشكل رسمي. فأسس التقليديون "حزب السعادة" *Saadet Partisi*، في حين أسس المجددون برئاسة **أردوغان** "حزب العدالة والتنمية" -*Adalet ve Kalkinma Partisi*-. هذا الأخير لا يُعرّف نفسه على أنه حزب إسلامي بل على أنه حزب ليبرالي ديمقراطي محافظ غير معاد للغرب، وقد ركز في خطاباته على قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان ودولة القانون، ويسعى إلى انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي.

أما فيما يتعلق بالإسلام، بالنسبة للحزب، فهو الذي يوفر "إطار للقيم والأخلاق، الإسلام هو الاعتقاد الذي يمارسه الأشخاص بشكل شخصي، لكنه لم يعد سياسيا إنما عاد ثقافيا".[2] فعندما أسس أردوغان حزب العدالة والتنمية كان يقول: "إن مرجعيتي الشخصية هي الإسلام، لكن مرجعيتي السياسية على العكس من ذلك هي الدستور والمبادئ الديمقراطية"، وقد صرحت زعيمة الحزب الديمقراطي المسيحي أنجيلا ميركل في فبراير 2004 أثناء زيارتها لتركيا أن الحزب المسيحي الديمقراطي وحزب العدالة والتنمية يستخلصان قيمهما من الدين لكنهما يفصلان الدين عن السياسة.[3]

فاز حزب العدالة التنمية في انتخابات نوفمبر 2002 بنسبة 34% من الأصوات، في حين احتل حزب الشعب الجمهوري المرتبة الثانية بنسبة 19%. بالإضافة إلى تبني الحزب لخطاب سياسي معتدل وبراغماتي، فقد ساعدت عوامل أخرى في نجاحه الانتخابي، منها الحالة الاقتصادية المتردية، فقد اعتبر الرأي العام الائتلاف الحاكم مسؤولا عن الأزمة الاقتصادية عام 2001، وسخط

[1] Angel Rabasa & F. Stephen, Larrabee, Op.cit., p.45.

[2] راينر هيرمان، مرجع سابق، ص.107.

[3] راينر هيرمان، نفس المرجع، ص.137.

الشعب من الفساد في الأحزاب العلمانية. بعد تولي الحزب الحكم قام بمجموعة من الإصلاحات الاقتصادية والسياسية وعمل على إعادة هيكلة مؤسسات تركيا وتشريعاتها للتوافق مع معايير الاتحاد الأوروبي،وقد أدى ذلك إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في تركيا بشكل كبير. إن التطورات التي شهدتها تركيا، خاصة الاستقرار الاقتصادي، زادت من شعبية حزب العدالة والتنمية في مختلف أوساط المجتمع مما نتج عنه انتصار جديد لحزب العدالة والتنمية في انتخابات جويلية 2007 بنسبة 46.6% هذه المرة.

لكن بالرغم مما حققه حزب العدالة والتنمية إلا أن ذلك لم يمنع المؤسسة العلمانية من اتهامه "بتطبيق ما سموه: "خطة سرية لأسلمة البلاد" وتعيين مسؤولين كبار في الدولة أوفياء له متخرجين عموما من مدارس لتأهيل الأئمة" [1]. "وأمام انحسار قدرة الجيش على التدخل السياسي اتجه العلمانيون المتطرفون نحو مؤسسة قضائية هي المحكمة الدستورية للقيام بانقلاب قضائي هذه المرة ضد حزب العدالة والتنمية من خلال قيام المدعي العام برفع دعوى إغلاق الحزب وحرمان 71 من قياداته من مزاولة العمل السياسي." [2] إلا أن المحكمة الدستورية حكمت برفضها إغلاق حزب العدالة والتنمية بتهمة "أنه يقود البلاد بعيدا عن نظامها العلماني نحو أسلمة المجتمع"، إلا أن المحكمة رغم قراراها وجهت رسالة تحذير إلى الحزب وذلك بفرض عقوبات مالية كبيرة عليه". [3] لكن رغم ذلك إلا أن الحزب واصل مسيرته وتعهد بحماية قيم الجمهورية من بينها العلمانية وفاز، للمرة الثالثة على التوالي في، الانتخابات التشريعية في جويلية 2011 بنسبة 50.4% من الأصوات.

إن خطاب حزب العدالة والتنمية ليس خطابا دعويا ثقافيا، بل هو في صميمه خطاب اقتصادي سياسي، يصرح بأنه يسعى إلى تحقيق خماسية مساعدة تركيا على الانتقال إلى مصاف الدول الكبرى وضمان وجودها في مركز الأحداث السياسية العالمية، وزيادة فرص الاستقرار السياسي والتقدم الاقتصادي فيها، وتعزيز الوزن الاستراتيجي للاتحاد الأوروبي ذاته، والمساهمة في بناء توازن

[1] سمير سبيتان: **تركيا في عهد رجب طيب أردوغان**، الأردن، عمان، الجنادرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2012، ص.38.

[2] طارق عبد الجليل، مرجع سابق، ص.81.

[3] سمير سبيتان، مرجع سابق، ص.81.

استراتيجي بين أوروبا وآسيا، ومساعدة تركيا على إقامة علاقات جيدة مع محيطها من دون استقطابات.[1] والحقيقة أن أهداف الحزب هذه هي التي أكسبته الدعم في مختلف أوساط الشعب.

استطاعت تركيا، بالرغم من كونها دولة مسلمة، أن تحافظ على طابعها العلماني من خلال الفصل بين الدين والدولة. لكن، هذا لا يعني اختفاء الدين من الحياة العامة للأتراك، بل ما زال الإسلام يشكل عنصرا أساسيا في الهوية التركية، وهذا ما يفسر ظهور العديد من الأحزاب السياسية ذات التوجهات الإسلامية. لطالما شكل هذا النموذج التركي الذي يمزج بين العلمانية والديمقراطية والإسلام تركيبة غريبة بالنسبة للأوروبيين لكنهم في نفس الوقت يشجعون باقي الدول العربية والإسلامية على تبني النموذج التركي للإسلام المعتدل.

في الأخير يمكن القول بأن تركيا تمتلك مجموعة من مقومات القوة (موقع استراتيجي، تركيبة بشرية شابة وديناميكية، اقتصاد قوي، قدرات عسكرية كبيرة، بالإضافة إلى نظام سياسي ديمقراطي)، بالإضافة إلى الموروث التاريخي والحضاري الذي ورثته عن الإمبراطورية العثمانية، والتي تلعب جميعها دورا كبيرا في تحديد توجهات السّياسة الخارجية التركية، هذه الأخيرة التي تسعى لإعطاء تركيا مكانة إقليمية ودولية تتناسب ومقدراتها القومية.

في هذا الإطار، يسجل الانضمام إلى الإتحاد الأوروبي كواحد من بين أهم أهداف السياسة الخارجية التركية، الذي تعمل منذ سنوات عديدة على تحقيقه، حيث تمثل العضوية في الاتحاد الأوروبي بالنسبة لها هدفا استراتجيا تحاول منذ عقود الوصول إليه، لكنه اكتسب دفعا قويا منذ صعود حزب العدالة والتنمية إلى الحكم، تؤكده الإصلاحات الكبيرة المعتمدة من أجل تحقيق معايير كوبنهاغن، و التي استطاعت تركيا من خلالها أن تحصل على صفة الدولة المرشحة للانضمام في قمة هلسنكي عام 1999، ليتم فتح مفاوضات الانضمام رسميا في 3 أكتوبر 2005.

[1]. محمد نور الدين، **«تركيا والاتحاد الأوروبي: مسألة الهوية والرهانات والشرق الأوسط»**، شؤون الشرق الأوسط، العدد 116، صيف 2004، ص. 66-68. نقلا عن: عبير الغندور، **« بدائل التوجه السياسي التركي المعاصر»**، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 33، شتاء 2012، ص ص. 109- 120، ص. 112.

الفصل الثاني

تركيا ضمن سياسة توسيع الاتحاد الأوروبي

لقد استطاع الاتحاد الأوروبي، من خلال تجربته الفريدة للتكامل، أن يحقق نجاحا كبيرا وأن يحتل موقعا متميزا على الساحة الدولية. فقد أدت عملية الاندماج الاقتصادي والعمل على توسيع وتعميق الاتحاد، بالإضافة إلى عملية الإصلاح المستمرة لمؤسساته وتشريعاته إلى بروز الاتحاد الأوروبي كقوة اقتصادية تجارية، بصفة خاصة، وفاعلا سياسيا مهما في منظومة العلاقات الدولية خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة. ظلّ الاتحاد الأوروبي عملية مفتوحة أمام الدول الراغبة في الانضمام والتي تقبل بتطبيق القانون الأوروبي كاملا، كما يجب عليها استكمال بعض الشروط السياسية والاقتصادية وهي ما يعرف بمعايير كوبنهاغن.

من بين أكثر حالات الانضمام إثارة للجدل، طلب تركيا العضوية في الاتحاد الأوروبي والتي بدأت محاولاتها من أجل ذلك منذ السنوات الأولى لإنشاء المجموعة الأوروبية. وبعد مسيرتها الطويلة لبلوغ هذا الهدف استطاعت تركيا أن تحصل على صفة الدولة المرشحة عام 1999، وقد تم فتح مفاوضات انضمامها إلى الاتحاد منذ 2005. لكن مع ذلك، مازال طلب تركيا للانضمام يثير جدالا واسعا في الأوساط الأوروبية ويطرح إشكالات ذات طابع خاص. لذلك سيتم التطرق خلال هذا الفصل لتطور الاتحاد الأوروبي والتوسيعات التي مر بها إلى يومنا هذا، الشروط التي يتم على أساسها قبول دولة في الاتحاد الأوروبي، موقع تركيا من سياسة التوسيع وأهم المواقف الأوروبية من انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي.

المبحث الأول: الاتحاد الأوروبي وسياسة التوسيع

لطالما اعتبر الاتحاد الأوروبي سياسة التوسيع وسيلة لنشر السلام والازدهار والاستقرار داخل القارة الأوروبية، وهذا فعلا كان الهدف الأول من تأسيس المجموعة الأوروبية للفحم والصلب ـ تعتبر النواة الأولى لنشأة الاتحاد الأوروبي ـ بعد الحروب الطويلة التي عاشتها الدول الأوروبية. بعدما تأسست أول مجموعة أوروبية من ست دول، بدأ توسيع هذه المجموعة للدول الأوروبية الأخرى الراغبة في الانضمام إليها. كان آخرها ضم 12 دولة من دول أوروبا الوسطى والشرقية، التي كانت في فلك الاتحاد السوفييتي سابقا والتي أبدت رغبتها في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي مباشرة بعد نهاية الحرب الباردة، مما أدى إلى نهاية انقسام القارة الأوروبية وأصبح الاتحاد الأوروبي اليوم يضم 27 دولة أوروبية.

المطلب الأول: تطور الاتحاد الأوروبي

يعتبر الاتحاد الأوروبي آخر مرحلة من عملية الاندماج الأوروبي والذي يسعى إلى تعزيز العلاقات السياسية والازدهار الاقتصادي في أنحاء القارة الأوروبية، وقد تم بناؤه على مر عقود من خلال مجموعة من الاتفاقيات. والحقيقة أن فكرة توحيد أوروبا فكرة قديمة، بحيث تعود هذه الفكرة "لأول مرة إلى عصر النهضة الأوروبية في الوثيقة التي حملت اسم **تراكتاتوس** (Tractatus)، وكتبها في عام 1464 ملك بوهيميا **بوديبراد** (***Podiebrad***)، بعد 11 عاما من سقوط القسطنطينية في أيدي الأتراك، من أجل مواجهة الإمبراطورية العثمانية". [1] وتتالت بعدها مجموعة من المقترحات والمشاريع التي تهدف إلى توحيد أوروبا وإقامة سلام دائم بين الملوك الأوروبيين، إلا أنها لم تنجح في ذلك واستمرت الحروب والانقسامات داخل أوروبا إلى غاية ما بعد الحرب العالمية الثانية.

كان على قادة الدول الأوروبية، التي خرجت بعد الحرب العالمية الثانية مدمرة وضعيفة،إيجاد وسيلة من أجل تحقيق السلام الدائم والاستقرار في أوروبا والعمل على النهوض باقتصادياتها وتحقيق التنمية وهذا كان أمرا صعبا لتقوم به كل دولة على حدا. عام 1950 دعا وزير الخارجية الفرنسي **روبرت شومان** -***Robert Schuman*** - إلى إنشاء "المجموعة الأوروبية للفحم والصلب" European Coal and Steel Community ـ بناء على اقتراح من أحد مستشاريه، وهو **جون مونيه** -***Jean Monnet*** - رئيس قسم التخطيط الاقتصادي في الحكومة الفرنسية. وفي 18 أفريل 1951 بباريس، وقعت كل من : فرنسا،ألمانيا الغربية، بلجيكا، إيطاليا، لوكسمبورغ وهولندا معاهدة إنشاء "المجموعة الأوروبية للفحم والصلب"، سوق موحدة في هذين القطاعين الصناعيين تتحكم فيها سلطة فوق وطنية مستقلة . كان أمل مؤسسي مشروع التكامل هذا المساعدة في مراقبة المواد الأولية للحرب وتعزيز الاعتماد الاقتصادي المتبادل، وبالتالي جعل أي صراع آخر في أوروبا غير وارد. [2]

عام 1957، وقعت الدول الست المؤسسة للمجموعة الأوروبية للفحم والصلب على اتفاقيات جديدة في روما، الأولى أنشأت "المجموعة الاقتصادية الأوروبية" (European Economic Community) من أجل

---

[1] أحمد سعيد نوفل: «متحدون في التنوع: الاتحاد الأوروبي بين القدرات والتحديات»، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 26 ، ربيع 2010، ص ص.128ـ152. ص.128.

[2]. Kristin Archick: «**European Union Enlargement**», CRS Report for Congress, Congressional Research Service, February 2013, p.2.

تطوير سياسات اقتصادية مشتركة ودمج الأسواق الوطنية المنفصلة في سوق واحدة تسمح بحرية تنقل السلع، الأفراد، رأس المال والخدمات بحرية. أما الثانية فقد أنشأت "المجموعة الأوروبية للطاقة الذرية" (European Atomic Energy Community) لضمان استخدام الطاقة النووية لأغراض سلمية. عام 1967 تم دمج كل من المجموعة الأوروبية للفحم والصلب والمجموعة الاقتصادية الأوروبية والمجموعة الأوروبية للطاقة الذرية فيما أصبح يُعرف بـ"المجموعة الأوروبية" (European Community).

بدأت الدول الأوروبية الأخرى بالانضمام إلى المجموعة، فانضمت عام 1973 كل من المملكة المتحدة وايرلندا والدانمرك. ثم انضمت اليونان عام 1981، تلتها اسبانيا والبرتغال عام 1986 بعد سقوط أنظمتها الدكتاتورية. عام 1987 عدل القانون الأوروبي الموحد اتفاقيات المجموعة الأوروبية من أجل تسهيل إنشاء سوق موحدة وقدم إصلاحات دستورية وزاد من صلاحيات البرلمان الأوروبي.[1]

تحولت المجموعة الأوروبية بموجب معاهدة ماستريخت 1992 إلى الاتحاد الأوروبي الذي يمثل خطوة مهمة ليس فقط اتجاه اندماج اقتصادي أكبر ولكن أيضا من أجل تعاون سياسي أكبر. قدم الاتحاد الأوروبي أشكال جديدة للتعاون بين حكومات الدول الأعضاء في الدفاع وفي مجال العدالة والشؤون الداخلية (home affairs)، كما تضمنت معاهدة ماستريخت أيضا إنشاء وحدة نقدية التي نتج عنها عملة أوروبية موحدة (اليورو) يديرها البنك الأوروبي المركزي ، وبحلول عام 1993 تم إنشاء سوق موحدة تضمن حرية نتقل الأفراد والسلع والخدمات ورأس المال. في جانفي 1995 انضمت كل من النمسا وفنلندا والسويد إلى الاتحاد الأوروبي ليصبح بذلك عدد الدول الأعضاء 15 دولة.

بعد انتهاء الحرب الباردة أبدت دول أوروبا الوسطى والشرقية رغبتها في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، لكن كانت هذه الدول تمثل تحديا بالنسبة للاتحاد بسبب الفروقات الاقتصادية الكبيرة بينها وبين الدول الأعضاء وبسبب أنظمتها السياسية غير المستقرة. بالرغم من التحدي الذي كان يفرضه ضم هذه الدول إلا أن المجموعة الأوروبية رأت في ذلك فرصة لتوحيد أوروبا. بدأت دول أوروبا الوسطى والشرقية في القيام بمجموعة من الإصلاحات الاقتصادية والسياسية لمواءمة معايير الاتحاد. قامت دول المجموعة الأوروبية بممارسة سياسة الدعم الاقتصادي لدول أوروبا الوسطى والشرقية من خلال: برنامج فار -Phare Programme- عام 1989لمساعدتها في إعادة بناء اقتصادها والتغيير

[1] Kristin Archick, Op.cit., p.2.

السياسي، إنشاء البنك الأوروبي لإعادة البناء والتنمية 1991، وتوقيع أول اتفاقيات أوروبا في ديسمبر 1991. بعد القليل من التردد، قررت دول الاتحاد الأوروبي أن يكون التوسيع هدفا واضحا للاتحاد الأوروبي في قمة كوبنهاغن عام 1993. من هذا التاريخ فصاعدا لم تصبح المسألة متعلقة بما إذا كانت دول أوروبا الوسطى والشرقية ستنضم لكن متى ستكون عضوية هذه الدول.[1]

رأى الاتحاد الأوروبي التوسع نحو أوروبا الشرقية كضمان لاندماج القرة أكثر بالوسائل السلمية لتجاوز سنوات من الانقسام والمساعدة في جعل أوروبا "وحدة كاملة وحرة". في مارس 1998، بدأ الاتحاد الأوروبي مفاوضات الانضمام مع كل من: قبرص وجمهورية التشيك واستونيا وهنغاريا وبولندا وسلوفينيا. وفي ديسمبر 1999، قرر الاتحاد الأوروبي فتح مفاوضات الانضمام مع ست دول أخرى، هي: بلغاريا ولاتفيا وليتوانيا ومالطا ورومانيا وسلوفاكيا.[2] بحلول عام 2004 انضمت عشر دول إلى الاتحاد الأوروبي، تلتها بعد ذلك دولتين هما: رومانيا وبلغاريا عام 2007. كان توسيعي 2004 و2007 مكلفين وقد تم توزيع أعبائهما بشكل غير متساو بين الدول الأعضاء، وغيرها من المشاكل التي واجهها الاتحاد بضمه لـ12 دولة جديدة. لهذا السبب يعتقد الكثيرون أن تصرف الاتحاد الأوروبي يبدو محفزا باعتبارات مرتبطة أكثر بالهوية والقيم المشتركة.[3]

شهدت معاهدة ماستريخت تعديلات لاحقة من خلال: معاهدة أمستردام عام 1997 التي عززت من الصلاحيات التشريعية للبرلمان الأوروبي، وسعت إلى تقوية السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي وإلى سياسات أمنية داخلية موحدة أكثر. ومعاهدة نيس في ديسمبر 2000 التي مهدت الطريق لزيادة توسيع الاتحاد الأوروبي، نحو أوروبا الشرقية مبدئيا. وبعد دخولها حيز التنفيذ عام 2003، أجرت معاهدة نيس إصلاحات مؤسساتية لتمكين الاتحاد من قبول أعضاء جدد لكن مع الإبقاء على قدرته للعمل بفعالية. خاصة قيامه بتوسيع نظام التصويت بالأغلبية في مجلس الوزراء (الممثل للدول الأعضاء) إلى عدد من مجالات السياسة الإضافية والتي كانت تتطلب الإجماع سابقا، وإعادة بناء

[1] Wichard Woyke: « European Union Enlargement Consequences and Problems », German Policy Studies, 1(4), 2001, pp. 385-403, p. 386.

[2] Kristin Archick, Op.cit., p.3.

[3] Şahika Susuzlu: **The European Union Enlargement and Turkey: A Cultural Approach**, Master of Art, The Graduate School of Social Sciences, Izmir University of Economics, January 2008, p. 55.

المفوضية الأوروبية (السلطة التنفيذية للاتحاد الأوروبي).[1] وبعد رفض الدستور الأوروبي من قبل الرأي العام الفرنسي والهولندي في استفتاء عام 2005 تم توقيع معاهدة لشبونة عام 2007 والتي دخلت حيز التنفيذ في ديسمبر 2009. تهدف معاهدة لشبونة إلى زيادة تبسيط المؤسسات التي تحكم الاتحاد الأوروبي وعمليات صنع القرار، وبذلك تزيل العقبة التقنية أمام توسيع الاتحاد الأوروبي أكثر. كما تسعى المعاهدة الجديدة إلى إعطاء الاتحاد الأوروبي صوت وهوية أقوى على مستوى العالم، وتحاول زيادة الديمقراطية والشفافية داخل الاتحاد الأوروبي، جزء من ذلك عن طريق منح المزيد من الصلاحيات للبرلمان الأوروبي.[2]

إن من بين أسباب قوة الاتحاد الأوروبي امتلاكه لمجموعة من المؤسسات الديمقراطية المهمة التي تسهر على تطبيق قوانين الاتحاد وتشريعاته وتنسيق التعاون بين الدول الأعضاء.

مؤسسات الاتحاد الأوروبي

المجلس الأوروبي بمثابة دليل استراتيجي وقوة دافعة لسياسة الاتحاد الأوروبي. يتكون من رؤساء دول أو حكومات الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي ورئيس المفوضية الأوروبية: يلتقي عدة مرات في السنة في ما يطلق عليه غالبا بـ"قمة الاتحاد الأوروبي". يرأس المجلس الأوروبي رئيس معين من طرف الدول الأعضاء من أجل تنظيم عمل المجلس وضمان استمرارية السياسات وتسهيل توافق الآراء.

المفوضية الأوروبية هي في الأساس السلطة التنفيذية للاتحاد الأوروبي وتدعم المصلحة العامة للاتحاد الأوروبي ككل. تنفذ وتدير قرارات الاتحاد الأوروبي والسياسات المشتركة وتضمن أحكام معاهدات وقواعد الاتحاد الأوروبي يتم تنفيذها بشكل صحيح ولديها الحق الوحيد للمبادرة التشريعية في أغلب مجالات السياسة. تتكون من 27 مفوض ، واحد من كل دولة، يحمل كل مفوض محفظة وزارية مختلفة (مثلا: الزراعة، التجارة، توسيع الاتحاد الأوروبي). يخدم مفوض واحد كوزير للمفوضية.

مجلس الاتحاد الأوروبي أو **مجلس الوزراء** يمثل الدول الأعضاء. يسن التشريعات، تستند عادة إلى المقترحات التي قدمتها المفوضية والتي تم الموافقة عليها (في أغلب الحالات) عن طريق البرلمان الأوروبي. في القليل من المجالات الحساسة، مثل السياسة الخارجية، يحمل مجلس الوزراء السلطة الوحيدة لصنع

[1] Kristin Archick, Op.cit., p.3.
[2] Kristin Archick, Op.cit., p.3.p. 4.

القرار. يتألف من وزراء من 27 حكومة وطنية، يشترك مختلف الوزراء في لقاءات المجلس باختلاف الموضوع. تكون رئاسة المجلس بالتناوب بين الدول الأعضاء كل ستة أشهر.

البرلمان الأوروبي يمثل مواطني الاتحاد الأوروبي. يشترك في مسؤولية سن أغلب تشريعات الاتحاد الأوروبي مع مجلس الوزراء ويقرر تخصيص ميزانية الاتحاد الأوروبي بالاشتراك مع المجلس. يتألف حاليا من 754 عضو المنتخبين مباشرة في الدول الأعضاء لمدة خمس سنوات. يتكتل أعضاء البرلمان الأوروبي وفقا لانتماءاتهم السياسية بدلا من الوطنية.

بالإضافة إلى عدد من المؤسسات الأخرى التي تلعب كذلك أدوار مهمة في الاتحاد الأوروبي، **محكمة العدل** تفسر قوانين الاتحاد الأوروبي، **مجلس المحاسبة** يضبط الإدارة المالية للاتحاد الأوروبي، **البنك المركزي الأوروبي** يدير العملة الموحدة والسياسة النقدية للاتحاد الأوروبي، و **لجان استشارية** تمثل المصالح الاقتصادية والاجتماعية والإقليمية.

المطلب الثاني: معايير الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي

الفرع الأول: شروط الانضمام

صرحت الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي رسميا في قمة كوبنهاغن عام 1993 بهدف الاتحاد في التوسع، لكن على الدول الراغبة في الحصول على العضوية أن تتوفر فيها مجموعة من الشروط الاقتصادية والسياسية. تشير المادة الأولى من المعاهدة التأسيسية لدستور من أجل أوروبا أن: "الاتحاد مفتوح لكل الدول الأوروبية التي تحترم قيمه والتي تلتزم بالعمل الجماعي من أجل ترقيتها"[1]، إذا فأي دولة أوروبية لها الحق في طلب العضوية. ثم يجب على الدولة طالبة العضوية أن تحقق شروط كل من المادة 49 والمادة 6(1) من معاهدة الاتحاد الأوروبي.

المادة 49

[1]. « La Turquie dans l'Europe: Plus qu'une promesse? », Op.cit., p. 9.

يمكن لأي دولة أوروبية التي تحترم المبادئ المذكورة في المادة 6(1) أن تقدم طلبا للعضوية في الاتحاد. يجب عليها أن تقدم طلبها إلى المجلس، الذي يتخذ قراره بالإجماع بعد استشارة المفوضية وبعد الحصول على موافقة البرلمان الأوروبي، الذي يتخذ قراره بالأغلبية المطلقة من الأعضاء المكونين له.

إن شروط القبول وتعديل المعاهدات التي يقوم عليها الاتحاد والتي ينطوي عليها هذا القبول ستكون موضوع اتفاق بين الدول الأعضاء والدولة طالبة العضوية. سيقدم هذا الاتفاق من أجل المصادقة عليها من طرف جميع الدول المتعاقدة وفقا للمتطلبات الدستورية لكل منها.

المادة 6 (1)

يقوم الاتحاد على مبدأ الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية وسيادة القانون، و هي مبادئ مشتركة بين الدول الأعضاء.

على العموم، أي دولة تطلب العضوية يجب أن تقبل المكسب المشترك *communautaire- acqui* - القانون الأولي والثانوي للاتحاد. تلخص كل من المادة 6 والمادة 49 الطريقة الرسمية للدخول إلى الاتحاد وتركز على أهم متطلبات الاتحاد بالنسبة للأعضاء الجدد.[1] لكن بعد قمة كوبنهاغن خرج المجلس الأوروبي بمعايير أكثر دقة والتي يجب على الدولة التي تطلب العضوية أن تحققها:[2]

- استقرار المؤسسات الذي يضمن الديمقراطية، دولة القانون، حقوق الإنسان واحترام وحماية الأقليات.
- وجود اقتصاد سوق فعال بالإضافة إلى القدرة على التكيف مع الضغط التنافسي وقوى السوق داخل الاتحاد.
- القدرة على تطبيق التزامات العضوية بما في ذلك الالتزام بأهداف الاتحاد السياسية والاقتصادية والنقدية.

أضاف الاتحاد الأوروبي إلى هذه المتطلبات شرط آخر، وهو: "تعتبر قدرة الاتحاد على استيعاب أعضاء جدد، مع الحفاظ على ديناميكية التكامل الأوروبي، أيضا أحد الاعتبارات الهامة في المصلحة العامة

[1] Wichard Woyke, Op.cit., p. 388.
[2] «European Council Conclusions», Copenhagen, Denmark, June 1993.

لكل من الاتحاد والدول المرشحة. تم ضبط متطلبات العضوية أكثر خلال لقاءات المجلس الأوروبي التالية.

الفرع الثاني: مسار الانضمام:

يبدأ مسار انضمام أي دولة أوروبية إلى الاتحاد الأوروبي بتقديمها طلب العضوية للمجلس الأوروبي الذي يطلب من المفوضية الأوروبية أن تقيم قدرة الدولة التي طلبت العضوية على تلبية شروط العضوية. عندما تقدم الدولة طلبا للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي فإنها تطلق عملية تقنية معقدة وسلسلة من إجراءات التقييم. لكن في نفس الوقت، فإن توسع الاتحاد الأوروبي هو إلى حد كبير عملية سياسية، أغلب الخطوات في طريق الانضمام تتطلب اتفاق الدول الأعضاء بالإجماع. كما أن علاقة الدولة المرشحة أو صراعها مع الدول الأعضاء يمكن أن يؤثر بشكل كبير على احتمالات انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي والجدول الزمني المحدد لذلك.[1]

بعد تقديم طلب العضوية تقوم المفوضية الأوروبية بإصدار رأي رسمي حو الدولة، والذي يقرر مجلس الوزراء بعده ما إذا كان سيقبل الطلب. بعد قبول طلب الدولة من قبل مجلس الوزراء بإجماع كل الدول الأعضاء تصبح هذه الدولة رسميا مرشحة للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، يمكن بعدها أن تبدأ مفاوضات الانضمام. يجب على المفوضية ومجلس الوزراء أيضا (عن طريق الإجماع) المصادقة على البدء الفعلي للمفاوضات والإطار التفاوضي.[2]

تبدأ عملية التفاوض بعملية فرز لتحديد إلى مدى تلبي الدولة طالبة العضوية ما يقرب من 80،000 صفحة من القواعد والتنظيمات التي تعرف بالمكسب المشترك. ينقسم المكسب إلى 35 فصلا يتراوح من حرية انتقال السلع إلى الزراعة إلى المنافسة، وتعقد المفاوضات التفصيلية على المستوى الوزاري. تقترح المفوضية الأوروبية مواقف تفاوضية مشتركة للاتحاد الأوروبي حول كل فصل، والتي يجب أن يصادق عليها بالإجماع من طرف مجلس الوزراء. في كل مجالات المكسب، يجب

[1] Kristin Archick, Op.cit., p.5.
[2] Ibid.,

على الدولة المرشحة أن ترتقي بمؤسساتها وقدرتها على التسيير وأنظمتها الإدارية والقضائية حتى تصل إلى معايير الاتحاد الأوروبي، على الصعيدين الوطني والإقليمي.[1]

يمكن أن يتم فتح أو غلق فصول المكسب فقط بموافقة جميع الدول الأعضاء، كما أن الفصول التي تم غلقها مؤقتا يمكن أن يعاد فتحها. تقوم المفوضية، بشكل دوري، بإصدار تقارير "التقدم" إلى المجلس وكذلك إلى البرلمان الأوروبي تقيم فيها التقدم الذي أنجزته الدولة المرشحة. بعد أن تختتم المفوضية المفاوضات حول كل الفصول 35 مع الدولة المرشحة، وهو إجراء يمكن أن يستغرق سنوات، يتم دمج الاتفاقات التي تم التوصل إليها في مشروع معاهدة انضمام، الذي يقدم إلى المجلس وإلى البرلمان الأوروبي من أجل المصادقة عليه. بعد موافقة المجلس والبرلمان، يجب أن تصادق على معاهدة الانضمام كل دولة عضو في الاتحاد الأوروبي والدولة المرشحة. يمكن أن تستغرق عملية المصادقة على المعاهدة النهائية للانضمام فترة قد تصل إلى سنتين أو أكثر.[2]

أصبح إجمالي الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، بعد توسيع 2007، 27 دولة، مع توقع عضوية **كرواتيا** عام 2013 بعد أن أنهت مفاوضات انضمامها مع الاتحاد الأوروبي في جوان 2011، وهي الآن في انتظار مصادقة كل الدول الأعضاء، فقد صادق إلى حد الآن ثلثي الدول الأعضاء على معاهدة انضمام كرواتيا. هناك حاليا خمس دول أخرى مرشحة للعضوية: **أيسلندا**، التي بدأت مفاوضات في جويلية 2012 وقد تم فتح 17 فصلا من المكسب وغلق 11 فصلا بشكل مؤقت. **الجبل الأسود**، التي أصبحت دولة مرشحة في ديسمبر 2010، وفتحت عملية المفاوضات رسميا في جوان 2012. **صربيا**، التي منحت وضع الدولة المرشحة في مارس 2012. **مقدونيا**، التي تم وقف مفاوضاتها من جانب اليونان وبلغاريا. بالإضافة إلى **تركيا** التي تم فتح مفاوضات انضمامها منذ عام 2005 لكن لا تزال عضويتها بعيدة الأجل بسبب تعثر عملية المفاوضات إذ تم إغلاق فصل واحد فقط من بين 35 فصل بشكل مؤقت ، وفتح 12 فصلا في حين تم تجميد التفاوض حول 8 فصول أخرى.

لقد رأى الاتحاد الأوروبي التوسع كفرصة تاريخية لتعزيز الاستقرار السياسي والديمقراطية والازدهار الاقتصادي في أنحاء أوروبا. وقد نجح الاتحاد الأوروبي من خلال شروط العضوية التي يتطلب

[1] Vincent Morelli: **«European Union Enlargement: A Status Report on Turkey's Accession Negtiations»**, CRS Report for Congress, Congressional Research Service, January 2013, p. 1.

[2] Vincent Morelli, Op.cit., p.1.

على الدول المرشحة أن تحققها في ممارسة تأثير كبير على تحويل الأنظمة السياسية في الدول طالبة العضوية.

المطلب الثالث: الدين والاتحاد الأوروبي

تغيرت نظرة الاتحاد الأوروبي حول الفعل الديني، كذلك النظرة التي تحملها الفواعل الدينية حول أوروبا بشكل كبير خلال السنوات الأخيرة. فقد أصبح من الواضح أن مسألة العلاقة بين المجتمع والسياسة والدين هي في قلب النقاشات التي تثار حول تعريف لهوية أوروبية.[1]

الفرع الأول: قيم الاتحاد الأوروبي

يصنف الاتحاد الأوروبي نفسه على أنه اتحاد للقيم والأهداف، فمن الضروري أن تتعهد الدول التي تريد العضوية بمبادئ ومعايير وقواعد وإجراءات الاتحاد الأساسية (اتحاد القيم) وأن تتعهد برغبتها وقدرتها على تحقيق الأهداف الملموسة للاتحاد (اتحاد الأهداف). في التعامل مع الدول المرشحة يترجم ذلك إلى نظام الحقوق والالتزامات، والذي تشكل فيه المبادئ السياسية والمدنية وقيم الاتحاد شروط مسبقة أساسية للحصول على العضوية. قننت كل من معاهدة ماستريخت (1993) ومعاهدة أمستردام (1999) بشكل موسع هذه المبادئ والقيم.[2] كما تشير إلى ذلك المادة 6 (1) من معاهدة الاتحاد الأوروبي، التي تم ذكرها سابقا، بأن الاتحاد الأوروبي "يقوم على مبادئ الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية وسيادة القانون، وهي مبادئ مشتركة للاتحاد الأوروبي". كما يؤكد مشروع المعاهدة التأسيسية لدستور من أجل أوروبا على أهمية قيم الاتحاد، إذ تنص الديباجة على ما يلي:[3]

"استلهاما من الموروث الثقافي والديني والإنساني لأوروبا، والذي تطورت منه القيم العالمية لحقوق الإنسان والديمقراطية والمساواة والحرية وسيادة القانون التي لا يجوز انتهاكها وغير قابلة للتصرف.

---

[1] Rostane Mehdi : «L'Union Européenne et le Fait Religieux» Elément du débat constitutionnel», Revue française de droit constitutionnel, No 54, 2003, pp.227-248, p.227.

[2] **«The European Union, Turkey and Islam»**, Report of Netherlands Scientific Council for Government Policy, Amsterdam, Amsterdam University Press, 2004, p. 26.

[3] Provisional consolidated version of the draft Treaty establishing a Constitution for Europe, 2004, quoted in; **«The European Union, Turkey and Islam»**, Ibid.,

الاعتقاد بأن أوروبا، التي تم توحيدها بعد تجارب مريرة، تعتزم مواصلة طريق الحضارة والتقدم والازدهار لمصلحة كل سكانها، بما في ذلك الأضعف والأكثر حرمانا، وأنها تود أن تبقى القارة مفتوحة للثقافة والتعلم والتقدم الاجتماعي،وأنها ترغب في تعميق الطابع الديمقراطي والشفاف للحياة العامة، وأن تسعى جاهدة من أجل تحقيق السلام والعدل والتضامن في جميع أنحاء العالم".

تنص المادة I- 2 من المعاهدة والمعنونة بـ"قيم الاتحاد" على أن:

"يقوم الاتحاد على قيم احترام الكرامة الإنسانية والحرية والديمقراطية والمساواة وسيادة القانون واحترام حقوق الإنسان، بما في ذلك حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات. هذه القيم مشتركة بين الدول الأعضاء في مجتمع تسود فيه التعددية وعدم التمييز والتسامح والعدل والتضامن والمساواة بين الرجال والنساء".

نتج عن الإشارة إلى الدين في الديباجة نقاش حول ما إذا كان يجب أن تذكر المسيحية بوضوح، بدل الإشارة إلى " الموروث الثقافي والديني والإسلامي" كمصدر للاستلهام، وطالب البعض بتضمين إشارة أكثر وضوحا إلى "التقليد اليهودي- المسيحي". وذهب آخرون إلى أبعد من ذلك من خلال تعريف الاتحاد الأوروبي على أنه "مجموعة مسيحية للقيم" ، وهذا من شأنه أن يحرم تركيا من الحق في العضوية.[1] وقد أشار **دلور** -*J. Delors*- إلى أنه "من المستحيل وضع إمكانيات ماستريخت قيد التطبيق بدون نفس، بدون روحانية"، متوقعا بأنه "إذا لم ننجح، في العشر سنوات المقبلة، أن نعطي روحا وروحانية ومعنى لأوروبا، فسوف نحسر الجولة".[2] من أجل تنظيم هذا الحوار أطلقت المفوضية، عام 1995، برنامج "إعطاء روح لأوروبا" الهدف منه متابعة التفكير حول المعنى الروحي والأخلاقي للبناء الأوروبي [...] وبرزت العديد من المبادرات التي تهدف إلى التأكيد على الهوية المسيحية لأوروبا، مثل: مؤتمر المسيحيين من أجل أوروبا الذي عقد في ديسمبر 2002.[3]

[1] **«The European Union, Turkey and Islam»**, Op.cit., p. 27.

[2] « L'Europe à la recherche de son âme », *L'Europe face aux défis – Réconciliation et sens*, Association oecuménique pour Église et Société, Cahier nº 4, 1997, quoted in; Rostane Mehdi, Op.cit., p. 229.

[3]. Ibid.,

بالرغم من بعض الاقتراحات لتعريف أوروبا في الدستور المستقبلي على أنها "مجموعة قيم" مع الاعتراف بالموروث الديني والروحي لأوروبا، إلا أن ذلك لم ينجح ولم يتم إدراج الدين من بين القيم التي يقوم عليها الاتحاد الأوروبي في أي من المعاهدات ولا في مشروع الدستور من أجل أوروبا. إن تعريف الاتحاد الأوروبي على أنه اتحاد سياسي- مدني يقوم على القيم العالمية يمنع استعمال الخصائص والقيم الثقافية أو الدينية أو التاريخية لإقصاء عضو محتمل. لكن مع ذلك، فإن الإجماع حول القيم الأساسية لا يعني أنه يمكن دائما تجنب الإقصاء أو الانقسام أو الصراعات، ففي الحالات الملموسة سيكون هناك دائما عدم اتفاق وتوترات حول هرمية القيم أو تطبيقها.[1]

خلاصة القول أن الاتحاد الأوروبي كيان علماني، وهذه حقيقة ظهرت مؤخرا بشكل بارز في القرار بعدم إدراج أي إشارة للموروث الديني في ديباجة مشروع دستور الاتحاد الأوروبي. لكن على الرغم من ذلك، يُنظر إلى احتمال ضم دولة إسلامية يقرب عدد سكانها من 80 مليون نسمة كأحد أكبر التحديات التي سيواجهها الاتحاد، ويرى بعض المعلقين في أنقرة أن مسألة الدين - وخاصة الإسلام- تبقى عائقا خفيا.[2]

الفرع الثاني: العلمانية والعلاقة بين الكنيسة والدولة في دول الاتحاد الأوروبي

إن قيم الاتحاد السياسية والمدنية تفترض وجود الدولة التي تضمن استقلالية الكنيسة والدولة وحماية الحريات والحقوق الدينية العامة، كيف يتم تنفيذ هذه الاستقلالية وهذه الحماية والوضع الدقيق للدين في أوروبا يختلف بشكل كبير في الممارسة من دولة إلى دولة أخرى.[3] تختلف الدول الأعضاء داخل الاتحاد الأوروبي في أنظمتها القانونية التي تنظم العلاقة بين الدولة والكنيسة، فبالرغم من أنه يظهر بأن الدول الأوروبية تتمتع باستقلالية الكنيسة والدولة إلا أنه لم تقطع كل الدول كل الروابط الدستورية مع الكنيسة، كما أن غياب الدولة الكنيسة لا يعني أن هناك فصل مطلق بين الكنيسة والدولة. وفقا لـ **روبرز** ***Robbers*** هناك ثلاث أصناف رئيسية للقانون المدني الكنسي الذي يغطي التجربة الأوروبية:

---

[1] **«The European Union, Turkey and Islam»**, Op.cit., p.27.

[2] Edel Hughes, Op.cit., p.17.

[3]. Ibid., p.38.

الصنف الأساسي الأول يتميز بوجود دولة الكنيسة أو هيمنة الدين. في هذا النظام هناك روابط قوية بين سلطة الدولة ووجود الكنيسة[...] من جهة أخرى هناك أنظمة تقوم على فكرة الفصل الصارم بين الدولة والكنيسة [...] الصنف الثالث يبرز الفصل الأساسي بين الدولة والكنيسة في حين يعترف في نفس الوقت بتعدد المهام المشتركة التي يكون عند إنجازها نشاط الدولة والكنيسة مرتبطا...[في هذا الصنف الأخير، الذي يقترح الكاتب أن يكون بالتعاون] الاتفاق بين الدولة والمجموعات الدينية يلعب دورا هاما [...][1]

يمكن أن تصنف كل من هولندا وفرنسا، وإلى غاية سقوط الشيوعية، أغلب دول أوروبا الوسطى والشرقية فقط على أنها الدول التي قطعت الروابط الدستورية بين الدين السائد أو الكنيسة والدولة. لدى انجلترا كنيسة الدولة برئاسة رئيس الدولة (الملكة)، كما أن هناك أماكن محجوزة في مجلس اللوردات لـ26 أسقف أعلى، في حين 6 من 33 مسئول مكلف بإدارة ملكية الكنيسة هم موظفون مدنيون لدى الحكومة. قامت دول مثل سكوتلندا والنرويج والدانمرك وسويسرا باستبدال أنظمتها ما سمح بهيمنة قوية للدولة على الكنيسة، مع روابط دستورية ضعيفة، لكنهم لم يحلوا تماما عن الدولة الكنيسة، ومع ذلك لا يمكن لأي أحد القول بأن هذه الدول أقل ديمقراطية أو أقل حداثة. وفي دول مثل: بولندا واليونان وأيرلندا وبلغاريا ورومانيا وأرمينيا تبقى الروابط بين الدولة والأمة والكنيسة المهيمنة قوية بشكل استثنائي. في الدول الثلاث الأخيرة، النضال من أجل الاستقلال ضد العثمانيين والمسلمين الأتراك أبرز الأهمية الإثنية للكنيسة.[2]

بالنظر إلى مثل هذا الاختلاف بين الدول الأعضاء فيما يتعلق بالدين، المعاهدات الموحدة تحدد بأن الاتحاد الأوروبي "يحترم ولا يحكم مسبقا على الوضعية تحت القانون الوطني للكنائس و الاتحادات أو المجموعات الدينية في الدول الأعضاء." بمعنى آخر، إنه من اختصاص الدول الأعضاء أن تحدد نموذج

[1] Gerhard Robbers, ed. *State and Church in the European Union*. 2nd ed. Baden-Baden: Nomos, 2005, quoted in; Ricardo Borges de Castro**,** «The European Union, Turkey and "democratic secularism:" tentative reflections on an emerging condition», paper presented METU's Jean Monnet Centre of Excellence Speakers Series Seminar, March 2010, p.6.

[2] **«The European Union, Turkey and Islam»**, Op.cit., p. 31.

العلمانية والعلاقات بين الدولة والكنيسة داخل حدودها، مع شرط ضمان مسائل مثل الحرية الدينية وعدم التمييز. نفس الشيء يبدو صحيحا بالنسبة لدول مرشحة مثل تركيا.[1]

المبحث الثاني: موقع تركيا من سياسة التوسيع

يُعتبر مطلب تركيا بالانضمام إلى الإتحاد الأوروبي أحد الأهداف الرئيسية للحكومة التركية. ويرجع هذا الهدف إلى السنوات التأسيسية للجمهورية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك الذي رأى في التوجه نحو الغرب بصفة عامة والتوجه نحو الحضارة الأوروبية بصفة خاصة شرطا أساسيا لتحقيق التقدم والرقي وذلك من خلال إنشاء دولة حديثة على النمط الغربي. وعلى هذا الأساس فقد اتبع صناع السياسة الأتراك سياسة "التغريب" التي مست كل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمع من جهة، ومحاولة الانضمام إلى المؤسسات الغربية من جهة أخرى كان أولها انضمام تركيا إلى حلف الناتو عام 1952، وبهذا "انتقلت هوية تركيا وانتماؤها الغربي من مجرد مضمون حركة إصلاح داخلية في المجتمع لا علاقة لها بالغرب سوى ما تقدمه تجربته من إلهام، لتصبح التزاما سياسيا وعسكريا واستراتيجيا بحماية مصالح محددة، وتعين على تركيا في ذلك أداء متطلبات هذا الدور، وكذا مواجهة تبعاته."[2]

تنتمي تركيا إلى أكبر المؤسسات الغربية وإلى أغلبية المنظمات الأوروبية، فهي عضو مؤسس لمجلس أوروبا (1949) وحلف شمال الأطلسي (1952)، عضو في: منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية -OCDE- (1961)، منظمة الأمن والتعاون في أوروبا -OSCE- (1973)، البنك الأوروبي لإعادة البناء والتنمية -BERD- ، الإتحاد الجمركي (1996)، المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان ()، ومنخرطة في مفاوضات الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي منذ 2005. أن تركيا اليوم كاملة العضوية في المؤسسات الرئيسية على مستوى أوروبا، باستثناء الاتحاد الأوروبي.

إن قرار الإتحاد الأوروبي عام 2005 ببدء مفاوضات انضمام تركيا لم يكن قرارا سهلا. فقد كانت مسيرة تركيا نحو اكتساب هذه الوضعية طويلة بدأت منذ السنوات الأولى لتشكيل المجموعة الأوروبية وانتهت بفتح مفاوضات الانضمام لكن دون أجل محدد ومن دون أي ضمان بأن

[1] Ricardo Borges de Castro, Op.cit., p. 6-7.

[2] ياسر أحمد حسن، مرجع سابق، ص.233.

هذه المفاوضات ستنتهي بمنح تركيا العضوية الكاملة في الاتحاد، فمازالت تواجه تركيا عقبات كثيرة. لذلك سيتم التطرق أولا لموجز عن تاريخ العلاقات التركية- الأوروبية منذ تأسيس المجموعة الأوروبية إلى غاية تاريخ فتح مفاوضات الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

المطلب الأول: مسار تركيا نحو الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي

يعود تاريخ علاقات تركيا مع الإتحاد الأوروبي إلى عام 1959 أين تقدمت تركيا رسميا بطلب العضوية في المجموعة الاقتصادية الأوروبية (EEC) . في عام 1963، قامت المجموعة الأوروبية بتوقيع اتفاق شراكة -Association Agreement- مع تركيا باسم "اتفاق أنقرة". كان الاتفاق مقتصرا على المسائل التجارية والمالية لكنه قدم إمكانية العضوية الكاملة في المستقبل بدون تاريخ محدد، وكخطوة تالية وقع الطرفان عام 1970 البروتوكول الإضافي مؤسسا لمرحلة انتقالية مدتها 22 سنة مؤدية إلى اتحاد جمركي.[1]

عضوية تركيا في المجموعة الاقتصادية الأوروبية لم تكن مطروحة لعدة أسباب -أهمها المستوى الاقتصادي التركي – لكن الأكثر أهمية من ذلك هو أن المجموعة الاقتصادية الأوروبية وافقت على أن تركيا مؤهلة للعضوية على أساس جغرافي. بالطبع، في هذه المرحلة كانت المجموعة الأوروبية عبارة عن منظمة اقتصادية، والتكامل السياسي الذي نراه اليوم كان موجودا فقط في أحلام أكثر مهندسي المشروع الأوروبي طموحا. ولذلك، فإن التصريح بأن تركيا يمكنها أن تنتمي يوما ما لما كان في ذلك الوقت، أساسا، منطقة تجارية حرة قيد الإنشاء لم يكن بصفة خاصة مثيرا للجدل وبالتأكيد لم يثر غضب الجمهور العام.[2]

لقد شهدت فترة السبعينات توتر في العلاقات التركية- الأوروبية بعد الانقلاب العسكري الثاني عام 1971 وبعد التدخل العسكري التركي في قبرص عام 1974 وتوتر العلاقات مع اليونان، وقد وصلت هذه العلاقات إلى حالة من الجمود بعد وقوع الانقلاب العسكري الثالث عام 1980. لم يبدأ هذا

[1] «Turkey's Quest for EU Membership», policy Area: Turkey. European Union Center of North Carolina, EU Briefings, March 2008, p.1.

[2] Paul, Kubicek : « Turkish Accession to the European Union: Challenges and Opportunities». World Affairs, Vol. 168, No. 2 (FALL 2005), pp. 67-78. P.68.

التوتر بالزوال إلا بعد إجراء انتخابات ديمقراطية عام 1983 وتشكيل حكومة مدنية ما فتح الباب أمام تركيا، بقيادة رئيس الوزراء **تورغوت أوزال Turgut Özal**، لتتقدم رسميا بطلب جديد للعضوية في الجماعة الأوروبية. تم تأجيل القرار بخصوص هذا الطلب في الوقت الذي كانت تبحث فيه أوروبا عن تعميق السوق المشتركة، مع أن بعض أعضاء الجماعة كانوا يعارضون بوضوح قبول دولة جد كبيرة وفقيرة وتواجه مشاكل داخلية معتبرة في الحكم المدني الديمقراطي وحقوق الإنسان، خاصة في التعامل مع الأقلية الكردية.[1]

بعد مداولات مطولة، في عام 1989 أوصت الجماعة الأوروبية بأنه لا يجب بدء أي مفاوضات انضمام جديدة قبل 1993. بالإضافة إلى ذلك، فإن الجماعة الأوروبية أثارت تحفظات حول قدرة تركيا على إنجاز التعديلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الضرورية المطلوبة من أجل العضوية في الجماعة الأوروبية على المدى المتوسط. كما أنه وفقا للمفوضية الأوروبية فإن فشل تركيا في توسيع التعددية السياسية وتحسين حقوق الإنسان وحقوق الأقليات، وارتفاع نسبة التضخم والبطالة، والتنازع المستمر مع اليونان حول قبرص وإيجة قد يخلق قيود تعديلية هامة.[2]

رغم أن الجماعة الأوروبية رفضت طلب تركيا بالعضوية إلا أنها اقترحت بدل ذلك تعزيز علاقات التعاون مع تركيا في مختلف المجالات والعمل على إنهاء مشروع الاتحاد الجمركي. لكن نهاية الحرب الباردة فتحت إمكانيات جديدة أمام عملية التكامل الأوروبي و نجحت **معاهدة ماستريخت** (1992) في تعميق المشروع الأوروبي ـ كما أصبحت الجماعة الأوروبية منذ هذا التاريخ باسم الاتحاد الأوروبي ، وعبرت العديد من الدول الشيوعية سابقا عن رغبتها في الانضمام إلى الإتحاد الأوروبي.[3]

في حين كانت العديد من دول أوروبا الوسطى والشرقية في حالة اقتصادية سيئة، فقد كانت تعتبر سياسيا وثقافيا جزء من أوروبا، وعندما تم اتخاذ القرارات بشأن الجولة المقبلة لعملية توسيع

[1] Carl Dahlman, «Turkey's Accession to the European Union: The Geopolitics of Enlargement», Eurasian Geography and Economics, 2004, **45**, No. 8, pp. 553-574, p.p. 555-556.

[2] «Turkey's Quest for EU Membership», Op.cit., p.2.

[3] Paul, Kubicek, Op.cit., p. 69.

الاتحاد الأوروبي عام 1993 لم تكن تركيا من بين الدول المعنية بالتوسيع.[1] بالإضافة إلى جعل انضمام دول أوروبا الوسطى والشرقية أولوية بالنسبة للاتحاد الأوروبي، فإن قمة **كوبنهاغن** (1993) قد انتهت بالإعلان عن معايير سياسية واقتصادية جديدة يجب أن تتوفر في الدول طالبة العضوية في الاتحاد الأوروبي، وهي ما أصبح يُعرف بـ"**معايير كوبنهاغن**" والتي مثلت عقبة أخرى أمام حلم تركيا بالانضمام. "وعلى النقيض من توقعات وطموحات تركيا في أواخر عقد الثمانينات، أدى الغموض حول وضعية تركيا داخل غرفة انتظار العضوية الكاملة في بداية عقد التسعينات إلى تبدد الحلم التركي وانكسار حالة التفاؤل".[2]

اكتفى الاتحاد الأوروبي في هذه الفترة بإتمام مفاوضات انضمام تركيا إلى الاتحاد الجمركي، والتي انتهت فعلا عام 1996 بقبول عضوية تركيا في الاتحاد الجمركي. لكن يجادل البعض بأن هذا الاتحاد كان يُعنى به تأخير إضافي لعضوية تركيا في حين دعم والحفاظ على علاقات جيدة مع الأحزاب التركية المؤيدة لأوروبا، لأن الرفض التام يمكن أن يعطي الدعم للأحزاب الإسلامية في تركيا.[3]

وصلت علاقات تركيا مع الاتحاد الأوروبي إلى مستوى كبير من التوتر بعد قمة **لوكسمبرغ** 1997 أين تم رفض تركيا ضمن قائمة الدول المرشحة للعضوية لأنها لا تحقق "معايير **كوبنهاغن**" السياسية والاقتصادية في حين تم إدراج عشر دول من وسط وشرق أوروبا، من بينها قبرص. لقد أثارت قمة **لوكسمبرغ** موجة غضب في تركيا ودفعتها إلى تجميد حوارها السياسي مع الاتحاد الأوروبي.اعتقد أغلب الأتراك بأن قرار **لوكسمبرغ** تم اتخاذه بسبب عوامل دينية وثقافية وتدعم لديهم هذا الانطباع بعد تصريح للاتحاد الأوروبي المسيحي الديمقراطي بأن "الاتحاد الأوروبي في طور

[1] «Turkey's Quest for EU Membership», Op.cit., p.2.

[2] أحمد داود أوغلو، مرجع سابق، ص. 541.

[3] Carl Dahlman, Op.cit., p.556.

بناء حضارة والتي لا مكان لتركيا فيها". [1] لم تتحسن العلاقات بين الطرفين إلا بعد قمة **هلسنكي** (ديسمبر **1999**) أين تم منح تركيا وضع الدولة المرشحة لعضوية الاتحاد الأوروبي.

إن التغير في الموقف الأوروبي خلال قمة هلسنكي كان نتيجة لعدد من التطورات، أهمها تغير الحكومة في ألمانيا بعد انتخابات 1998 التي أدت إلى إبعاد الحزب الديمقراطي المسيحي الذي كان يعارض انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، وبعد تحسن في العلاقات التركية- اليونانية، عبرت الحكومة اليونانية عن رغبتها في إسقاط موقفها الرافض لعضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي مستندة في ذلك على أمل أن حل المشاكل الثنائية سيكون أسهل داخل إطار الاتحاد. وأخيرا دعم الولايات المتحدة المستمر لطلب تركيا بالانضمام. [2] وفي عام 2001، تبنى المجلس الأوروبي وثيقة "شراكة انضمام" تركيا -Accession Partnership- التي تنظم مساعدات ما قبل الانضمام والتي حددت تاريخ ديسمبر 2004 كآخر أجل للمسؤولين في الاتحاد الأوروبي من أجل أن يقرروا ما إذا كانت تركيا قد استوفت المعايير اللازمة لبدء مفاوضات الانضمام. [3]

ابتداء من مارس 2001 "أقرت الحكومة التركية البرنامج الوطني لتطبيق المعايير الأوروبية على أساس ما ورد بوثيقة الانضمام، ومضت نحو ملائمة تشريعاتها الوطنية لتتفق و"معايير كوبنهاغن" بتمرير تعديلات كثيرة بالقوانين التركية"، [4] ودفعت بها من خلال عدد من الإصلاحات المعتبرة، مثل: إلغاء عقوبة الإعدام، توسيع حرية التعبير، التقليل من سلطة القوات العسكرية، إطلاق صراح المعتقلين السياسيين، العديد من التعديلات الدستورية، إعطاء حرية أكبر لاستعمال وتعليم الكردية التي كانت محظورة سابقا، بالإضافة إلى تزامن هذه الإصلاحات مع وقف القتال بين القوات

[1] «Turkey's Quest for EU Membership», Op.cit., p.p.2-3.

[2] «Turkey's Quest for EU Membership», Ibid., p.3.

[3] Carl Dahlman, Op.cit., p.556.

[4] ياسر أحمد حسن، مرجع سابق، ص. 242.

المسلحة التركية وحزب العمال الكردستاني الانفصالي (PKK) مما ساعد على تحسين وضعية تركيا في حقوق الإنسان، خاصة اتجاه الأكراد.[1]

زادت وتيرة الإصلاح السياسي والاقتصادي بعد انتخابات 2002 التي وصل من خلالها حزب العدالة والتنمية إلى الحكم والذي كان مصمما على إجراء الإصلاحات اللازمة لعضوية تركيا في الإتحاد الأوروبي. وبعد التقرير الذي صدر عن المفوضية الأوروبية، في أكتوبر 2004 والذي أشادت فيه بالتقدم الكبير الذي حققته تركيا في عملية الإصلاح السياسي، وأنها قد أوفت بما فيه الكفاية "معايير **كوبنهاغن**" لبدء مفاوضات الانضمام. اتخذ المجلس الأوروبي بعدها في قمة بروكسل، المنعقدة في ديسمبر 2004، قراره النهائي بفتح مفاوضات انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي ابتداء من تاريخ 3 أكتوبر 2005.

إن انطلاق محادثات انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي لم تعن في الحقيقة نهاية المسار الذي بدأته تركيا قبل أكثر من أربعين سنة، بل كانت مجرد بداية مرحلة أخرى غير محدودة الأجل في طريق تركيا نحو اكتساب العضوية الكاملة. إن إطار المفاوضات الخاص بانضمام تركيا تضمن، إلى جانب العمل على تبني تشريعات وقوانين الاتحاد الأوروبي ـ أو ما يُعرف بالمكسب المشترك الأوروبي *acquis communautaire*- وتحقيق "معايير كوبنهاغن"، العديد من الشروط الأخرى الخاصة بتركيا فقط كدولة مرشحة، منها:

- بيّن الاتحاد الأوروبي من خلال الإطار التفاوضي أن: "هذه المفاوضات هي عملية مفتوحة النهاية(open-ended) والتي لا يمكن أن تكون نتيجتها مضمونة مسبقا". كما تم الإشارة أيضا إلى أنه في حالة الانضمام التركية "مراحل انتقالية طويلة، استثناءات، تدابير خاصة أو ضمانات الحماية الدائمة يجب أن تكون متوقعة".[2] أي أنه ليس من الضرورة أن تؤدي هذه المفاوضات إلى العضوية.

---

[1] Paul Kubicek, Op.cit., p. 70.

[2] Canan Balkir: «Turkey's Road to EU Membership: Economic Outlook». KÖZ-GAZDASÁG, Special Issue, 2010/3, p.7.

- يتضمن الإطار التفاوضي خمسة وثلاثين فصلا حول مختلف مجالات الحياة، والقرارات حول كل الفصول تتطلب الإجماع. تم فتح ثلاثة عشر فصلا للمفاوضات وغلق فصل واحد مؤقتا، في حين تم تجميد ثمانية فصول منذ عام 2006 بسبب رفض تركيا فتح موانئها ومطاراتها للسفن والطائرات القبرصية.
- لا يمكن أن تنضم تركيا قبل عام 2014، حتى يتم استكمال الهيكل المالي الجديد للاتحاد الأوروبي، لأن انضمام تركيا سيقتضي تحمّل الاتحاد لنفقات باهظة في ضوء كبر حجمها الجغرافي والسكاني.[1]
- أن تعترف تركيا خلال مسيرة التفاوض بجمهورية قبرص اليونانية، كما يجب عليها أن توقع البروتوكول الإضافي ـلاتفاقية أنقرة 1963ـ مع الدول العشر الجديدة التي انضمت إلى الاتحاد الأوروبي، من بينها قبرص.[2]
- يمكن أن تعطل مفاوضات الانضمام في حالة "انتهاك خطير ودائم... لمبادئ الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية وحكم القانون التي قام على أساسها الإتحاد".[3]

لم تشهد مفاوضات انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي أي تطور ملحوظ، بل على العكس فقد عرفت في مرات عديدة حالة من الجمود وهذا بسبب المعارضة التي تواجهها داخل الاتحاد الأوروبي، سواء من طرف مسؤولي الدول الأعضاء أو من طرف الرأي العام الأوروبي بصفة عامة. فقد أدت هذه المفاوضات إلى بروز نقاش داخل الأوساط الأوروبية بمدى أهلية تركيا للانضمام وانعكاس ذلك على الاتحاد وقدرتها على تبني معايير وقيم الاتحاد من جهة،كما أثارت نقاشات حول "الهوية الأوروبية" و"حدود أوروبا" من جهة أخرى. وقد تجلت هذه المعارضة من خلال اقتراح المستشارة الألمانية **أنجيلا ميركيل** -Angela Merkel- والرئيس الفرنسي السابق **نيكولا ساركوزي** -Nicolas Sarkozy- بمنح تركيا "شراكة مميزة" بدل العضوية في الاتحاد، وهذا ما رفضته تركيا.

---

[1] أحمد مجدي السكري: «العلاقات التركية – الأوروبية بين إشكالية مفاوضات الانضمام وآفاق المستقبل». المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 36، خريف 2012، ص.ص.77ـ116، ص. 85.

[2] أحمد مجدي السكري، نفس المكان.

[3] «Turkey's Quest for EU Membership», Op.cit., p.5.

المطلب الثاني: حساب المكسب والخسارة لكل من تركيا والاتحاد الأوروبي

لا شك أن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي يفرض على الاتحاد كما على تركيا نفسها تحديات عديدة، لكنه في النفس الوقت يقدم مجموعة من الفرص والمنافع لكلا الطرفين. إن إصرار تركيا على الحصول على العضوية في الاتحاد يطرح التساؤل التالي: ما الذي ستكسبه تركيا بانضمامها إلى الاتحاد الأوروبي؟ وفي المقابل فإن تردد الاتحاد الأوروبي بشأن عضوية تركيا، فهو لم يقبل عضويتها كما لم يرفض ذلك، يطرح التساؤل التالي: ما هي انعكاسات انضمام تركيا على الاتحاد الأوروبي؟

الفرع الأول: ما الذي ستكسبه تركيا من انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي؟

تطمح تركيا من خلال مفاوضات الانضمام مع الاتحاد الأوروبي إلى الحصول على العضوية الكاملة التي ستعود عليها بمجموعة من المكاسب السياسية والاقتصادية، على الصعيد الدولي والداخلي على حد سواء. من الجانب الاقتصادي مثلا، فإن التمتع بالمزايا التي يتمتع بها الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي سيفتح المجال واسعا أمام تركيا لتحقيق التقدم الاقتصادي من خلال تنمية العلاقات الاقتصادية وزيادة الاستثمارات الأوروبية و الاستفادة من التكنولوجيا الأوروبية الحديثة في مختلف مجالات الصناعة. كما أن رفع كل الحواجز الجمركية سيفتح الأسواق الأوروبية أمام المنتجات التركية [1]، كل هذه التطورات ستؤدي بالمقابل إلى زيادة نسبة الإنتاج والنمو الاقتصادي، وزيادة الناتج القومي الكلي وبالتالي زيادة الدخل الفردي وارتفاع مستوى المعيشة. ستتمكن تركيا أيضا بانضمامها من الاستفادة كثيرا من سياسة المساعدات المالية التي يقدمها الاتحاد الأوروبي للمناطق الفقيرة من الدول الأعضاء به، مثل: السياسة الزراعية المشتركة، صندوق التنمية الأوروبي الإقليمي، الصندوق الاجتماعي الأوروبي.

أما من الجانب السياسي والاجتماعي، فإن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي سيكون له تأثيراته الإيجابية على استمرار عملية الإصلاح السياسي التي تشهدها تركيا "باعتبار أن تبني المعايير

[1] بحث حول: "انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي"، منشور على موقع: موسوعة مقاتل من الصحراء، على الرابط التالي:

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/TurkeyEU/sec09.doc_cvt.htm

الأوروبية يعود بالنفع على المواطن التركي من حيث ترسيخ الاتجاه الديمقراطي، وترسيخ سيادة القانون، واحترام حقوق الإنسان". [1] فإذا كان انطلاق مفاوضات الانضمام قد حفز تركيا للقيام بإصلاحات معتبرة في فترة وجيزة، فإن العضوية في الاتحاد سيكون دافعا أكبر لها للقيام بالمزيد من الإصلاحات، خاصة فيما يتعلق بتحديث مؤسسات الدولة والتقليل من سلطة الجيش واحترام حقوق الإنسان وحقوق الأقليات وحرية التعبير عن الرأي وغيرها من الأسس التي تقوم عليها الدولة المدنية الحديثة. باختصار فإن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي سيشجعها على مواصلة مسيرة التقدم والإصلاح الاقتصادي والسياسي.

من جهة أخرى، فإن قدرة تركيا على أن تصبح جزءا من وأحد صانعي القرار في مؤسسات أحد أهم الفواعل الاقتصادية والسياسية على الساحة الدولية يُعد مكسبا استراتيجيا، بحيث سيؤدي إلى تقوية مكانة ودور تركيا إقليميا ودوليا. كما أن الاتحاد الأوروبي سيمثل إطارا جيدا من أجل حل مشاكلها المعلقة مع اليونان وقبرص.

الفرع الثاني: انعكاسات انضمام تركيا على الاتحاد الأوروبي

إن التردد الأوروبي حول انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي ينشأ من ثلاث عوامل أساسية، وهي أن تركيا دولة: كبيرة وفقيرة ومسلمة. إذا هناك مسألتين أساسيتين تثيران معارضة انضمام تركيا في أوروبا، وهي: التكاليف المادية لعضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي (لاعتبارها دولة كبيرة وفقيرة)، والتصورات حول هوية تركيا "غير- الأوروبية" (لاعتبارها دولة مسلمة)... كما أن مشاكل تركيا في تنفيذ تشريعات الاتحاد الأوروبي الديمقراطية تعتبر أيضا أحد أسباب النقد في أوروبا، [2] فمن جهة المؤسسات الأوروبية، لا تزال تركيا لم تستكمل بعد استيفاء معايير العضوية السياسية المتعلقة بحقوق الإنسان، والديمقراطية، وحقوق الأقليات. لكن هناك وجهة نظر تركية ترى أن إصرار الاتحاد الأوروبي على معايير كوبنهاغن يبدو موجها فقط لمسعى تركيا نحو العضوية وليس له علاقة بعضوية الآخرين، بحيث لم يحدث أن تم ضم دول للاتحاد الأوروبي بناء على

[1] أحمد مجدي السكري، مرجع سابق، ص. 86.

[2] Beken Saatçioğlu: «The EU "Rhetorical Entrapment" in Enlargement Reconsidered: Why Hasn't It Worked for Turkey? », Insight Turkey, vol.14, No.3, 2012, pp. 159-176, p.167.

استيفاء كامل لهذه المعايير. فعلى سبيل المثال، تم ضم كل من **سلوفاكيا ولاتفيا** عام 2004 رغم الانتهاكات الصارخة لحقوق الأقليات بكل منهما.[1]

من جهة أخرى، هناك حجة أخرى تم التعبير عنها وهي أنه حتى ولو أثبتت تركيا قدرتها على تحقيق شروط الانضمام فإن عضويتها ستبقى إشكالية كبيرة بالنسبة للاتحاد الأوروبي. وفي هذا السياق هناك شرط رابع من شروط **كوبنهاغن** والذي لا ينطبق على الدول المرشحة بل على الاتحاد الأوروبي نفسه، وهو "قدرة الاتحاد على ضم أعضاء جدد".[2] لكن يبدو أن الاتحاد الأوروبي يواجه مشكلة في ضم تركيا لعدة أسباب، نذكر منها:

إن انضمام تركيا سيكون له أثر على مؤسسات الاتحاد الأوروبي وعملية صنع القرار خاصة في البرلمان الأوروبي، الذي يتم توزيع المقاعد فيه على الدول الأعضاء بشكل يتناسب وعدد سكانها. ونظرا لعدد سكان تركيا الكبير ـ ثاني أكبر دولة بعد ألمانيا ومن المحتمل أن تفوقها في السنوات المقبلة ـ فسيكون لها تأثير كبير في البرلمان الأوروبي المخول بالسلطات: التشريعية والسلطات المتعلقة بالميزانية، والرقابة عليها، وكذلك الرقابة على عمل المفوضية الأوروبية، والمشاركة بوضع القوانين، والمصادقة على الاتفاقات الدولية وعلى انضمام أعضاء جدد.[3] كما يمكن أن يؤدي ذلك إلى إضعاف مواقف الدول الأخرى ذات الحجم السكاني المتوسط أو الضعيف عند التصويت على مختلف قرارات الاتحاد.

سبب آخر، وهو التكلفة المالية التي سيتطلبها انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، بحيث سيكون لها "أثر كبير" على ميزانية الاتحاد بالإضافة إلى المساعدات المالية الخاصة بالعضوية في إطار سياسات الاتحاد الأوروبي، مثل: السياسة الزراعية المشتركة. الأبرز من ذلك، أنه تم تقدير أن تكاليف انضمام تركيا ستساوي مجموع تكاليف توسيع عام 2004 ـالذي نتج عنه ضم 10

[1] ياسر أحمد حسن، مرجع سابق، ص. 258.

[2] Neill, Nugent, « The EU's Response to Turkey's Membership Application: Not Just a Weighing of Costs and Benefits». Journal of European Integration, vol. 29, No.4, 2007, pp. 481-502, p. 486.

[3] حسين طلال مقلد، مرجع سابق، ص. 367.

دول.[1] يُضاف إلى ذلك، انخفاض مستوى التقدم الاقتصادي التركي، مقارنة بدول أوروبا الغربية، وضعف مستوى الدخل الفردي من إجمالي الناتج المحلي بالنسبة لمتوسط الاتحاد الأوربي. كما أن الحجم الكبير للسكان يثير المخاوف الأوروبية من الهجرة الكبيرة للأتراك بحثا عن فرص العمل في الدول الأوروبية.

لكن في المقابل، فإن الاقتصاد التركي في تطور مستمر واستطاع أن يحقق نسب نمو عالية وتعتبر تركيا من نواح عدة أكثر استعدادا مما كانت عليه دول أوروبا الوسطى والشرقية عندما بدأت مفاوضات انضمامها، بل إنها تعتبر أكثر كفاءة اقتصاديا مقارنة ببعض الدول الأعضاء. كما أنها تعتبر سوق مهمة لسلع وخدمات الاتحاد الأوروبي، إنها سابع أكبر شريك تجاري وقد استثمرت شركات الاتحاد الأوربي بشكل كبير في تركيا [...] كما أن تقدم السكان الأوروبيين في السن يعتبر أحد التحديات الرئيسية التي تواجه الاتحاد الأوروبي، والذي يخلق الطلب على منتجات وخدمات جديدة في أوروبا. لكن من 2010، سيؤدي كذلك إلى انخفاض في اليد العاملة وذلك بفقد حوالي 3 ملايين عامل بحلول 2020 وحوالي 50 مليون بحلول 2060. إن التركيبة السكانية الشابة نسبيا لتركيا بمتوسط عمر حوالي 27 سنة ومعدل نمو سنوي نسبته 1.3% يمكن أن تكون مساهمة قيمة لمعالجة هذه المشكلة.[2] إذا يمكن القول أن سكان تركيا يمكن أن تمثل بالنسبة للاتحاد الأوروبي سوق واسعة للسلع والخدمات وقوة عاملة مؤهلة في نفس الوقت، بصفة عامة فإن اقتصاد تركيا وسكانها يمثلان إضافة جيدة للاتحاد الأوروبي.

إن انضمام تركيا سيكون له تأثيره الإيجابي، ليس فقط من الجانب الاقتصادي ولكن الأهم من ذلك، على الدور الذي يمكن أن يلعبه الاتحاد الأوروبي في الساحة الدولية. إن تركيا جزء مكمل لدور هذا اللاعب العالمي الجديد، وتزيد بشكل كبير من قوة الاتحاد الأوروبي الجيوبوليتيكية والعسكرية. وفقا للبروفيسور **ديليك سينار ـ Dilek Cinar ـ**، فإن الاتحاد الأوروبي لا يمكن أن يصبح لاعب عالمي مهم من دون تركيا، بحيث أن إنكار تركيا يعني عزل أوروبا عن الأقاليم المجاورة

[1] Beken Saatçioğlu, Op.cit., p. 167.

[2] Canan Balkir, Op.cit., p.8.

لها، وبذلك إنكار أي دور قيادي عالمي محتمل لأوروبا.[1] بفضل موقع تركيا الاستراتيجي فإن التعاون معها سيساعد الاتحاد الأوروبي على أن يكون له تأثير في الأقاليم المجاورة، خاصة الشرق الأوسط والقوقاز.

أما من جانب الأمن الطاقوي فإن تركيا، بموقعها الجغرافي القريب من الأقاليم الغنية باحتياطات النفط والغاز الطبيعي، ستلعب دور القناة في نقل هذه الموارد الطبيعية من أقاليمها الأصلية إلى الأسواق الأوروبية. إن موقع تركيا القريب من الدول التي تملك حوالي 35% من الاحتياط العالمي للغاز خاصة بالغ الأهمية بالنسبة لأوروبا، نظرا لتبعية الغرب المتزايدة على موارد الغاز الروسية، ما يسمح لها بإيجاد موارد بديلة للطاقة ما سيساعد بدوره الدول الأعضاء من تحقيق استقرارها وأمنها.[2]

العامل الآخر الذي يبدو أن له أهمية كبيرة في إعاقة مسار تركيا نحو الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي والذي يدخل ضمن العوامل غير المادية وغير القابلة للحساب، هو: هوية تركيا غير الأوروبية وكونها دولة مسلمة، ما سيشكل تحديا للاتحاد الأوروبي وتهديدا للهوية الأوروبية. تمتد جذور النقاش حول هوية تركيا إلى موقعها المدرك بأنها تمثل "الآخر" بالنسبة لأوروبا بسبب خصائصها الثقافية والجغرافية والدينية والتاريخية المختلفة. هذا البعد من انضمام تركيا يتم مناقشته بصفة غير رسمية بما أن الاعتراف به رسميا من شأنه أن ينتهك مقاربة الاتحاد الأوروبي الليبرالية-الكوسموبوليتانية الرسمية للتوسيع.[3] هذا البعد يظهر من خلال تصريح الرئيس الفرنسي الأسبق **جيسكار ديستانغ** -*Giscard d'Estaing*- بأنه: "يجب أن لا يسمح لتركيا أبدا بالانضمام إلى الاتحاد الأوروبي... بما أن لها ثقافة مختلفة، مقاربة مختلفة، نمط حياة مختلف" هذا لا يدل على كل الأوروبيين، لكنه بالتأكيد يمثل فئة من الأوروبيين الذين يوافقون على ذلك.[4] في الواقع، إن طلب تركيا بالانضمام أدى إلى فتح النقاش حول عدد من القضايا، مثل: ما المقصود بالهوية الأوروبية،

[1] Interview with Dilek Cinar, 7 Nov 2008, quoted in; Cora Allie Treske: «Turkish-EU Relations: let's just say, it's complicated», University of North Carolina at Chapel Hill, International Studies and Political Science, Fall 2008, p. 21.

[2] Cora Allie Treske, Ibid., p.22.

[3] Beken, Saatçioğlu, Op.cit., p. 169.

[4] « Turkey demands talks on joining EU », *The Guardian*, 27 Nov 2002, quoted in; Cora, Allie Treske, Op.cit., p.p. 18-19.

ما هي حدود أوروبا، وهل الاتحاد الأوروبي عبارة عن مشروع حضاري حصري للدول الأوروبية المسيحية أم أنه عبارة عن كيان ليبرالي تعددي.

في المقابل فإن عضوية تركيا ستكون عبارة عن فرصة للاتحاد الأوروبي لإقامة جسور مع العالم الإسلامي، وإثبات قبوله لحوار الأديان والحضارات وللتعددية الدينية والثقافية أي قبول الاختلاف بين أعضائه الذين يتشاركون قيم الحرية والديمقراطية وسيادة القانون واحترام حقوق الإنسان، كما ستكون الدليل القاطع أن الاتحاد الأوروبي ليس عبارة عن "نادي مسيحي" مغلق . وعلى العكس من ذلك، فإن قرار سلبي من المجلس الأوروبي من شأنه تأكيد الشعور العميق الذي يؤكد على كون تركيا مرفوضة من طرف أوروبا، وبأن احترامها لمعايير الانضمام لن يكون إلا عذر لإخفاء السبب الحقيقي للرفض، وهو الاختلافات الدينية والثقافية.[1]

من منظور الاتحاد الأوروبي ككل، هناك إذا كل من الانعكاسات الإيجابية والسلبية لعضوية تركيا. ليست كل هذه الانعكاسات ذات طبيعة مادية ويمكن حسابها، لكن الانطباع العام يشير إلى أن الكفة ترجح إلى الجانب الإيجابي، إن لم يكن بشكل كبير.[2]

المبحث الثالث: المواقف الأوروبية من انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي

إن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي يعتبر أحد أكثر المواضيع الجدلية والتي تثير نقاشا حادا بين الحكومات الأوروبية من جهة والرأي العام الأوروبي من جهة أخرى. تواجه تركيا رفض الحكومات الأوروبية على رأسها فرنسا وألمانيا بالإضافة إلى معارضة الرأي العام الأوروبي، لكن في المقابل هناك بعض الحكومات الأخرى التي تؤيد انضمامها. لذلك فإن هذا الفصل سيحاول الإجابة على التساؤلات التالية: ما هي مواقف أهم الحكومات الأوروبية من انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي؟ وما هو موقف مواطني الاتحاد الأوروبي؟

[1] **« La Turquie dans l'Europe: Plus qu'une promesse? »**, Rapport de la Commission Independante sur la Turquie, Septembre 2004, p. 23.

[2] Neill Nugent, Op.cit., p. 488.

المطلب الأول: مواقف أهم الحكومات الأوروبية

إن تقييم الأثر العام لعضوية تركيا على الاتحاد الأوروبي لا يوفر إلا جزءا من الصورة حول قرار فتح مفاوضات الانضمام. تعتبر المفوضية هي المكلف الوحيد للنظر والتصرف باسم المصلحة العامة للاتحاد الأوروبي، وفي حين كان للمفوضية دور هام في وضع أجندة وبدء عملية انضمام تركيا فهي لا تملك قوة اتخاذ القرار النهائي فيما يتعلق بقرارات التوسيع الرئيسية. تقع تلك المسؤولية على عاتق حكومات الدول الأعضاء من خلال العمل داخل إطار المجلس الأوروبي والعمل بالإجماع. بما أن التفسير العقلاني يقترح أن حكومات الدول الأعضاء لا تأخذ القرارات للمصلحة العامة للاتحاد الأوروبي لكن بدل ذلك من أجل مصالح دولها، فإنه يمكن افتراض أن كل حكومة ستكون قد اتبعت توصية المفوضية بفتح مفاوضات الانضمام مع تركيا فقط إذا أدركت أن ذلك في مصلحة الدولة. [1] لذلك فإنه من الأهمية بما كان معرفة مواقف حكومات الدول الأعضاء، خاصة المعارضة، التي يبقى في يدها القرار الأخير لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، ولما كان من الصعب جدا التطرق إلى مواقف كل الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي فإن هذه الدراسة ستقتصر على أهم القوى السياسية الفاعلة في الاتحاد.

الفرع الأول: الحكومات المعارضة لعضوية تركيا

بالرغم من الأهمية الإستراتيجية التي يمكن تلعبها تركيا بالنسبة للاتحاد الأوروبي ككل، وبالرغم من مواءمة تركيا لمعايير الاتحاد، فإن مسار انضمامها يمكن أن يتوقف في أي لحظة بسبب رغبة الدول الأعضاء في ذلك. فيمكن بطلب من ثلث الدول الأعضاء إيقاف مفاوضات الانضمام، وذلك على سبيل المثال لعدم تحقيق تركيا لمعايير الاتحاد الأوروبي فيما يتعلق بحقوق الإنسان أو الديمقراطية أو حكم القانون. بل حتى وإن أعلن المجلس الأوروبي نجاح المفاوضات وحدد موعدا لانضمام تركيا ووافق البرلمان على ذلك، يبقى على كل الدول الأعضاء المصادقة على اتفاقية

[1] Neill Nugent, Op.cit., p.488.

الانضمام ولكل دولة حق النقض الذي يمكن أن يمنع انضمام تركيا.[1] والواقع أن تركيا تواجه معارضة من قبل بعض الدول الأوروبية على رأسها فرنسا وألمانيا والنمسا.

لم يكن الموقف الفرنسي حول تركيا واضحا في عهد الرئيس **جاك شيراك** ـ*Jacques Chirac*ـ فقد دعم **شيراك** عضوية تركيا بتعجيل مفاوضات الانضمام، لكنه أصبح تحت ضغط كبير لأن أغلب اليمين الفرنسي بقي معارضا لعضوية تركيا. جعل الرئيس **نيكولا ساركوزي** الموقف الفرنسي أكثر وضوحا من خلال تعبيره صراحة عن رفضه القوي لعضوية تركيا خلال حملته الانتخابية. كما قرر البرلمان الفرنسي إجراء استفتاء وطني لتقرير مسألة العضوية متوقعا الرفض. وكبديل على ذلك اقترح **ساركوزي** الاتحاد المتوسطي الذي سيضم تركيا، بالإضافة إلى ذلك فقد اقترح في أوت 2007 تعيين "لجنة الرجال الحكماء" - Wise men's committee - التي يجب عليها البحث حول حدود الاتحاد الأوروبي[2].

كما تظهر أيضا معارضة فرنسا أيضا مواقف بعض المسئولين السابقين، على سبيل المثال الرئيس الفرنسي الأسبق **جيسكار ديستانغ** صرح بأن "تركيا ليست دولة أوروبية" وأن انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي سيعني "نهاية أوروبا"[3]. وزير الخارجية السابق **إيبرت فيدرين** - ***Hubert Védrine*** - يرى أن: "تركيا ليست دولة أوروبية ولا تملك أي سبب أكثر لتكون في الاتحاد الأوروبي منه في منظمة الوحدة الإفريقية." كما أن زعيم الاتحاد من أجل الديمقراطية الفرنسية Union for French Democracy **فرانسوا بايرو** – ***Francois Bayrou*** - أشار إلى أن عضوية تركيا بـ"خطأ تاريخي خطير" فتركيا "دولة مسلمة جد كبيرة والتي لا تنتمي إلى أوروبا. هل يمكن لأي أحد حقا أن يتخيل أن أكبر دولة في الاتحاد الأوروبي يجب أن تكون الأقل أوروبية في المجموعة". ويرى أيضا **فيليب بيمزيك** -***Philippe Pemezec***- عضو في الاتحاد من أجل الحركة الشعبية Union for a Popular

[1] Jürgen Gerhards & Silke Hans: «Why not Turkey? Attitudes towards Turkish membership in the EU among citizens in 27 European countries», Journal of Common Market Studies, Vol.49, Issue.4, 2011, p.p.741-766, p.744.

[2] **«Turkey's Quest for EU Membership»**, Op.cit., p.6.

[3] "In 1683 Turkey was the invader. In 2004 much of Europe still sees it that way," *The Guardian*, September 22, 2004, quoted in; Beken Saatçioğlu, Op.cit., p.169.

Movement أن منح تركيا العضوية في الاتحاد سيُفرغ أوروبا "من كل مرجعياتها الثقافية والتاريخية".[1] وقد صرح الرئيس السابق **نيكولا ساركوزي** بأن:[2]

أنا أؤيد توقيع عقد مع تركيا. أنا أؤيد سوق مشتركة مع تركيا. لكنني ضد اندماج تركيا في أوروبا. تركيا هي آسيا الصغرى. ولا يوجد أي سبب لها لتكون جزءا من أوروبا. في ظرف 25 سنة سيكون عدد سكان تركيا 100 مليون. تركيا هي حضارة عريقة لكنها ليست أوروبية".

هناك عنصر آخر محدد للنقاش الفرنسي حول تركيا هو الأقلية الأرمينية القوية والمنظمة جيدا التي يبلغ عددها 400 ألف نسمة. فقد كانت فعالة في الدفع إلى سن تشريع يجعل إنكار "مذابح الأرمن" جريمة يعاقب عليها القانون، وهو ما أثار غضب الأتراك.[3]

الحكومة الأخرى التي أبدت تحفظات وطنية حول عضوية تركيا هي ألمانيا، تضمنت انشغالاتها: استمرار المستويات المرتفعة للبطالة مرفوقة بمخاوف أن ألمانيا ستكون المقصد الرئيسي لإقامة الأتراك الراغبين في الاستفادة من حرية حركة اليد العاملة (خوف يرتكز أساسا على حقيقة أن حوالي 2 مليون تركي مهاجر مقيم بألمانيامن أصل 3.8 الذين يُعتقد بأنهم مقيمين حاليا في الاتحاد الأوروبي). الإدراك بأن عضوية تركيا ستفرض ضغوط أكثر على ميزانية الاتحاد (تبقى ألمانيا إلى حد بعيد أكبر مساهم في ميزانية الاتحاد). الانشغال الآخر ، خاصة بالنسبة لحزب المستشارة **ميركل**، حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي المحافظ CDU والاتحاد الاجتماعي المسيحي CSU، أن السماح لتركيا بالانضمام سيضعف من الإرث والهوية المسيحية السائدة في أوروبا.[4]

لطالما كان الاتحاد الديمقراطي المسيحي معارضا لعضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي على أساس كل من الدوافع الثقافية والسياسية وقد كانت **أنجيلا ميركل** مؤيدة لفكرة "شراكة مميزة"، غير محددة، مع تركيا.[5] كما صرح الرئيس السابق لـ CSU **إيدموند ستوابر** ***Edmund-***

---

[1] Beken Saatçioğlu, Ibid.,

[2] Sarkozy, Nicolas (2007a) Turkey is not European. *Sabah*, May 23 2007; quoted in: Catherine Macmillan, Op.cit., p.126.

[3] Katinka Barysch, **« What Europeans Think About Turkey And Why»**, Centre for European Reform, London, September 2007, p.p.3-4.

[4] Neill Nugent, Op.cit., p.489.

[5]. **«Turkey's Quest for EU Membership»**, Op.cit., p.5.

-*Stoiber* أن "حدود أوروبا يجب أن تقوم على القيم المشتركة، الثقافة، والتاريخ. عضوية تركيا من شأنه أن يخرق هذه الحدود".[1]

يلاحظ أن أسباب معارضة الدول الأوروبية هي ذات طبيعة غير مادية وغير قابلة للحساب، وهذا على سبيل المثال الحالة أين ترى الحكومات ـمثل:فرنسا، ألمانيا، وهولندا على وجه الخصوص ـ في قبول تركيا على أنه يشكل تهديد محتمل للثقافة والهوية الوطنية والأوروبية. وهذا بشكل مماثل الحالة بالنسبة لحكومات النمسا وهنغاريا والتي تحددت مواقفها اتجاه تركيا على الأقل جزئيا بـ معارضةالتركية anti-Turkishness التي لها جذورها الوطنية العميقة والتي تنبع بشكل كبير من إرث من الذكريات طويلة الأمد للاحتلال التركي.[2]

الفرع الثاني: الحكومات المؤيدة لعضوية تركيا

تعتبر الحكومة البريطانية أحد المؤيدين الرئيسيين لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، إن موقفها هذا يعكس تفضيلها توسيع نطاق عضوية الاتحاد الأوروبي بدل تعميق مستوى التكامل السياسي داخل الاتحاد الأوروبي. يبدو إلى حد الآن أن الحزب المحافظ يبقى مؤيدا لموقف الحكومة حول تركيا، على الأغلب بسبب تفضيله التقليدي القوي للتحالف عبر الأطلسي. أكد الوزير الأول سابقا **توني بلير** ***Tony Blair*** على الأهمية التي يعطيها لعضوية تركيا من خلال قيامه بأول زيارة إلى تركيا من طرف الوزير الأول البريطاني منذ 14 سنة. كما التقى **غوردن براون** ***Gordon Brown***، الوزير الأول بعد **بلير**، مع الوزير الأول **أردوغان** في أكتوبر 2007، ووقع الشراكة الإستراتيجية بين المملكة المتحدة وتركيا معبرا عن ثقته في تحسن محادثات الانضمام بين الاتحاد الأوروبي والتركية.[3]

تعتبر إيطاليا أيضا أحد الداعمين الرئيسيين لانضمام تركيا، فتركيا تتمتع بدعم وسط الأحزاب السياسية كما وسط أهم الجماعات الصناعية وجماعات الأعمال. وقد أيدت كل من حكومات اليسار الوسط واليمين الوسط أيدت باستمرار توسيع الاتحاد الأوروبي ليضم تركيا على أسس تجارية وسيعزز موقف أوروبا في العالم في حين جعل الاتحاد الأوروبي أكثر تنوعا. وفي آخر

[1] Beken Saatçioğlu, Op.cit., p.170.

[2] Neill Nugent, Op.cit.,p.495.

[3] «**Turkey's Quest for EU Membership**», Op.cit., p.6.

ملتقى إيطالي- تركي المنعقد بروما في نوفمبر 2008، أعاد وزير الخارجية **فرانكو فراتيني** ***Franco Frattini*** دعم إيطاليا عن اقتناع لانضمام تركيا. وفي زيارة الوزير الأول **سيلفيو بيرلوسكوني** ***Silvio Berlusconi*** إلى تركيا وعد بأن الحكومة الإيطالية ستعمل مع رئاسة جمهورية التشيك والسويد للاتحاد الأوروبي بحيث يمكن أن تنتقل فصول مفاوضات الانضمام من اثنين إلى أربعة في كل رئاسة، لخفض مسار التفاوض إلى النصف. لكن هذا التأييد السياسي لا يعكس الموقف العام للرأي العام الإيطالي، الذي يبقى من بين أكثر المعارضين لانضمام تركيا.[1]

ومن بين الدول المؤيدة لانضمام تركيا أيضا نجد موقف اسبانيا الداعم الواضح والثابت لانضمام تركيا. وعندما يتم سؤال السياسيين والدبلوماسيين الاسبانيين عن الأسباب وراء هذا الموقف، عادة ما يستعملون عدد الحجج، مثل: القيمة الجيواستراتيجية لتركيا، الروابط التجارية مع الاقتصاد القوي، الأثر الإيجابي لعملية دمقرطة تركيا بالإضافة إلى مساهمتها المحتملة في تقوية المحور المتوسطي داخل الاتحاد الأوروبي، وبذلك المساعدة في نقل مركز جاذبية الاتحاد الأوروبي باتجاه الجنوب.[2] بالإضافة إلى التأييد الذي تحظى به تركيا من بعض الدول الأخرى، مثل: الدانمرك وبولندا واليونان. هذه الأخيرة تغير موقفها بشكل قوي في السنوات الأخيرة، فبعد أن كانت اليونان معارض قوي لطلب تركيا لسنوات عديدة تغير موقفها بعد الضغط المستمر من طرف الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وكذلك بعد زلزال 1999 الذي ضرب كلا البلدين، منذ ذلك الوقت واليونان تدعم عضوية تركيا. لكن على الرغم من ذلك فإن الرأي العام اليوناني يبقى معارض بشكل كبير لعضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي.[3]

ولتفسير اختلاف مواقف الدول الأوروبية بشأن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، تقترح **ناتالي توكسي** ***-Nathalie Tocci-*** ، من معهد الشؤون الدولية Instituto Affari Internazionali، أن مواقف الدول تعتمد بشكل حاسم على ما إذا كانت ترى انضمام تركيا كمسألة متعلقة بالسياسة الخارجية (كما هو الحال بالنسبة لاسبانيا والمملكة المتحدة) أو مبدئيا مسألة متعلقة بالاتحاد

---

[1] **Turkey Watch : EU Member States' Perceptions on Turkey's Accession to the EU**, Edit by: Sait Akşit, Özgehan Şenyuva, Çiğdem Üstün Turkey, Center for European Studies, First Published,2010, p.p.44-45.

[2] D. López Garrido, «España y Turquía: dos países y un destino » in *Afkar/ideas*, 22, 2009, pp. 30-31, quoted in; **Turkey Watch,** Op.cit., p.p.58-59.

[3] **«Turkey's Quest for EU Membership»**, Op.cit., p.6.

الأوروبي داخليا أو حتى بالسياسة الوطنية (كما هو الحال بالنسبة لفرنسا وألمانيا). كما أن معارضة تركيا أيضا متعلقة بنظرة الدولة إلى مستقبل الاتحاد، فالعديد من الدول مثل بلجيكا، فرنسا، ألمانيا وإيطاليا تخشى أن ضم تركيا سيعني نهاية حلم الفيدراليين باتحاد سياسي. أما في المملكة المتحدة والدول الأخرى الأقل حماسا حول الاندماج السياسي فهي ترى التوسع أكثر بإيجابية أكبر. [1] ففي الخطاب الفرنسي مثلا، فاعل سياسي قوي بحاجة إلى هوية قوية أو الإحساس بـ"نحن"، والذي في المقابل يجب أن يكون محددا بحدود واضحة. على الأقل بالنسبة لليمين الفرنسي مثل هذه الحدود تظهر بأنها تلك المتعلقة بـ"الحضارة الأوروبية"، خاصة الحضارة المسيحية والتي لا تنتمي إليها تركيا. وبهذه الطريقة فإن انضمام تركيا يمثل خطر لمشروع تكامل الاتحاد الأوروبي كما سيهدد "الهوية الأوروبية" الضرورية من أجل اتحاد أوروبي قوي. [2]

المطلب الثاني: موقف الرأي العام الأوروبي

من بين كل الدول التي تقدمت بطلب العضوية في الاتحاد الأوروبي سابقا وحاليا، تحظى تركيا بأقل دعم شعبي أوروبي. بحيث تظهر استطلاعات الرأي التي قام بها **يوروبارومیتير** -Eurobarometer- أن عدد سكان الاتحاد الأوروبي الذين يعارضون عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي في ارتفاع مستمر خلال العقد الأخير، وقد تجاوزت نسبة 50% منذ 2005. [3] كما تشير استطلاعات الرأي إلى أن فرنسا، ألمانيا والنمسا واليونان تمثل المعارضة الشعبية الأقوى لانضمام تركيا. يوضح الشكل ـ 1ـ نسبة دعم انضمام تركيا وسط المواطنين في كل الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي.

[1] Katinka Barysch, Op.cit., p.3.

[2] Catherine Macmillan: « conceptions of the EU and Attitudes to Turkey's Accession in French and British Discourse», International Journal of Social Sciences and Humanity Studies, Vol2, No 2, 2010, p.p.121-128. P.126.

[3] Wolfgang Zaunbauer: «Die öffentliche Meinung zum EU-Beitritt der Türkei», Österreichisches Institut für Sicherheitspolitik, November 2005. Quoted in; Katinka Barysch, Op.cit., p.1.

الجدول رقم 1: نسبة دعم عضوية تركيا في الدول 27 للاتحاد الأوروبي عام 2006 و2008

	2008	2006	Difference
EU-27	**36.3%**	**34.4%**	**1.9%**
Romania	80.5%	78.3%	2.2%
Spain	58.5%	49.5%	9.0%
Hungary	53.4%	45.6%	7.8%
Bulgaria	52.7%	58.5%	-5.8%
Poland	51.5%	48.9%	2.6%
Slovenia	51.4%	44.7%	6.7%
Sweden	50.9%	52.3%	-1.4%
Portugal	47.0%	50.7%	-3.7%
Lithuania	44.4%	44.0%	0.4%
Netherlands	41.9%	38.9%	3.0%
UK	41.7%	36.3%	5.4%
Ireland	41.3%	38.3%	3.0%
Malta	41.2%	39.4%	1.8%
Latvia	40.0%	37.9%	2.1%
Estonia	38.5%	32.0%	6.5%
Czech Republic	38.5%	32.0%	6.5%
Belgium	36.3%	36.0%	0.3%
Denmark	34.5%	28.6%	5.9%
Finland	32.4%	25.3%	7.1%
Slovakia	31.2%	36.7%	-5.5%
Italy	29.8%	29.9%	-0.1%
Greece	21.7%	24.6%	-2.9%
France	21.2%	24.0%	-2.8%
Luxembourg	20.8%	17.7%	3.1%
Germany	17.1%	17.1%	0.0%
Cyprus	12.2%	19.9%	-7.7%
Austria	7.2%	5.6%	1.6%

المصدر: Jürgen Gerhards & Silke Hans, «**Why not Turkey?** Attitudes towards Turkish membership in the EU among citizens in 27 European countries», Berliner Studien zur Soziologie Europas, Mai 2011,p.5. (نسخة معدلة من المقالة الأولى بعد إضافة معطيات جديدة من إحصائيات 2008)

تشير النتائج المدونة في الجدول إلى أن ثلث مواطني الاتحاد الأوروبي فقط الذين يرغبون في أن تصبح تركيا دولة عضو في الاتحاد الأوروبي، في حين أن الأغلبية تعارض ذلك وبالرغم من أن نسبة الدعم قد ارتفعت ما بين 2006 و2008 بحوالي 2% إلا أنها تبقى منخفضة. نلاحظ من خلال الجدول كذلك أن الدول التي كان لها أكبر نسب دعم عام 2006 بقيت كذلك، مثل: رومانيا، بلغاريا والسويد، كما أنه قد ارتفعت نسبة التأييد في بعض الدول، مثل: اسبانيا، هنغاريا، سلوفينيا،

إيستونيا وجمهورية التشيك. في حين هناك دول أخرى كانت نسبة دعم انضمام تركيا متدنية جدا في بعض الدول الأخرى من بينها فرنسا والنمسا اللتين أعربتا عن نيتهما في إجراء استفتاء في التوسعات المستقبلية، بالإضافة إلى قبرص وألمانيا وغيرها من الدول. بل قد شهدت نسبة التأييد انخفاضا من 2006 إلى 2008 في بعض الدول (مثلا، فرنسا: 24% إلى 21.2%، اليونان: 24.6% إلى 21.7%، قبرص: 19.9% إلى 12.2%). وبالتالي فإن فرص قبول انضمام تركيا من طرف مواطني الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي ضئيلة.

في استطلاع الرأي الذي قام به يوروباروميتر عام 2008، تم إضافة سؤال آخر: هل تؤيد أو ترفض عضوية تركيا إذا ما استجابت لكل الشروط التي يضعها الاتحاد الأوروبي؟ وكما هو متوقع فإن عدد المؤيدين لانضمام تركيا ارتفع بشرط تحقيقها للمعايير التي يضعها الاتحاد الأوروبي. عموما، حوالي نصف عدد مواطني الاتحاد يؤيدون انضمام تركيا تحت هذا الشرط (50.1%)، لكن حوالي نفس النسبة تعارض ذلك (49.9%). [1] إن العوامل الرئيسية المحددة للمواقف السلبية اتجاه انضمام تركيا هي "الاختلافات الثقافية" وخاصة البعد الديني، عدد سكان تركيا والخوف من موجة هجرة جديدة. [2]

ومن بين أكبر المعارضين لانضمام تركيا نجد الرأي العام الفرنسي، إذ أشارت استطلاعات الرأي التي قام بها يوروباروميتر في خريف 2006 إلى أن 69% من المواطنين الفرنسيين كانوا معارضين لأن تصبح تركيا عضوا في الاتحاد الأوروبي في المستقبل، في حين عبر 22% عن قبولهم، ومن بين الدول 12 الأخرى التي يمكن أن تنضم إلى الاتحاد الأوروبي في المستقبل فإن تركيا تحظى بأكبر نسبة معارضة من الرأي العام الفرنسي. [3] تظهر المعارضة الفرنسية ثابتة مع الوقت، بل حتى تميل إلى الارتفاع في السنوات الأخيرة: فقد ارتفعت من 64% ربيع 2002 إلى 69% خريف 2006، لتصل إلى 71% ربيع 2008. [4] وقد أشارت كذلك الإحصاءات إلى أن ثلثي الفرنسيين يعتبرون أن انضمام

---

[1] Jürgen Gerhards & Silke Hans, Op.cit.,p.6.

[2] **« La Turquie dans l'Europe: Plus qu'une promesse? »**, Op.cit., p.31.

[3] Eurobarométre 66. « L'opinion publique dans l'Union européenne ». Automne *2006.* Rapport national France, p.52.

[4] **Turkey Watch : EU Member States' Perceptions on Turkey's Accession to the EU**, Op.cit., p.11.

تركيا سيشجع الهجرة اتجاه دول الاتحاد الأوروبي الأكثر تقدما. ونفس النسبة ترى بأن الاختلافات الثقافية بين تركيا والدول الأعضاء مهمة جدا من أجل السماح بهذا الانضمام.[1]

تظهر استطلاعات الرأي العام الأوروبي أن النمسا أكثر البلدان معارضة لانضمام تركيا، لكن معارضة النمساويين ليست لتوسيع الاتحاد الأوروبي أكثر في المستقبل: أغلبهم يدعمون توسع الاتحاد الأوروبي اتجاه دول البلقان، إنهم يعارضون فقط انضمام تركيا، لكن لماذا؟ بالرغم من بعض النمساويين مازالوا يشيرون إلى الذكرى التاريخية لحصار الجيوش العثمانية **لفيينا**،إلا أن لدى أغلبهم انشغالات معاصرة أكثر. في استطلاع عبر الانترنت نهاية عام 2006 وُجد بأن الثقافة بدلا من الدين كانت السبب الرئيسي لعدم رغبة النمساويين في انضمام تركيا، لكن أصر ثلاثة أرباع بأن تركيا ليست دولة أوروبية.[2]

يمكن القول بأن نسبة تأييد انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي تعتبر منخفضة في كل دول الاتحاد عموما ومنخفضة جدا في بعض الدول الأخرى خاصة، مثل: فرنسا، ألمانيا والنمسا. لذلك، فإن إخضاع موافقة قبول عضوية تركيا لاستفتاء الرأي العام، كما تقترح ذلك فرنسا والنمسا، من شأنه أن يُعرقل انضمام تركيا. كما يبدو أن هذه المعارضة، سواء من قبل الرأي العام أو من قبل بعض الحكومات الأوروبية، لا تقوم على أسس موضوعية بل على أسس ثقافية ودينية، بحيث هناك تصور لدى بعض الأوروبيين بأن تركيا ليست دولة أوروبية وأن هويتها الإسلامية لا تتوافق مع الهوية الأوروبية. وفي هذا الإطار، يرى **أحمد داوود أوغلو** أن: "الشروط التي يتحدث عنها الاتحاد الأوروبي، مثل حقوق الإنسان وقبرص وإيجة والمعايير الاقتصادية، ما هي إلا ذرائع من أجل إبقاء تركيا وبشكل دائم في حالة من الترقب، وليست مبررات حقيقية". ويضيف أن: "دخول تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، مع انتمائها لوسط ثقافي مختلف وامتلاكها بنية سكانية دينامية، يثير قلق مسؤولي الاتحاد الأوروبي المنشغلين بقراءة التاريخ".[3]

---

[1] Eurobarométre 66, Op.cit., p.53.

[2] Türkei-Dialog, 'Ergebnis ReportBasisfragebogen', euroSearch,January 2007. Quoted in; Katinka Barysch, Op.cit., p.4.

[3] أحمد داوود أوغلو، مرجع سابق، ص.586.

الفصل الثالث

أثر الهوية الأوروبية على العلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي

إن الإتحاد الأوروبي الذي تحكمه قيم مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان وسيادة القانون وحماية الأقليات واقتصاد السوق يبدو من الوهلة الأولى مجرد اتحاد سياسي فقط بدون أي خصائص ثقافية محددة. ومع ذلك، فبالرغم من أن تركيا قطعت شوطا كبيرا فيما يتعلق بتحقيق معايير كوبنهاغن إلا أنها ما زالت تنتظر. لقد اكتسبت قضايا الهوية والهوية الأوروبية دورا مركزيا في النقاشات حول مستقبل الإتحاد الأوروبي، إلى درجة ربط الهوية الأوروبية المشتركة بسياسات مهمة في الاتحاد الأوروبي،مثل: التوسيع والسياسة الدستورية وسياسات الهجرة.

تعتبر مسألة القيم والهوية الأوروبية إحدى المسائل المثيرة للجدل فيما يتعلق بقضية انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، ففي نظر المعارضين لعضوية تركيا أن القيم والمراجع الثقافية التركية غير متطابقة مع القيم والهوية الأوروبية. وإذا تطلب مزيدا من الوضوح وتجنب التلميح والحشو، فإن الأمر يتعلق بكل وضوح بالدين الإسلامي الذي هو محل اتهام. فبالنسبة للبعض هناك عدم تطابق جوهري بين الدين الإسلامي وبين القيم الأوروبية. ولقد حاول أنصار هذا الطرح الأكثر تصميما، إدراج بعض الإحالات إلى الرب وإلى الإرث المسيحي-اليهودي الأوروبي في ديباجة المعاهدة الدستورية، لكنهم لحسن الحظ لم يتمكنوا من ذلك. هذه المحاولة الخطيرة في تعريف أوروبا من خلال التموقع بالنسبة للمراجع الدينية يمكن أن تكون ذات انعكاسات سلبية بالنسبة لمستقبل أوروبا مع هذا الجزء من العالم الذي تهيمن فيه الديانة الإسلامية.[1] لذلك، فإنه لا بد من النظر إلى ما وراء الحجج البراغماتية التي تركز على الأمن الطاقوي والمصالح الاستراتيجية، فلو كانت البراغماتية هي كل ما يهم بالنسبة للاتحاد الأوروبي لكانت تركيا عضوا بالفعل في الاتحاد الأوروبي. إن مصدر قلق المعارضين لعضوية تركيا ليس لأنها كبيرة جدا أو فقيرة جدا، ولكن لأنها مختلفة جدا (خاصة الاختلاف الديني).[2]

من هنا، فإن هذا الفصل سيعالج إشكالية انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي من منظور الهوية الأوروبية، مع التركيز على الاختلاف الديني ودوره في تحديد المواقف الأوروبية من عضوية تركيا. و بالحديث عن أوروبا فإننا نشير بذلك في بعض الأوقات إلى القارة، وفي بعض الأوقات الأخرى إلى الإتحاد

[1] ديديي بييون: «حتمية وحدود سياسات الحوار بين الحضارات والثقافات: الحالة التركية»، ترجمة: مصطفى فتحي بولعراس، ص.158. اطلع عليه في 12 أفريل 2013: http://www.cmiesi.ma/acmiesi/file/notes/didier-billion_2.pdf

[2] Ingrid Kylstad: «Turkey and the EU: A 'new' European Identity in the Making», LSE 'Europe in Question' Discussion Paper Series, Paper No.27, 2010, The London School of Economics and Political Science, p.1.

الأوروبي. ذلك لأن "أوروبا"، في فترة ما بعد الحرب الباردة، أصبحت تشير بشكل متزايد إلى عملية الاندماج الأوروبي وإلى مؤسسات الاتحاد الأوروبي. وبهذا فإن الإتحاد الأوروبي أصبح يُستعمل كمرادف لأوروبا، مما يعني أن الإتحاد الأوروبي احتل بنجاح الفضاء الاجتماعي لما يعني أن يكون أوروبيا. لذلك فإننا باستعمال الهوية الأوروبية فإننا نشير إلى هوية الإتحاد الأوروبي.

المبحث الأول: الهوية الأوروبية

يرى **ديلانتي** - ***Delanty*** – في شرحه لمصطلح أوروبا بأنه: "من المؤكد أن أوروبا تمثل أكثر من إقليم وكيان سياسي، إنها فكرة وهوية".[1] هذا يدل على أن الاتحاد الأوروبي ليس مجرد وحدة اقتصادية وسياسية بين مجموعة الدول الأوروبية، بل هو أيضا مشروع ثقافي يقوم على فكرة الإرث "التاريخي" و"الثقافي" الذي تشترك فيه هذه الدول. لذلك، فإنه من الأهمية بما كان دراسة الهوية الأوروبية لمعرفة مدى تأثيرها على مشروع الوحدة الأوروبية وموقع تركيا منه.

ليس هناك تعريف دقيق وموحد للهوية الأوروبية بمعناها الواسع، فقد تم تعريف الهوية الأوروبية على أسس مختلفة في فترات تاريخية مختلفة. ففي العصور الوسطى مثلا، كانت المسيحية تمثل الهوية الأوروبية نفسها، أما في العصر الحديث وبعد ظهور العلمانية والدولة الأمة فقدت المسيحية أولويتها، في حين تبقى المسيحية حاليا تمثل أحد أهم مكونات الهوية الأوروبية من الناحية الثقافية والتاريخية.[2]

إن للهوية الأوروبية بعدين: بعد قانوني وبعد ثقافي. يشير **البعد القانوني** إلى القيم الديمقراطية، مثل: الديمقراطية وسيادة القانون وحقوق الإنسان. هذه القيم تمثل الإرث الديمقراطي الليبرالي لأوروبا، وهي تعتبر قيم عالمية. أما **البعد الثقافي** للهوية الأوروبية فيقوم على أساس أولوية الإرث الثقافي. يتم تقديم الهوية الأوروبية على أنها تشكلت عن طريق الجذور التاريخية التي يمكن تتبعها بالرجوع إلى العصور القديمة والمسيحية وعصر التنوير، بهذه الطريقة يمكن وصف أوروبا

[1] Gerard Delanty: **Inventing Europe: Idea, Identity, Reality**, London, MacMillan Press, 1995, p.3.

[2] Selcen Öner : **Construction of European Identity within the European Union**, PhD Thesis, Department of Politics and International Relations of the European Union, European Union Institute, Istanbul, 2008, p.47-48.

على أنها كيان حصري.[1] إن هذا البعد الثقافي للهوية الأوروبية يفسر تردد دول الاتحاد الأوروبي اتجاه انضمام تركيا واقتراح منحها "شراكة مميزة" بدل العضوية الكاملة. إن تركيا وفقا لهذا المنظور الثقافي لا تنتمي للموروث التاريخي والحضاري الذي تشترك فيه باقي دول الإتحاد الأوروبي، أبرز مثال على ذلك: التوسع الأخير للاتحاد الأوروبي نحو دول أوروبا الوسطى والشرقية، والتي بالرغم من وضعها الاقتصادي والسياسي تم قبولها باعتبارها تمثل جزءا من أوروبا على عكس تركيا.

مقابل كل "نحن" والشعور بالانتماء يجب أن يكون هناك "الآخر"، إن الحديث عن أوروبا غامض لأنه ليس دائما حول الوحدة والشمول إنه أيضا حول الإقصاء وبناء الاختلاف القائم على معايير الإقصاء.[2] لذلك سيتم فحص تشكيل وتطور مفهوم أوروبا بدقة، مع الإشارة إلى أهمية "الآخر" ونفي الآخر في بناء وتشكيل الهوية الأوروبية، سواء كان هذا الآخر بلاد فارس بالنسبة للإغريقيين القدماء أو الإسلام بالنسبة للمسيحية أو العثمانيين الأتراك بالنسبة لبدايات أوروبا الحديثة.

المطلب الأول: الجذور التاريخية للهوية الأوروبية

إن الهوية الأوروبية تقوم على الإرث التاريخي والثقافي المشترك يجب أولا الرجوع إلى أهم المحطات والظروف التاريخية التي تمثل أساس الهوية الأوروبية اليوم. إذا كان لا بد من تحديد أهم المحطات التاريخية التي بنيت عليها الهوية الأوروبية، فستكون: الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية والمسيحية وعصر التنوير.

الفرع الأول: الحضارة الإغريقية

لقد كانت أوروبا أسطورة قبل أن تصبح امتدادا جغرافيا، في الميثولوجيا (علم الأساطير) أوروبا - ***Europa***- كان اسم امرأة. في الأساطير اليونانية القديمة، غادرت الأميرة الفينيقية أوروبا، التي أغواها **زوس** - ***Zeus***- لتركب على ظهره بعد أن تنكر في شكل ثور أبيض، وطنها الأم لبنان اليوم

[1] Sanja Ivic & Dragan D. Lakicevic : « European Identity: between Modernity and Postmodernity », Innovation: The European Journal of Social Science Research, Vol. 24, No. 4, December 2011, 395- 407, p. 401.

[2] Gerard Delanty, Op.cit., p.1.

إلى جزيرة كريت الغربية Crete أين تزوجت فيما بعد بملك كريت.[1] وهكذا أصبح يشار إلى مدينة "كريت" بأوروبا في تلك الأوقات ـ كريت تمثل اليوم اليونان. مع توسع المستعمرات اليونانية نحو الشمال والغرب أصبحت كذلك الرقعة الجغرافية لما يسمى بأوروبا أكبر،[2] إذا فإن فكرة أوروبا لم تكن أكثر من مجرد أسطورة يونانية قديمة.

استوطن المستعمرون اليونان في الساحل الغربي لآسيا الصغرى، وزاد الاستعمار من الوعي بالاختلافات بين الإغريقيين وغير الإغريقيين، في هذه المرحلة فقط بدأ استعمال كلمة "بربري" من طرف الإغريقيين لغير الإغريقيين. في هذا السياق التاريخي بدأ المؤلفون اليونانيون منذ القرن الخامس قبل الميلاد في ربط المفاهيم الجغرافية لأوروبا وآسيا ليس فقط بالاختلافات في اللغة والعادات والخصائص لكن أيضا باختلاف أنظمة الحكم. أصبحت الدولة المدينة في أثينا رمز الحرية اليونانية في حين كان ينظر إلى بلاد فارس بأنها إمبراطورية كبيرة يحكمها حاكم مستبد لا يحترم القانون ولا إله.[3] يمكن القول بأنه كان للحضارة الإغريقية وفكر الفلاسفة اليونان دور كبير في ظهور العديد من الأفكار السياسية والفلسفية والمفاهيم الحديثة، مثل: الديمقراطية والفلسفة والتعليم والفن. وقد استعانت أوروبا في عصر النهضة من الفكر اليوناني ويرجع الفضل في ذلك إلى المسلمين الذين قاموا بترجمة كتابات الفلاسفة اليونانيين.

لقرون عديدة، لعبت الهوة بين أوروبا وآسيا أو الغرب والشرق دورا كبيرا في تشكيل الفكر الأوروبي. عاش اليونانيون على كل من جهتي بحر ايجة، وقد بدأ منذ هذه المرحلة التاريخية الشعور بالاختلاف بين "الذات" و"الآخر"، أي بين "الإغريق" و"البربر" فلم يستعمل في ذلك الوقت بشكل واضح

---

[1] Ezgi Genç: **The Role of Religious Identity in Turco- European** Relations, Master of Science, Department of International Relations, The Graduate School of Social Sciences of Middle East Technical University, Ankara, 2004, p.29.

[2] Hande Öztürk : **European Identity, the Effect of Europeanization on Nation-state Identities and the Turkish Dimension**, Master of Art Thesis, Department of Politics and International Relations of The European Union, European Union Institute, Istanbul, 2005, p.14.

[3] Kevin Wilson and Jan van der Dussen (eds.): **The History of the Idea of Europe**, London, Open University, 1995, p.17.

مصطلح "الأوروبيون" و"الآسيويين".[1] من الواضح أن أوروبا في العصر القديم لم تشمل ما نربطها به اليوم، لقد كانت في الأغلب إقليم وليس قارة بالمعنى الجيوبوليتيكي للمصطلح. وفي الوقت الذي كانت فيه كلمة "أوروبا" موجودة، فإن مصطلح "أوروبيون" كان نادر الاستعمال في الأزمان القديمة. على كل، كانت فكرة أوروبا في أغلبها فكرة جغرافية ولم تكن بعد فكرة ذات دلالة ثقافية، أو كهوية سياسية.[2]

الفرع الثاني: الإمبراطورية الرومانية

عام 146 قبل الميلاد، تم احتلال اليونان من طرف الرومان الذين أبقوا على لغتهم اللاتينية الخاصة، لكنهم استوعبوا بسرعة ما استطاعوا من الثقافة الفكرية والفنية لليونانيين. أسس الرومان إمبراطورية قوية جدا والتي توسعت باتجاه مصر، اليونان، آسيا الصغرى، سوريا، ونحو الغرب لما يمثل اليوم: تونس، الجزائر، المغرب، اسبانيا، البرتغال، فرنسا، سويسرا، بلجيكا وانجلترا.[3] لقد ظهر مع اليونانيين للمرة الأولى الفرق بين المثل الأوروبية والآسيوية واستقلال الحضارة الغربية. كان امتداد هذه الحضارة نحو الغرب عمل روما التي كانت مهمتها تتمثل في التوسط بين العالم الإغريقي المتحضر شرق المتوسط وبين الشعب البربري في أوروبا الغربية.[4]

قبل الاعتراف الرسمي بالمسيحية، كان للإمبراطورية الرومانية دين يقوم على مزيج من الطقوس والمحرمات والخرافات والتقاليد التي جمعوها على مر السنوات من عدد من المصادر، وقد ترددت السلطات الرومانية لوقت طويل حول كيفية التعامل مع هذا الدين الجديد ورأوا بأنه يشكل خطرا على الإمبراطورية.[5] قبل أن تصبح الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية، كانت المسيحية في القرون الأولى عبارة عن دين تبشيري يعتمد على الوعظ والعبر لإقناع الناس بالانضمام إلى المجموعة

[1] Mustafa Serdar Palabıyık: **Contributions of the Otoman Empire to the Construction of Modern Europe**, A Thesis Submitted to the Graduate School of Social Sciences of Middle East Technical University, Ankara, June 2005, quoted in; Şahka Susuzlu, Op.cit., p.33.

[2] Gerard Delanty, p.22.

[3] Güneş Becerik : **Evaluating the Role of Identity in European Integration from a Constructivist Perspective**, Master of Art Thesis, The Graduate School of Social Sciences, Izmir University of Economics, June 2006, p.33.

[4] Şahika Susuzlu, Op.cit., p.34.

[5] Şahika Susuzlu, Ibid.

المسيحية، وبدأت في الانتشار بين الفقراء لتصل تدريجيا إلى طبقات أعلى في المجتمع. بالرغم من أن المسيحية كانت عامل موحد إلا أنها لم تستطع أن تحول دون انقسام الإمبراطورية الرومانية. بعد اعتناق الإمبراطور الروماني **قسطنطين** - ***Constantine*** – المسيحية أسس عام 330 بعد الميلاد عاصمة جديدة في بيزنطة والتي أسماها بـ **القسطنطينية** -**Constantinople**-، من الآن فصاعدا أصبحت الإمبراطورية منقسمة إلى قسمين.[1]

مع انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين، تطور مفهومي الغرب والشرق ليشيرا إلى نصفي الإمبراطورية الرومانية. بدأ استعمال مصطلح الغرب، بالموازاة مع أوروبا، يتجه بشكل متزايد للإشارة إلى النصف الغربي للإمبراطورية الرومانية سابقا، والذي أصبح يستند تدريجيا على المسيحية اللاتينية. أصبحت أوروبا والغرب مرادفان للنصرانية [...] لم يعد الشرق بلاد فارس فحسب لكنه أصبح يدل تدريجيا على آسيا الصغرى، ومع ظهوره بدأت فكرة أوروبا تتبلور باعتبارها فكرة ثقافية.[2]

كما هو الحال بالنسبة للإغريق فإنه لم يكن لدى الرومان شعور قوي بالهوية الأوروبية، فلا يمكننا التفكير في الرومان بأنهم أوروبيون لأنهم لم يعتبروا أنفسهم كذلك، على عكس ذلك لم يكن لديهم حدود للإمبراطورية الرومانية المقدسة فقد اعتبروا أنها العالم كله، عصر أوروبا بدأ مع نهاية الإمبراطورية الرومانية.[3] لكن منذ قبول الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية، أصبحت أوروبا مسيحية. ومع انتشار المسيحية وقبولها كدين رسمي توحدت الأسطورة اليونانية القديمة مع المسيحية، منذ ذلك الوقت بدأت أوروبا في اكتساب معنى ثقافيا.[4]

---

[1] Güneş Becerik, Op.cit., p.33-34.

[2] Gerard Delanty, p.23.

[3] Hande Öztürk, Op.cit., p.15.

[4] A. Nuri Yurdusev, **"Avrupa Kimliğinin Olusumu ve Türk Kimliği", Türkiye ve Avrupa: Batılılasma Kalkınma Demokrasi**, ed. Atila Eralp, (Ankara: Đmge Yayınevi, 1997), p.32. quoted in ; Şahika Susuzlu, Op.cit., p.35.

الفرع الثالث: المسيحية في أوروبا ومواجهتها للإسلام

إذا كانت أوروبا تدين وجودها السياسي للإمبراطورية الرومانية، فإنها تدين بوحدتها الروحية للكنيسة الكاثوليكية.[1] إن اختراق المسيحية للإمبراطورية الرومانية يمثل منعطف آخر مهم جدا في تصور أوروبا. بدأت الكنيسة تلعب وظيفة المحفز على الوحدة في أوروبا وتعمل على وضع الاختلاف جانبا وتعزيز صورة مشتركة عن طريق منظمتها الدينية والاقتصادية والسياسية على مستوى القارة. كما أن جعل اللاتينية لغة مشتركة، على الأقل في التواصل السياسي والطقوس الدينية، دفع خطوة إلى الأمام في تشكيل فكر مشترك في جميع أنحاء أوروبا. ومن هنا، فقد تم استبدال فكرة أوروبا بالمسيحية كمفهوم متفق عليه.[2]

وفقا للنصرانية اللاتينية، كان أسقف روما أرفع منزلة من الآخرين، وروما هي رأس العالم وأن الكنيسة الرومانية هي التي تملك السلطة العليا لتصحيح النصرانية ككل. تعريف الذات بالنسبة للرجال والنساء في العصور الوسطى لا يمكن فصله عن الكنيسة الرومانية المقدسة،[3] ففي مرحلة القرون الوسطى أو ما يعرف بعصر الظلام، ابتداء من القرن الرابع، كان للمسيحية تأثير كبير على كل نواحي الحياة في المجتمعات الأوروبية وكانت الكنيسة المؤسسة الوحيدة التي تملك السلطة وتستعملها، وبهذا أصبح مصطلح "النصرانية" أو "المسيحية" يعني "أوروبا".

أحد أهم المتغيرات التي تؤثر في التطور التاريخي لكيان ثقافي وسياسي هو الدين، ومما ساهم أكثر في الإحساس بالهوية الدينية المسيحية لأوروبا في العصور الوسطى هو صراع المسيحية ضد الإسلام.[4] ابتداء من القرن السابع، بدأت تتصاعد فكرة أوروبا في مواجهة الإسلام والتي استمرت

---

[1] Christopher Dawson : **The Making of Europe : An Introduction to the History of European Unity**, Washington D. C., The Catholic University Press, 2003, p. 16, quoted in; Şahika Susuzlu, Op.cit., p.36.

[2] Cem Kütük : **European Identity in the European Integration Framework**, Master of Art Thesis, Department of Politics and International Relations of The European Union, European Union Institute, Marmara University, Istanbul, 2006, p.18.

[3] Robert Bartlett: **The Making of Europe: Conquest, Colonization and Cultural Change 950–1350,** New Jersey, Princeton University Press, 1994, p.243-244, quoted in; Şahka Susuzlu, Op.cit., p.36.

[4] Şahika Susuzlu, Ibid.

لعدة قرون فيما بعد. تفككت وحدة البحر الأبيض المتوسط أساسا بسبب التوسع العربي الهائل الذي بدأ في ذلك القرن. بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم عام 632، قام أتباعه بالتوسع خارج الجزيرة العربية وقاموا بغزو الإمبراطورية الفارسية الساسانية وضموا أراضي العراق وسوريا وفلسطين، بالإضافة إلى مصر والساحل الشمالي لإفريقيا. انتشرت قوات المسلمين في الأناضول وبلاد فارس وبلاد ما بين النهرين لتصل في النهاية إلى الهند.[1]

في بدايات القرن العاشر، كانت أوروبا متخلفة على الصعيدين الفكري والاقتصادي، لقد كانت تعتبر بدائية اقتصاديا مقارنة بالعالم الإسلامي. في القرن 12 بدأ الاختلال في التوازن يتغير وذلك عن طريق نقل الفكر اليوناني من العالم الإسلامي إلى الغرب.[2] يمكن القول بأن الثقافة الإسلامية كان لها أثر كبير على أوروبا، أواخر القرون الوسطى، فيما يتعلق بنقل المعارف والعلوم وتأسيس الجامعة التي كانت من ابتكار المسلمين.

عام 1095، قامت الحملات الصليبية ضد الإسلام في "الأرض المقدسة" بدعم مطالب البابا بالسلطة السياسية العليا. بالإضافة إلى ذلك فقد أنعشت هذه الحملات الصليبية محاولات، برئاسة الكنيسة الرومانية في ذلك الوقت، للمطالبة بالوحدة في وجه التحدي الإسلامي في الشرق باعتبار ه "الآخر" الجديد والأكبر، وتعنى بذلك مماليك المسلمين المقيمين شرق البحر الأبيض المتوسط. ذلك التفاعل غير الاعتيادي والمكثف مع "الآخر" المختلف ألقى الضوء حتما على القواسم المشتركة خاصة حول المسيحية.[3] زاد تحرك القوات المسيحية مع نهاية القرن العاشر، كان أنصار هذه الحركة الصليبيين على قناعة بأن عليهم واجبا دينيا برفع الصليب واسترجاع الأرض المقدسة، الأرض التي عاش وتعلم فيها المسيح ، من المسلمين الكفار من أجل تسهيل أو تسريع عودة المسيح.[4]

كان هناك العديد من الحملات الصليبية، على الأقل ثماني حملات كبيرة ما بين 1095 و1270 بهدف إزالة خطر الإسلام واسترجاع الأرض المقدسة المحتلة من طرف المسلمين.[5] يظهر

---

[1] Ezgi Genç, Op.cit., p.31.

[2] Hugh Goddard: **A History of Christian Muslim Relations**, Chicago, Ivan R. Dee, 2000, p.97.

[3] Cem Kütük , Op.cit., p.18.

[4] Hugh Goddard, Op.cit., p.84.

[5] Gerard Delanty, Op.cit., p.35.

الصليبيون باعتبارهم أول اتحاد غربي ويشير إنشاء جيش صليبي إلى التقدم الكبير نحو سلام ووحدة أوروبية.[1]

ابتداء من القرن الخامس عشر، أصبح كل الاهتمام مركزا على التهديد المفروض من قبل الأتراك. في 29 ماي 1453، سقطت القسطنطينية في أيدي العثمانيين مما أدى إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية الشرقية بشكل نهائي. أحس العالم المسيحي، اللاتيني واليوناني، بأنه مهدد بشدة وتزايدت سلطة البابا في روما لأنه كان يُنظر إليه في ذلك الوقت بأنه الحامي الوحيد للمسيحية.[2] أعيدت تسمية القسطنطينية بـ اسطنبول، عاصمة الإسلام وأصبحت عاصمة الإمبراطورية العثمانية. عاصمة أعظم حضارة إسلامية في العالم أصبحت الآن تقع في أوروبا معلنة ميلاد ما كان يُعرف لقرون بـ"تركيا في أوروبا".[3]

مع سقوط القسطنطينية، استطاع العثمانيون السيطرة على البحر الأسود والطرق الرئيسية المؤدية إلى البلقان، واستمر العثمانيون بالتوسع باتجاه أوروبا والبحر الأبيض المتوسط. كان للأتراك دور مهم في تشكيل التاريخ الأوروبي، بل إن فكرة أوروبا نفسها وبناء هوية أوروبية أصبحت ترتكز على مقاومة التوسع العثماني.

إنه على الوجه التحديد، في سياق التهديد التركي في الشرق أن أصبحت أوروبا مرادفا للعالم المسيحي. سقطت بلغراد في 1521، ورودس عام 1522 وأخيرا انتصار الأتراك في Mohacs عام 1526 وضع نهاية لاستقلال هنغاريا وفتح الطريق نحو فيينا التي حاصرها الأتراك لأول مرة عام 1529. في هذه المرحلة الزمنية، أصبحت دار النصرانية هي أوروبا.[4] لقد ساهم هذا التهديد العثماني بشكل كبير في بناء هوية أوروبية وتعزيز الوحدة الأوروبية في مواجهة "الآخر" المتمثل في "الأتراك المسلمين".

في القرن السادس عشر بدأت تظهر الاختلافات الدينية المتضاربة في أوروبا، هذا لم يكن فقط نتيجة الإصلاح البروتستانتي لكن بسبب ظهور تجمعات وأقليات دينية أخرى،لم يكن هناك تعايش سلمي بين الطوائف المختلفة. بدأ هذا الانقسام يجعل من مطابقة أوروبا بالمسيحية صعب الاستمرار

[1] Tomaz Mastnak**: Islam and the Creation of European Identity**, Centre for the Study of Democracy, CSD Perspectives, Number 4, Autumn 1994, p.8.

[2] Ezgi Genç, Op.cit., p.37.

[3] Gerard Delanty, Op.cit., p.35.

[4] Ezgi Genç, Op.cit., p.38.

بشكل متزايد.[1] إن هذا الانقسام الديني أدى إلى اندلاع الحروب الدينية في أوروبا والتي انتهت بتوقيع معاهدة **وستفاليا** للسلام عام 1648بعد حرب دامت ثلاثين سنة. لقد كان نتيجة هذه المعاهدة ظهور نظام الدولة-الأمة الحديثة أو الدول ذات السيادة لأول مرة.

بعد 1648، انقسمت النصرانية إلى عدة أشكال متنافسة من المسيحية: الكاثوليكية الرومانية، الأنجليكانية، اللوثرية والكالفينية وطوائفها البروتستانتية. كان هذا التفريق المتزايد للمجتمع أحد أهم تطورات هذا العصر ... قسمت الإصلاحات أوروبا بين شمال بروتستاني وجنوب كاثوليكي لكن المسيحية استمرت في كونها مصدر الهوية الثقافية.[2]

إن التطور التاريخي لفكرة أوروبا" و"الهوية الأوروبية" يُظهر الدور الرئيسي للدين في تطورهما، فقد كانت أوروبا لعدة قرون تعني المسيحية والمسيحية تعني أوروبا. كما أن صراع العالم المسيحي ضد الإسلام في العصور الوسطى ساعد في الإحساس أكثر بهوية أوروبية مشتركة.

الفرع الرابع: عصر التنوير في أوروبا

يُطلق على القرن السابع عشر قرن العباقرة، الذي ظهرت فيه النظرة العلمية للعالم والشؤون الإنسانية وأصبحت خاصية المجتمع الأوروبي. كان هذا عصر العلماء والفلاسفة والمؤلفين: **غاليلو** - ***Galileo***-، **نيوتن** - ***Newton***-، **داروين** –***Darwin***-، **باكون** –***Bacon***-، **ديكارت** -***Descartes***-، **ومنتاني** ***Montaigne***-. قادت هذه النهضة التي شهدها المجتمع الأوروبي إلى عصر التنوير في القرن الثامن عشر ، وأصبح يُنظر إلى الماضي بأنه زمن البربرية والظلام. قام أشهر فلاسفة هذه الحقبة، **مونتيسيكيو** - ***Montesquieu***- وفولتير –***Voltaire***- وروسو –**Rousseau**- والذين كانت لديهم آراء مختلفة، بتحاليل سياسية واجتماعية في أعمالهم. فقد دافع **مونتيسيكيو** عن الفصل بين السلطات، في حين كان **فولتير** مهتما بحرية التفكير، وتساءل **روسو** عن العلاقة بين الفرد والمجتمع.[3]

مع نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر أصبح هناك مفهوم جديد لأوروبا والذي كان سياسيا بدل أن يكون دينيا. لكن مع أوروبا الفريدة من نوعها سياسيا كان هناك أيضا أوروبا الفريدة من نوعها ثقافيا. كانت الفكرة الأساسية أن أوروبا السياسية والوحدة السياسية

[1] Ezgi Genç, Ibid., p.39.

[2] Gerard Delanty, p.65.

[3] Güneş Becerik, Ibid., p.38.

يجب أن تستكمل بحضارة أوروبا المختلفة عن القارات الأخرى. من ناحية أخرى، بالرغم من عملية العلمنة فإن الارتباط مع المسيحية لم يختف كليا. [1] مع نهاية القرن الثامن عشر لم يصبح استعمال أوروبا والنصرانية كمرادفين. كان الشعور الأوروبي بالتفوق يقوم على تراكم الأفكار المنبثقة من عصر التنوير والتي في المقابل تم ربطها مع فكرة الحضارة، ستشكل المسيحية جزءا من هذه الحضارة لكن مع ذلك كانت الحضارة الأوروبية أكثر من النصرانية وحدها. [2]

تمثل الثورة الفرنسية (1789) نقطة انعطاف في التفكير الاجتماعي والسياسي وامتد أثرها في كل أنحاء أوروبا أواخر القرن التاسع عشر. لقد قامت باستبدال الملكية الاستبدادية في فرنسا بالجمهورية، وتم إجبار القطاع الفرنسي للكنيسة الكاثوليكية الرومانية للخضوع لإعادة بناء جذرية. يمكن تلخيص أهم أسباب الثورة الفرنسية في: الحالة الاقتصادية السيئة و عدم القدرة على التحكم في الدين الوطني، الاستياء من الاستبداد الملكي، الطموح إلى الحرية والنظام الجمهوري، تصاعد الأفكار التنويرية، قلة الغذاء، ارتفاع نسبة البطالة، الاستياء من التعصب الديني وفشل لويس السادس عشر في التعامل مع هذه الظواهر بفعالية. يُنظر إلى الثورة الفرنسية باعتبارها منعطف مهم جدا في تاريخ القارة الأوروبية، من عصر الاستبداد إلى عصر المواطنة، باعتبارها القوة السياسية المسيطرة. الحرية والمساواة والأخوة كانت شعارات الثورة، وأهم مفهوم جاءت به الثورة الفرنسية كان القومية. [3]

هناك رأي عام مشترك بين العديد من المؤرخين أن فكرة أوروبا كانت ابتكار الحقبة الحديثة، وظهرت خاصة مع الثورة الفرنسية والثورة الصناعية. ساهمت هذه الأحداث أكثر في تشكيل الهوية الأوروبية. مع تأثير النهضة والإصلاح والتنوير والثورة الفرنسية بدأت المسيحية تفقد أثرها على المؤسسات والأفراد. يمكن القول أن هناك علاقة إيجابية بيني الدولة الأمة والعلمانية. [4]

انطلاقا من هذا المنظور التاريخي والثقافي، يرى المعارضون لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي بأن تركيا لا تنتمي إلى الموروث التاريخي الثقافي والحضاري لأوروبا، عل عكس باقي الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي. بل أكثر من ذلك كانت تركيا لعدة قرون تمثل العدو والتهديد

[1] Hande Öztürk, Op.cit., p.16-17.

[2] Ezgi Genç, Op.cit., p.40.

[3] Güneş Becerik, OP.cit., p.39.

[4] Şahika Susuzlu, Op.cit., p.43.

الأكبر لأوروبا، كما ساهمت بشكل مباشر في بناء الهوية الأوروبية المشتركة وتعزيز الوحدة الأوروبية في مواجهة التوسع العثماني.

المطلب الثاني: محددات تشكيل الهوية الأوروبية

الفرع الأول: دور الدين في تشكيل الهوية الأوروبية

عند التكلم عن الثقافة والهوية فنحن لا نشير فقط إلى التقاليد والمعتقدات وأنماط الحياة، ولكننا نؤكد أيضا على الدين بصفة خاصة. وفقا **لصامويل هنتغتون** "نحن نعرف من نكون فقط إذا عرفنا من لا نكون وغالبا فقط عندما نعرف من نحن ضده"، مثل ما فعلت أوروبا عدة سنوات مضت من خلال بناء هويتها الخاصة ضد الإسلام والأتراك.[1]

إن أول مميزات الهوية الأوروبية هو الدين، فأوروبا مسيحية وتحمل الهوية المسيحية. لقد كان للمسيحية دور كبير في ظهور الهوية الأوروبية، بل أصبحت أوروبا والهوية الأوروبية في مرحلة العصور الوسطى مرادفان للمسيحية. كما أن انتشار المسيحية في أوروبا كان أحد أهم العوامل الموحدة، خاصة بعد ظهور الإسلام، ابتداء من القرن السابع، باعتباره عامل محدد للآخر.

عبر التاريخ كان هناك دائما انقسام بين المسلمين والمسيحيين، وقد زاد هذا الانقسام أكثر بعد القرن السابع وتوسع المسلمين عن طريق الفتوحات الإسلامية إلى أراضي المسيحيين. هذا ما أدى إلى شن الحملات الصليبية على الأراضي الإسلامية أين كانت القدس مركز كل هذه الهجمات. لقد كان هناك دائما خوف من الإسلام والذي لم يكن مسيحيا كان كافرا، لكن بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية تغير فحوى هذا المصطلح. أصبح هذا المصطلح - أي المسيحية - بعد ذلك مرتبطا بأوروبا التي لم تعد تعني مجرد وحدة جغرافية ولكن أصبحت تمثل وحدة ثقافية، هذا التغيير أثار التركيز اليوم على هوية أوروبية مشتركة. بالرغم من أن فكرة النصرانية (العالم المسيحي) تم استبدالها بفكرة أوروبا ، إلا أن هذا لا يعني أن الدين فقد أهميته.[2]

نرى بأن العداوة اتجاه الإسلام قادت المسيحية لتصبح إيديولوجية موحدة لمختلف المجموعات الإثنية واللغوية في أوروبا. بالرغم من أن النهضة والإصلاح والتنوير استبدلت هيمنة المسيحية بالمنطق

[1] Şahika Susuzlu, Op.cit., p.44.

[2] Hande Öztürk, OP.cit., p.28.

والعلم، إلا أن المسيحية كانت دائما عامل موحد خفي لأوروبا، [1] ولا تزال إلى اليوم تمثل أحد أهم عناصر الهوية الأوروبية.

انعكاس هذه الحقيقة ظهر من خلال النقاشات حول مشروع دستور الاتحاد الأوروبي.في حين أصرت كل من اسبانيا، إيطاليا، بولندا، البرتغال، هولندا، رومانيا، ليتوانيا، أيرلندا، جمهورية التشيك والديمقراطيين المسيحيين في البرلمان الأوروبي على أن الديباجة يجب أن تركز على "الرب" و إرث أوروبا المسيحي، رأت فرنسا وبريطانيا بأن هذا ضد مبدأ العلمانية وسيقسم أوروبا أكثر. [2] لكن فشل "المعاهدة المؤسسة لدستور من أجل أوروبا" أعطى دفعا جديدا لدعاة الإشارة إلى المسيحية في ديباجة الدستور الأوروبي المستقبلي. فقد أصرت **أنجيلا ميركل** على التأكيد أكثر على البعد المسيحي للهوية الأوروبية، وتدعي أن ذلك لن يعكس حقائق التقاليد التاريخية والدستورية القانونية الأوروبية فحسب، لكنه أيضا سيعوض نقص التضامن ويوفر الدافع من أجل تعزيز المشروع السياسي الأوروبي. [3]

ترتبط هذه المسألة حتما بعملية انضمام تركيا المسلمة والجالية المسلمة المقيمة في الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، لأن السعي إلى التأكيد على الخصائص المسيحية لأوروبا يمثل محاولة لإقصاء الأجانب وإغلاق الباب أمام أعضاء جدد مثل تركيا.

الفرع الثاني: دور الآخر في تشكيل الهوية الأوروبية

إن الهوية مفهوم ثنائي الأبعاد، لكل "نحن" يجب أن يكون هناك "هم". إنه شرط منطقي أن ما يثبت الهوية يتطلب الاختلاف، العامل المهم هو إدراك "الآخر" ضمن تشكيل الهوية. تتشكل الهويات من التجارب والذكريات والأساطير المشتركة في علاقتها مع تلك الخاصة بهويات جماعية أخرى، فعادة ما تبنى الهويات من خلال معارضة هوية أبرز الآخرين. [4] وبالتالي فإن إدراك "الآخر" يساهم بشكل كبير في بناء الهوية، وهذا هو الحال بالنسبة للهوية الأوروبية التي بدأت تظهر في القرون الوسطى من خلال مواجهة الآخر المتمثل في الإسلام والأتراك.

---

[1] Güneş Becerik, Op.cit., p.46.

[2] Güneş Becerik, Ibid., p.46.

[3] Camil Ungureanu: «A Christian or a Laic Europe? Moving Beyond a False Dichotomy», Romanian Journal of Political Science, pp.6-34, p.6.

[4] Şahika Susuzlu, Op.cit., p.44.

يتم عادة تعريف الهوية الأوروبية ضد "الآخر"، وفقا لـ **نومان** ***Neumann*** **ووالش** ***Welsh*** "الآخر" هو : غير الأوروبي البربري أو غير المتمدن الذي يلعب دورا حاسما في تطور الهوية الأوروبية وفي الحفاظ على النظام بين الدول الأوروبية. اختلف هذا "الآخر" باختلاف المراحل التاريخية التي مرت بها أوروبا، فقد كان الإسلام، والإمبراطورية العثمانية على وجه الخصوص، لعدة قرون يمثل "الآخر" الرئيسي لأوروبا والذي تم بناء الهوية الأوروبية ضده. خلال الحرب الباردة أصبح "الآخر" يشير إلى الشيوعية، أما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي فلم يكن لأوروبا "آخر" واضح فحاول بعض السياسيين والمفكرين إيجاد "آخر" جديد. في الوقت الحالي يرى الكثير بأن "الأصولية الإسلامية" أصبحت "الآخر" الجديد بالنسبة لأوروبا.[1]

يمكن الملاحظة من خلال المنظور التاريخي، أنه تم تشكيل الدلالات الإيجابية للهوية الأوروبية من خلال إعطاء صور سلبية متعددة للآخر، مثل: "البربر في آسيا"، "العرب" في البحر الأبيض المتوسط، و"الأتراك" في ضواحي فيينا الذين يصنفون تاريخيا باعتبارهم أعداء خارجيين. لقد لعبت الإمبراطورية العثمانية وسياساتها التوسعية في أوروبا تاريخيا دورا كبيرا في بناء الهوية الأوروبية، فقد كان الأتراك يمثلون كل ما كان منافيا للهوية الأوروبية: الهمج (غير المتمدن)، البربري، استبدادي، ظالم، عنيف وتهديد للحضارة الأوروبية.[2]

إلى يومنا هذا، ما زال "الآخر" يلعب دورا في تعزيز الشعور بالهوية الأوروبية، فبالرغم من التباينات الوطنية، واللغوية، والثقافية والسياسية والمالية المختلفة بين أعضاء الاتحاد الأوروبي، إلا أن مفهوم الهوية الأوروبية يصبح فجأة أسهل للتعريف عندما نأتي لنفرق بين "الأوروبي" و"الآخر".[3] إنه شيء أساسي أن يتم تعريف "الآخر" بالنسبة للاتحاد الأوروبي من أجل وصف جوهر الهوية الأوروبية، هذا بسبب أنه إن لم يستطع "الأوروبيون" قول "من نكون" سيكون من الأسهل بكثير أن يقولوا "من لا نكون".[4] يبدو أن تركيا من هذا المنظور مازالت تمثل "الآخر" المختلف عن أوروبا، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر أين أصبح الإسلام من جديد يشكل خطرا على أوروبا والحضارة الغربية بصفة عامة.

---

[1] Selcen Öner, **Construction of European Identity within the European Union,** Op.cit., p.52-53.

[2] Güneş Becerik, Op.cit., p.45.

[3] Güneş Becerik, Ibid., p.44.

[4] Derya Kap, Op.cit., p.32.

الفرع الثالث: دور الاتحاد الأوروبي في تعزيز الشعور بالهوية الأوروبية

إن أحد العناصر الأساسية لتعميق الشعور بالاندماج في الاتحاد الأوروبي هو عن طريق تطوير هوية أوروبية مشتركة. إن أوروبا ليست أمة ولا اتحاد فيدرالي كامل لكن يرى أعضاء الاتحاد الأوروبي بأن لديهم هوية أوروبية متميزة. هذا ما تم التعبير عنه بوضوح في القرارات الرئاسية لقمة ستراسبورغ عام 1989، في الوقت الذي اكتسبت فيه مسائل الثقافة والهوية أهمية متزايدة:

كل سياسات المجموعة في المجال الاقتصادي والاجتماعي تساهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة في تقوية مجال مشترك للانتماء. يجب أن توسع هذه الحركة وتسرع من خلال تبني إجراءات ملموسة والتي ستمكن المواطنين الأوروبيين من الاعتراف في حياتهم اليومية أنهم ينتمون إلى كيان واحد.[1]

لذلك يحاول الاتحاد الأوروبي من خلال مجموعة من السياسات المشتركة العمل على خلق هوية أوروبية مشتركة وتعزيز الشعور لدى المواطنين الأوروبيين بالانتماء إلى نفس الموروث الثقافي والعلمي والقيمي. من بين هذه السياسات نجد السياسة الثقافية والتعليمية للاتحاد الأوروبي.

كانت البدايات الأولى للإشارة إلى السياسة الثقافية في إعلان الهوية الأوروبية عام 1973، وتقرير تيندمانز (Tindemans Report) عام 1975، إعلان ستاتغارت (Stuttgart Declaration) عام 1983 وفي تقرير لجنة شعب أوروبا 1985. مع معاهدة ماستريخت تم نقل السياسة الثقافية إلى مستوى الاتحاد، قبل ذلك كان لمجلس أوروبا دور كبير في السياسة الثقافية. تتضمن السياسة الثقافية النشيد الأوروبي والعلم الأوروبي ومتاحف للأبطال الأوروبيين أو الآباء المؤسسين لأوروبا. من المعتقد أن هذه الرموز تزيد من فكرة الانتماء والجذور والهوية المشتركة. إنها المميزات التي نجدها عادة في الدولة الوطنية وعناصر هوية الدولة الأمة. تحاول أوروبا أن تشكل هوية وراء الدولة أو هوية إضافية لها. أضافت معاهدة ماستريخت أيضا السياسة التعليمية التي تسمح بتعليم التنوع الثقافي، والتي تساهم بشكل كبير في تطور الهوية الأوروبية في جيل الشباب.[2] إن معاهدة ماستريخت

[1] Strasbourg European Summit, Conclusions of the Presidency (December 1989), quoted in; Güneş Becerik, Op.cit., p.41.

[2] Hande Öztürk, Op.cit., p.22.

باعتبارها المعاهدة المؤسسة للاتحاد الأوروبي دليل على أهمية الهوية والثقافة بالنسبة للاندماج الأوروبي.

السياسات الأخرى التي كان لها تأثير في تشكيل هوية مشتركة هي العملة الموحدة والسوق الموحدة والسياسة الخارجية والأمنية المشتركة. إن استعمال العملة الموحدة (اليورو) يعتبر بمثابة خطوة تاريخية في مشروع الاتحاد الأوروبي، لأن استعمال اليورو لم يكن لأسباب عملية من أجل السوق الموحدة فقط لكن له أيضا قيمة معنوية بالنسبة للأوروبيين. إن التخلي عن العملة الوطنية، أي استعمال نفس العملة مع كل الدول الأعضاء، يعزز الشعور بأن لديهم أشياء مشتركة. كما ساهمت أيضا السياسة الخارجية والأمنية المشتركة كثيرا في تشكيل هوية أوروبية لأن السياسة الخارجية مسألة حساسة جدا بالنسبة للدولة ليس فقط بسبب المسائل الأمنية لكن أيضا بسبب أن استقلال السياسة الخارجية هو ذو دلالة كبيرة على حرية الدولة. بما أن لكل دولة مصالح مختلفة في الساحة الدولية، فإن امتلاك نفس السياسة الخارجية مع مجموعة من الدول المختلفة يعني أن لديها نفس المصالح السياسية.[1]

إن الاتحاد الأوروبي يستعمل الإرث الثقافي من أجل تعزيز وبناء هوية أوروبية، أحد المشاريع المؤسسة والممولة من طرف الاتحاد الأوروبي لهذا الغرض هي مشروع "أوروبيانا" The project Europeana. قام رؤساء دول وحكومات كل من فرنسا وألمانيا واسبانيا وبولندا وإيطاليا وهنغاريا بإرسال رسالة مفتوحة إلى رئيس الاتحاد الأوروبي، **خوسيه مانويل باروسو** -*Jose Manuel Barroso*-، يطلبون فيها إنشاء مكتبة أوروبية رقمية التي ستجعل من الثقافة الأوروبية متاحة للجميع. بعد موافقة الاتحاد الأوروبي عام 2007، أطلق مشروع "أوروبيانا" في 2008 من طرف **باروسو**، الذي ألقى خطابا خلال إطلاق المشروع:[2]

"[...] أعتقد بأن "أوروبيانا" لديه الإمكانية لتغيير الطريقة التي يرى بها الناس الثقافة الأوروبية. سيجعل من السهل على مواطنينا تقدير ماضيهم الخاص، لكن أيضا ليصبحوا واعين بهويتهم الأوروبية المشتركة. وأي أحد في العالم له اهتمام في الأدب أو الفن أو السياسة أو التاريخ أو الهندسة أو

[1] Hande Öztürk, Ibid., p.23.

[2] Joris Pekel: **Europeana: Building a European Identity**, Final Thesis Master, New Media, Universiteit Van Amsterdam, 2011. P. 10.

الموسيقى أو السينما سيرى المساهمات المهمة التي قامت بها أوروبا في جميع هذه المجالات، بدون حتى ما يغادروا منازلهم."

من خلال هذا الخطاب يمكن استنتاج الهدفين الأساسيين من مشروع "أوروبيانا": الحفاظ على الإرث الثقافي الأوروبي في إطار الاتحاد الأوروبي، واستعمال الثقافة الأوروبية كمحرك للاندماج الأوروبي وبناء الهوية الأوروبية.

إن العملة الأوروبية الموحدة، علم الاتحاد الأوروبي، يوم أوروبا، النشيد الأوروبي تعتبر كلها رموز لهوية جماعية، هذا يعني أن الاتحاد الأوروبي يعمل على خلق مواطنة أوروبية تتجاوز نطاق الدول القومية. في هذا النموذج فوق القومي ستعرف المصلحة على مستوى أعلى من الدولة القومية، أي على مستوى الاتحاد، مما سيؤدي تدريجيا لتحول الولاءات من الدول ومؤسساتها إلى الاتحاد الأوروبي ومؤسساته وبالتالي خلق هوية أوروبية مشتركة تتجاوز الهوية الوطنية أو على الأقل إضافية لها.

في هذا الإطار، يرى أحمد داود أوغلو أن تعريف الاتحاد الأوروبي في إطار يستند إلى الموروث الروماني- الجرماني المقدس بمعاييره الأوروبية الكلاسيكية، وإلى العقيدة المسيحية، وإلى التجربة الرومانية التاريخية، هو بناء يقصي غير المسيحيين وغير وارثي تقاليد السياسة الرومانية وغير المنحدرين من الجنس الآري. ويضيف أن: "مل هذه المقاربة التي تستند إلى الأصولية العرقية والدينية لن تؤدي وحسب إلى إقصاء تركيا، التي ينظر إليها باعتبارها جنسا مختلفا، بل أيضا إلى إبراز الخلل الخطير في البنية التعددية للاتحاد الأوروبي".[1]

المطلب الثالث: محاولات لتعريف الهوية الأوروبية

يرى **واتسون** -*Watson*- بأن أوربا شهدت حركتين: وحدة اقتصادية وسياسية أوروبية وإحساس بمجموعة ثقافية أوروبية، ويتساءل بأنه يمكن للثانية أن توجد بدون الأولى، لكن هل يمكن للأولى أن توجد بدون الثانية؟ من الواضح إذا أن وجود واستمرار الأولى سيكون أسهل مع التركيز على الثانية، وبالتالي فإن الشعور بالمجموعة الثقافية الأوروبية لا يمكن الاستغناء عنه من أجل نجاح

[1] أحمد داود أوغلو، مرجع سابق، ص.581.

المشروع الأوروبي.[1] إذا الهوية الأوروبية مهمة لنجاح الاندماج الأوروبي، لكن التساؤل الذي يبقى مطروحا: ماذا تعني الهوية الأوروبية؟ أو ما هي خصائص ومميزات الهوية الأوروبية؟

ليس هناك تعريف دقيق وموحد للهوية الأوروبية، فقد تم تعريفها على أسس مختلفة من طرف عدة باحثين. لكن هناك بعض المميزات أو الخصائص العامة التي تميز الهوية الأوروبية. يُنظر إلى الهوية الأوروبية على أنها نمط الحياة، وبالنسبة للأوروبيين فإن أساس هويتهم ينشأ من الاشتراك في حضارة وإرث مشترك. لقد تم ربط الثقافة والهوية الأوروبية دائما بمفاهيم إيجابية: الحضارة، الجمال الفني في الحضارة اليونانية، القانون في وقت الرومان، المنطق في عصر التنوير، المجتمع المدني، الثقافة البرجوازية، حقوق الأفراد والليبرالية.[2]

تشير الهوية الأوروبية إلى أكثر من مجرد الشعور بالانتماء، فهي تتضمن فكرة الانسجام الثقافي. لكن هذا ليس كافيا بعد بالنسبة لطموحات مشروع الاتحاد الأوروبي فهو يطمح إلى مواطنة الاتحاد الأوروبي، وقد حول الاتحاد الأوروبي بنيته المتنوعة إلى شعار "الوحدة في التنوع". على قدر ما يستطيع الاتحاد الأوروبي أن يكون متنوعا وموحدا، فإنه لا يسمح لتركيا بالانضمام إلى الاتحاد على أساس أن الهوية التركية غير منسجمة مع أوروبا.[3]

تأسست الهوية الأوروبية بشكل رسمي من خلال إعلان عن الهوية الأوروبية Declaration on European Identity عام 1973، الذي ينص على أن مبادئ الديمقراطية التمثيلية وسيادة القانون والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان عناصر أساسية في الهوية الأوروبية. بالرغم من أنه تم الاعتراف بتنوع الثقافات في هذه الوثيقة، إلا أنها تقتصر على إطار القيم والمبادئ المشتركة، فقد ركز الإعلان على الحاجة إلى "زيادة تقارب المواقف في الحياة"، "حضارة أوروبية مشتركة" و"الارتباط بالقيم والمبادئ المشتركة" . بالرغم من الإشارة إلى التعددية إلا أنه يركز على نماذج أحادية المعنى.

[1] Hande Öztürk, OP.cit., p.26.

[2] Banu Helvacıoğlu: «The Paradoxical Logic of Europe in Turkey: Where Does Europe End?», The European Legacy, Vol. 4, No. 3, 1999, p. 23.

[3] Güneş Becerik, Opcit., p.43.

يمكن قول نفس الشيء بالنسبة لإعلان ستاتغارت سوليمن the Stuttgart Solemn Declaration عام 1983 الذي يؤكد على "الوعي بالإرث الثقافي المشترك باعتباره عنصر من الهوية الأوروبية."[1]

كما يعرف ميثاق الهوية الأوروبية، عام 1995، الهوية الأوروبية من خلال القيم الأوروبية مشيرا إلى أن القيم الأوروبية الأساسية هي: الإخاء والإنسانية والتسامح، ويركز على أنها تنبع من الإرث التاريخي والثقافي الأوروبي في العصور الكلاسيكية القديمة والمسيحية وعصر النهضة والتنوير والليبرالية والديمقراطية. بهذه الطريقة يربط الميثاق الهوية الأوروبية بالإرث التاريخي ويفرق بين العالم الأوروبي وغير الأوروبي. وكنتيجة لذلك، فهو يسمح بتهميش وتفرقة كل ما يتصف بأنه "غير أوروبي".[2] من خلال هذه الوثائق الرسمية نلاحظ بأن الاتحاد الأوربي يركز على الهوية الأوروبية، والمتمثلة في القيم والمبادئ المشتركة والمستمدة من الإرث التاريخي والحضاري الأوروبي. ويبدو أن للهوية دور مهم في دعم مشروع الاندماج الأوروبي، بل يمكن القول أنها لعبت دورا في السياسة التوسعية للاتحاد الأوروبي، فقد ساهمت الهوية الأوروبية كثيرا في عضوية دول أوروبا الوسطى والشرقية في حين لم تحصل تركيا إلى اليوم على عضوية الاتحاد الأوروبي.

بالرغم من أن الاتحاد الأوروبي أكد على أن أي دولة أوروبية محكومة بالديمقراطية ومكرسة لتنفيذ القيم الليبرالية واحترام حقوق الإنسان وسيادة القانون يمكن أن تقدم طلب العضوية، إلا أن التجربة تظهر أن تعريف الهوية الأوروبية من منظور ثقافي وحضاري تعمل كحاجز لانضمام بعض الدول. بمعنى آخر، تعريف الهوية الأوروبية من منظور ثقافي وحضاري يحل محل تعريف الهوية الأوروبية من منظور القيم الليبرالية. إن عملية انضمام تركيا توفر مثال مناسب جدا لهذا التناقض.[3]

المبحث الثاني: التصور الأوروبي لعضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي من منظور الهوية الأوروبية

شهدت مرحلة ما بعد الحرب الباردة بروز أهمية البنى المعيارية، إلى جانب البنى المادية، في تفسير الظواهر الدولية وسلوك الدول وسياساتها الخارجية، فأصبحت المسائل الثقافية والهوية والقيم والمعايير

[1] Sanja Ivic & Dragan D. Lakicevic, Op.cit., p.402.
[2] Sanja Ivic & Dragan D. Lakicevic, Ibid., p.403.
[3] Güneş Becerik , Op.cit., p.47-48.

عوامل أساسية في تحليل السياسة الدولية. لم يكن الاتحاد الأوروبي في معزل عن هذه التغيرات الجديدة فبدأت النقاشات حول الهوية الأوروبية ودورها في مشروع الاندماج الأوروبي، خاصة فيما يتعلق بسياسة التوسيع منذ نهاية الانقسام بين شرق وغرب أوروبا. بهذا المعنى، فإن الاتحاد الأوروبي يواجه تحديات كبيرة من عملية التوسيع فيما يتعلق بهويته الخاصة.

يمكن للنقاش حول توسيع الاتحاد الأوروبي أن يتم تصوره من خلال المقاربة العقلانية والمقاربة البنائية. في حين تركز المقاربات العقلانية على "حسابات التكلفة/الفائدة المادية"، تأخذ المقاربات البنائية بعين الاعتبار المعايير والهوية والقيم في عملية التوسيع.[1] وبما أن التحليل العقلاني لعملية انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي (حساب التكلفة/الفائدة) يشير إلى أن الاتحاد الأوروبي سيستفيد أكثر مما سيخسر من انضمام تركيا، فإن عضوية تركيا والتردد الأوروبي بشأن ذلك سيتم تحليله وفقا للمقاربة البنائية، أي على أسس ثقافية وخصوصا من حيث الهوية الأوروبية. وذلك لأن انقسام الآراء حول مسألة انضمام تركيا ليس بسبب عدم الاتفاق على التكاليف والفوائد التي ستتبع ذلك، لكن بسبب مضامينها على هوية ومعايير المجتمع الأوروبي، فقد عبر المعارضون لعضوية تركيا عن تخوفهم من أن انضمامها من شأنه التقليل من خصوصية معايير المجتمع الأوروبي المتجذرة في الإرث اليهودي-المسيحي.[2]

تقوم هوية "أوروبا الجديدة" على الإرث الثقافي المشترك، الذي تأسس من الحضارة اليونانية القديمة، والمسيحية، وأوروبا في عصر التنوير. إذا كان الدين متغير مهم في تحديد حدود أوروبا، فإنه من الواضح إذا، ولو بشكل غير معلن، أنه يؤثر على تصورات الاتحاد الأوروبي حول تركيا ذات الأغلبية المسلمة.[3] تاريخيا، وبطرق عديدة في الوقت الحاضر، كان الأتراك ولا يزالون يمثلون "الآخر" في تعريف الهوية الأوروبية. فبالرغم من أن تركيا كانت عضوا مكملا لمنظومة الدول الأوروبية بدءا من قبول الإمبراطورية العثمانية في مؤتمر أوروبا عام 1856، إلى عضوية تركيا في منظمة التعاون الاقتصادي الأوروبي، مجلس أوروبا، حلف شمال الأطلسي ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، إلا أن تصور تركيا على أنها في أوروبا ولكن ليس من أوروبا يظهر حاليا وبشكل بارز في

[1] Derya Kap, Op.cit., p.33.

[2] Bahar Rumelili: «Turkey: Identity, Foreign Policy, and Socialization in a Post-Enlargement Europe», Journal of European Integration, Vol.33, No.2, pp.235-249, p.237.

[3] Meltem Müftüler Baç: «Through the Looking Glass: Turkey in Europe», Turkish Studies, Vol.1, No.1, spring 2000, pp.21-35, p.26.

النقاشات غير المنتهية حول طلب تركيا الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي. في الحقيقة يبقى الاتحاد الأوروبي المؤسسة الوحيدة في المجتمع الدولي الإقليمي الأوروبي، الذي لم يمنح تركيا العضوية التي تبحث عنها منذ 1959.[1]

المطلب الأول: البناء التاريخي للهوية الأوروبية في مواجهة "الآخر" التركي

بالرغم من أن الاتحاد الأوروبي عرف العديد من التوسعات لضم الدول الأوروبية، كان آخرها ضم 12دولة أوروبا (توسيع 2004ـ2007) ليصل عدد الدول الأعضاء في الاتحاد اليوم إلى 27 دولة، إلا أن التوسع نحو تركيا يبدو مختلفا عن باقي التوسعات. بدأت العلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي منذ عام 1959 لكن النقاش حول أوروبية تركيا وما إذا كان يجب قبولها أو لا في الاتحاد الأوروبي ما زال جاريا، وبما أن تركيا نجحت في تحقيق الشروط الاقتصادية والسياسية، يبقى العائق الأكبر أمام عضويتها هو مشكلة الهوية.[2] للوصول إلى هذه النتيجة فإن العلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي يجب رؤيتها من خلال السياق التاريخي لبناء الهوية في أوروبا ودور "الآخر" في ذلك.

بما أن الهوية الأوروبية بنيت بشكل كبير على أسس تاريخية، فإنه من المهم الإشارة إلى أن ماضي علاقات تركيا مع الدول الأوروبية منذ القرن الخامس عشر لعب دورا حاسما في تشكيل التصورات الأوروبية عن "الأتراك". لقد كان للإمبراطورية العثمانية وهويتها الإسلامية باعتبارها معارضة لأوروبا المسيحية دور كبير في تشكيل وجهة نظر الأوروبيين فيما يتعلق بعضوية تركيا إلى الاتحاد الأوروبي. خصوصا عند الأخذ بعين الاعتبار البعد الحضاري لمشروع الاندماج الأوروبي، تأتي العوامل الفكرية والدينية حتما إلى الواجهة.[3]

---

[1] Bahar Rumelili, Op.cit., p.235-236.

[2] Gul Pinar Erkem: «Identity Constuction of Europe by Othering: A Case Study of Turkey and the EU Relations from Cultural Perspective», Journal of Political Analysis and Theory, euro POLIS 5/2009, pp.489-509, p.495.

[3] Meltem Müftüler Baç & Evrim Taşkin: «Turkey's Accession to the European Union: Does Culture and Identity Play a Role? », Ankara Review of European Studies, Vol.6, No.2, Spring 2007, pp.31-50, p.41.

إن أحد أهم أسباب جعل الأتراك "الآخر" من طرف أوروبا على الأرجح هو ظهور الأتراك باعتبارهم التهديد الإسلامي لأوروبا، فقبل وقت طويل من المواجهة مع الأتراك، واجه الأوروبيون الجيوش الإسلامية العربية. فبعد ظهور الإسلام في القرن السابع، عرف الإسلام توسعا كبيرا وسريعا ليغطي الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. مع توسع العرب من شمال إفريقيا إلى أوروبا أصبح الخطر الإسلامي أكبر، لكن مع تراجع العرب وصعود الأتراك العثمانيين تجسد هذا الخطر الإسلامي في "العثماني".[1] إلى غاية القرن التاسع عشر، كانت الصفة المنسوبة للأتراك هي دينهم، فقد كان يُنظر إلى العثمانيين ليس باعتبارهم إمبراطورية تركية ولكن باعتبارهم إمبراطورية إسلامية. تأسست الإمبراطورية العثمانية في القرن الثالث عشر وأصبحت أحد أكثر "الآخر" تهديدا لأوروبا. بعد تأسيسها انتشرت الإمبراطورية العثمانية إلى أوروبا وأصبحت مهيمنة لعدة قرون. ساهم الوجود العثماني في الشرق في تشكيل الهوية الأوروبية لأنه كان على أوروبا أن تتوحد لمواجهة التوسع العثماني في أوروبا.[2]

بالرغم من أن أغلب الأقاليم البلقانية تم الاستيلاء عليها مسبقا من طرف الأتراك، إلا أن فتح القسطنطينية عام 1453 شكل منعطفا هاما في تاريخ العلاقات التركية الأوروبية، فقد كانت القسطنطينية تمثل وحدة رمزية للإقليم ودليل على بقاء الإمبراطورية البيزنطية. لقد كان تعريف الأتراك في هذه المرحلة التاريخية متأثرا كثيرا بصورة الأتراك باعتبارهم حاملي راية الإسلام، ونتيجة لهذا الربط بين التركي والإسلام، وتصوره باعتباره خصم المسيحية، أصبح التركي يجسد كل ما هو مضاد لأوروبا والنصرانية.[3] لم يتوقف التوسع العثماني عند فتح القسطنطينية، بل استمرت الإمبراطورية العثمانية في غزو الأراضي الأوروبية، مما أدى إلى تطور العلاقات بين الطرفين حول المواجهة العسكرية.

من المهم الإشارة إلى أن مصطلح "أوروبا" بدأ استعماله بشكل متزايد نظرا لصعود العثمانيين والتهديد الذي كانوا يفرضونه على المسيحية. بدأ استعمال مصطلح "أوروبا" منذ القرن الثالث عشر فما بعد، قبل ذلك لم يكن هناك مصطلح أوروبا ولكن النصرانية بدل ذلك –وهذا دليل على دور

[1] Ayşegül Özgün Kaşka : **European Identity and its Others : a Comparative Analysis of the Russian and the Turkish Cases**, Master of Science, Department of European Studies, The Graduate School of Social Sciences, Middle East Technical University, Ankara, 2007, p.80-81.

[2] Şahika Susuzlu, Op.cit., p.91-92.

[3] Ayşegül Özgün Kaşka, Op.cit., p.84.

الإمبراطورية العثمانية في بناء الهوية الأوروبية وتوحيد القوى الأوروبية لمواجهة خطر توسعها. إن القدرة العسكرية والقرب الجغرافي للإمبراطورية العثمانية متحدة مع قوة تقاليدها الدينية، جعلت منها "آخر" ذو أهمية خاصة في تطور الهوية الأوروبية.[1]

خلال حكم سليمان الأعظم، هيمن العثمانيون على البحر الأبيض المتوسط. بالرغم من أن هذه الهيمنة تعززت من خلال الاستيلاء على قبرص عام 1571، إلا أن العثمانيين لم يستطيعوا المحافظة على هذه الهيمنة لمدة طويلة. بعد عام واحد فقط، مع الهزيمة في معركة **ليبانتو** (Lepanto) فقدت الدولة العثمانية هذه الهيمنة، أدت هذه المعركة إلى تغيير الصورة المتمثلة في أن الأتراك لا يمكن هزيمتهم. في معركة **ليبانتو** أثبت ائتلاف البابوية والبندقية واسبانيا وجنوه -Genoa- إمكانية هزيمة الأتراك من خلال التحالف. بعد هزيمة **ليبانتو**، كانت الصدمة الثانية للعثمانيين مع الحصار الثاني لفيينا عام 1683. مع فشل حصار فيينا، تم هزيمة الجيش العثماني مرة أخرى من قبل الحلف المقدس للقوى الأوروبية.[2] يمكن القول بأن تأسيس الدولة الأمة بعد القرن الخامس عشر وتوحيد أوروبا بعد حركة الإصلاح كان نتيجة للتهديد التركي، كما يمكن أيضا ملاحظة الحقد ضد الأتراك في معاهدات القرن السادس عشر والسابع عشر، بحيث برز الأتراك باعتبارهم العدو المشترك للمسيحية.[3]

بدأ التراجع العثماني منذ القرن السابع عشر، وفي القرن التاسع عشر أصبح يُطلق على الدولة العثمانية في أوروبا بـ "الرجل المريض"، ومع الحرب العالمية الأولى انهارت الإمبراطورية. مع ذلك، فإن المواجهات العدائية بين العثمانيين والمجموعة المسيحية في حروب البلقان وفي الحرب العالمية الأولى جعلت من صورة العثمانيين أسوأ في أعين الأوروبيين وعززت من النظرة الأوروبية بهمجية العثمانيين.[4] تشكلت هذه الصور السلبية عن العثمانيين في أذهان الأوروبيين منذ تأسيس

[1] Meltem Müftüler Baç, Op.cit., p.27.

[2] Soykut, M., **Image of the 'Turk' in Italy: History of the 'Other' in Early Modern Europe, 1453-1683**, Berlin, Klaus Schwarz Verlag, 2001 p. 62-127; quoted in Ayşegül Özgün Kaşka, Op.cit., p.87-88.

[3] Şahika Susuzlu, Op.cit., p.92.

[4] Meltem Müftüler Baç & Evrim Taşkin, Op.cit., p.43.

الإمبراطورية العثمانية، فالتصقت صورة البربرية والاستبداد والظلم بالأتراك. إنها صورة مليئة بالاستياء والانحياز والخوف، ويمكن القول بأن هذه الصورة ما زالت تؤثر على أوروبا إلى اليوم.[1]

يمكننا استنتاج أنه في مرحلة العصور الوسطى، كانت الإمبراطورية العثمانية، نظرا لقوتها العسكرية وقربها الجغرافي، تمثل أكبر تهديد في وجه القوى الأوروبية. هذا التهديد وحد الأوروبيين في وجه خطر الغزو العثماني ولعب دورا أساسيا في بناء الهوية الأوروبية في مواجهة "الآخر" المتمثل في "الأتراك المسلمين". في كتاب له حول الإمبراطورية العثمانية ، يقدم **فريمان** ـ*Freeman*ـ الإمبراطورية العثمانية على أنها غريبة على أوروبا من حيث الدين والثقافة والسياسة والحياة الاجتماعية، ويجادل بأنه تم إقصاء الأتراك العثمانيين من الهوية الأوروبية ليس بسبب إثني فحسب، ولكن أيضا لأنهم لم يشتركوا في التاريخ والممتلكات الأدبية والفكرية **للأوروبيين**. وفقا **لفريمان**، الاختلاف الأساسي بين الأتراك والأوروبيين هو أنه ليس **للأتراك** الدين المشترك لأوروبا،[2] إذا فهو يعرف الهوية الأوروبية على أساس المسيحية. بالتالي، يمكن القول بأن العامل الديني لعب دورا هاما في بناء الهوية الأوروبية، فنظرا لخطر التوسع الإسلامي على أوروبا المسيحية، بالإضافة إلى الحضور القوي للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، أصبحت الهوية المشتركة المجمعة **للأوروبيين** هي المسيحية.

يبدو أن الطابع الإسلامي لتركيا والإرث التاريخي **للإمبراطورية** العثمانية يمثل عائقا خفيا أمام انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي. إن توسع الإمبراطورية العثمانية في أوروبا مترسخ في الذاكرة الجماعية **للأوروبيين**، فقد تركت بعض الأحداث، مثل حصار فيينا، بصمتها على تصور الأوروبيين **للأتراك** باعتبارهم "الآخر"، ولا تزال هذه الحقيقة تؤثر في سلوكهم اتجاه تركيا.[3] لهذا السبب تظهر صورة الغازي البربري **للأتراك** في خطابات بعض المسؤولين والقادة الأوروبيين من وقت لآخر، مثل الخطاب الذي ألقاه **فريتس بولكشتاين** ***Frits Bolkestein*** ، الذي كان مفوض الاتحاد الأوروبي المسؤول عن السوق الداخلية في ذلك الوقت، بجامعة **ليدن** (**Leiden**) عام 2004 أين صرح بأن: "إذا

---

[1] Şahika Susuzlu, Op.cit., p.94.

[2] Edward A. Freeman: **The Ottoman Power in Europe: Its Nature, Its Growth and Its Decline**, London, Macmillan and Co., 1877; quoted in Selcen Öner, **Construction of European Identity within the European Union,** Op.cit., p.372.

[3] Güneş Becerik, Op.cit., p.66.

انضمت تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، فهذا يعني أن جهود الجنود الألمان والنمساويين والبولنديين الذين قاوموا حصار الأتراك العثمانيين لفيينا عام1683 ستذهب سدى."[1]

بالرغم من انهيار الإمبراطورية العثمانية وتأسيس الجمهورية التركية منذ عام 1923، وبالرغم من تراجع دور الدين في أوروبا بعد حركة الإصلاح وعصر النهضة، إلا أن العلاقات التركية- الأوروبية تظهر أنه قد تم استبعاد الأتراك من أوروبا في فترات تاريخية مختلفة وفقا لمعايير مختلفة. وفقا لـ **يلماز** ***H. Yılmaz*** فإن تركيا تعرضت للتمييز من طرف أوروبا بناء على ثلاث قواعد أساسية. أولا، من مطلع العصر الحديث إلى نهاية القرن التاسع عشر، تم استبعاد تركيا على أساس الدين (المسيحية). ثانيا، من نهاية القرن التاسع عشر إلى فترة ما بين الحربين العالميتين تم استبعاد تركيا على أساس "الحضارة". وأخيرا استبعدت تركيا على أساس "الثقافة" من نهاية الحرب الباردة إلى اليوم. أما خلال فترة الحرب الباردة، فلم يتم إقصاء تركيا من أوروبا بسبب المخاوف الأمنية.[2] كما أن أحداث 11سبتمبر والهجمات الإرهابية الأخرى، مثل: تفجيرات مدريد، أدت إلى ظهور الإسلام مرة أخرى باعتباره "الآخر" وهذا ما زاد من المخاوف الأوروبية اتجاه طلب عضوية تركيا الدولة المسلمة التي يبلغ عدد سكانها ما يقرب 80 مليون نسمة.

إن التأكيد على الهوية التاريخية لأوروبا والنظر إلى تركيا باعتبارها "الآخر" بسبب الاختلافات الجغرافية والثقافية والدينية، سيكون له انعكاسات عميقة ليس على مسألة انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي فقط، ولكن أيضا على أوروبا نفسها التي يقيم بها عدد كبير من المسلمين.

المطلب الثاني: أوروبية تركيا

إن مستقبل تركيا في الاتحاد الأوروبي أكثر تعقيدا من أي دولة مرشحة أخرى بسبب المسائل المتعلقة بهوية تركيا،[3] هذا النقاش حول هوية تركيا يتجذر في تصورها على أنها "الآخر" بالنسبة لأوروبا، نتيجة لخصائصها الثقافية والجغرافية والدينية والتاريخية المختلفة.

[1] «Turkish Accession: why frank discussion is vital», European Voice, Vol.10, No.30, 9 September 2004, p.9.

[2] Selcen Öner, **Construction of European Identity within the European Union,** Op.cit., p.373.

[3] Meltem Müftüler Baç, Op.cit., p.21.

كما تم الإشارة من قبل إلى أن ليس هناك تعريف موحد ودقيق لـ"أوروبا" و"الهوية الأوروبية"، لذلك فإنه من الصعب تحديد ما إذا كانت تركيا داخل أو خارج أوروبا. لقد كان الأتراك جزءا من أوروبا جغرافيا منذ وصولهم إلى آسيا الصغرى في القرن الحادي عشر، واقتصاديا منذ القرن السادس عشر وذلك مع توسع الطرق التجارية، ودبلوماسيا منذ القرن التاسع عشر عندما تم إدراج تركيا رسميا في مؤتمر أوروبا. [1] بالرغم من أن تركيا لديها نظام علماني وديمقراطي منذ 1923، إلا أن الصور النمطية المنتشرة عن الأتراك في أوروبا، والتي ترجع إلى الحروب الصليبية والصراعات الطويلة مع الإمبراطورية العثمانية، أثرت بشكل سلبي على العلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي. خلال الفترة العثمانية، غالبا ما اعتبر الأوروبيون الأتراك بأنهم في أوروبا ولكنهم غير أوروبيين. ويؤكد **ويسباند** ***Weisband*** أن الأتراك في أوروبا، لكنهم لن يكونوا أبدا من أوروبا. لقد أصبحوا جزءا من البنى المؤسساتية لأوروبا لكنهم لن يصبحوا أبدا أوروبيين. [2]

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وانهيار الإمبراطورية العثمانية، تم تأسيس الجمهورية التركية الحديثة عام 1923. كانت هذه الجمهورية التركية الجديدة مختلفة عن الإمبراطورية السابقة في عدة أوجه. كان أساس الدولة النظام الجمهوري، والأهم من ذلك أنها لم تؤسس على القواعد الإسلامية ولكن على مبدأ العلمانية. وتم تحديد هدف الدولة، كما يعرفه **أتاتورك** بـ: "الوصول إلى مستوى الأمم المتحضرة". [3] وللوصول إلى هذا الهدف قام **أتاتورك** بمجموعة من الإصلاحات الجذرية التي كانت تستهدف تغيير العديد من ممارسات الأتراك التي تبين اختلافهم عن أوروبا، بما في ذلك الأبجدية واللباس والتقويم وأيام العطلة. وبهذا، أصبحت المعايير الأوروبية مرجع ثابت يوجه عملية التحديث المستمر للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تركيا. وابتداء من إعلان تركيا كعضو مرشح للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي عام 1999، عملية "الأوربة" هذه بلغت قوة دفع جديدة، فقد حثت تركيا على التحرك في اتجاه تبني معايير الاتحاد الأوروبي في مسائل حساسة في عملية الدمقرطة وحقوق الإنسان وحقوق الأقليات. [4]

بالرغم من أن تركيا تستمد الكثير من إرثها الثقافي من الحضارة الإسلامية، إلا أنها انحازت مع الغرب، بالموازاة مع إرث أتاتورك، "قرار تركيا بدمج نفسها في الغرب كان مربوطا بهوية تركيا

[1] Meltem Müftüler Baç, Ibid., p.26-27.
[2] Selcen Öner , **Construction of European Identity within the European Union**,Op.cit., p.371.
[3] Hande Öztürk, Op.cit., p.56.
[4] Bahar Rumelili, Op.cit., p.244.

الجديدة التي بنيت في السنوات التي أعقبت حرب الاستقلال". فقد كان **أتاتورك** يؤمن بأن "مستقبل تركيا يكمن مع أوروبا والغرب"، إن مجهود تركيا ورغبتها في أن تصبح عضوا في الاتحاد الأوروبي استمرار لهذا الإرث. بالنسبة لتركيا، الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي يهدف إلى إكمال الطريق التاريخي الطويل لعملية التغريب التي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر. بالرغم من أن الأوروبية ليست جزءا من الإرث التاريخي الطبيعي لتركيا، إلا أنه ينظر إليها كمشروع سياسي.[1]

إن توجه تركيا نحو الغرب بصفة عامة و نحو أوروبا بصفة خاصة، بل وحتى انضمامها إلى كل المؤسسات الأوروبية - باستثناء الاتحاد الأوروبي -، لم يجعل منها دولة أوروبية في نظر الأوروبيين لذلك لا ينبغي لها أن تنضم إلى الاتحاد الأوروبي. إن اختلاف تركيا أو اعتبارها "الآخر" ينشأ بشكل أساسي من الانقسام بين الإسلام والمسيحية، إذ لا يزال الدين الاختلاف الثقافي الرئيسي بين الاتحاد الأوروبي وتركيا - هذا لأن الجذور الدينية المسيحية هي عامل مشترك بين كل دول الاتحاد الأوروبي بشكل واضح.[2]

لذلك، فإن الاتحاد الأوروبي لا يزال مؤيدا لإقامة علاقات أقرب مع تركيا خاصة فيما يخص الأمن والاقتصاد والموارد الطاقوية، لكن تركيا لم يتم تصورها عادة كجزء من "نحن" أو "العائلة الأوروبية" خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، على عكس دول أوروبا الوسطى والشرقية التي بمجرد استقلالها[3] وخروجها من فلك الشيوعية، لم يتم معاملتها باعتبارها "الآخر" بالنسبة لأوروبا ولم يتم التشكيك في أوروبيتها. فعلى سبيل المثال، كانت معاملة تركيا وبولندا مختلفة بالرغم من أنهما متشابهتان نسبيا من ناحية الحجم والسكان والاقتصاد، الاختلاف الأساسي بينهما هو الدين. تتم معاملة بولندا على أنها فرد من "العائلة الأوروبية"، في حين تتم معاملة تركيا على أنها شريك استراتيجي. لقد كان خطاب الاتحاد الأوروبي فيما يتعلق بدول أوروبا الوسطى والشرقية على أن هذه الدول تمثل النصف الآخر لنفس التفاحة، انتماؤهم إلى أوروبا كحقيقة طبيعية، وعند الحديث عن هذه الدول تم استعمال مصطلح "الانضمام ثانية أو العودة إلى أوروبا"، وهذا ما لم يتم استعمالها أبدا من أجل انضمام تركيا، هذا يفسر طول انتظار تركيا للحصول على العضوية مقارنة بباقي الدول الأوروبية.[4]

---

[1] Güneş Becerik, Op.cit., p.65-66.
[2] Ingrid Kylstad, Op.cit., p.8.
[3] Selcen Öner, **Construction of European Identity within the European Union,** Op.cit., p.375.
[4] Gul Pinar Erkem, Op.cit., p.501.

لقد كان الإسلام والأتراك يمثلون "الآخر" بالنسبة لأوروبا لعدة قرون، هذه المواجهة خفت نوعا ما منذ نهاية الحرب العالمية الأولى. لكن منذ أحداث 11سبتمبر كانت هناك عودة إلى مواجهة الإسلام في أوروبا لأن العديد من الأوروبيين متخوفون من الحركة الإسلامية الأصولية. إن طلب تركيا الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي يثير نقاشا حادا حول طبيعة الاتحاد الأوروبي، هل هو عبارة عن كيان عالمي يتبنى القيم العالمية، مثل: الديمقراطية وسيادة القانون وحقوق الإنسان ويقبل التنوع الثقافي والديني بين أعضائه، أم أن الاتحاد الأوروبي عبارة عن كيان خاص يقوم على إرث تاريخي وثقافي مشترك بين أعضائه، بمعنى آخر، هل هو عبارة عن "ناد" للدول الأوروبية المسيحية.

إن التوتر المستمر بين عالمية أوخصوصية الاتحاد الأوروبي في مرحلة ما بعد توسيع 2007 يظهر جيدا من خلال نقاشات البرلمان الأوروبي حول تركيا. إن النقاشات حول تركيا لا يمكن أن تتفادى هذا التوتر حتى في مجالات مثل حقوق المرأة. على سبيل المثال، بالرغم من تقرير البرلمان الأوروبي حول ظروف المرأة في تركيا، والذي أعدته **إيمين بوزكورت** ***Emine Bozkurt*** الهولندية العضو في البرلمان الأوروبي من أصول تركية، يضع قائمة لمجالات التقدم بالإضافة إلى بعض المشاكل المستمرة، فقد دفع العضو المستقل في البرلمان الأوروبي النمساوية أندريا مولزر ***Andreas Molzer*** لتصل إلى نتيجة مفادها أن "الطريقة التي تعامل بها المرأة في المجتمع التركي وموقعها فيه تشكل دليل أكثر بأن تركيا ليست دولة أوروبية ولن تصبح كذلك أبدا" (البرلمان الأوروبي 2007). بهذا، بدل رؤية حقوق المرأة على أنها مجال أين يمكن للاتحاد الأوروبي بالموازاة مع مؤسسات أخرى للمجتمع الدولي الأوروبي أن تساهم في معالجة عجز تركيا، تضع **مولزر** حقوق المرأة على أنها بعد أساسي للهوية الأوروبية الذي لا تمتلكه تركيا ولا يمكن لها أبدا أن تمتلكه. بشكل مماثل، أكد عضو مستقل آخر في البرلمان الأوروبي البلجيكي **فرانك فانهاك** ***Frank Vahnhecke***، بأن مثل هذا التقرير يعالج "الأعراض بدلا من الأسباب، والتي هي حقيقة أن تركيا يمكن أن تكون دولة مجاورة، لكنها لا يمكن أبدا أن تصبح دولة أوروبية" (البرلمان الأوروبي 2007). وفقا لعضو مستقل آخر الفرنسية **ليديا شيناردي** ***Lydia Schenardi***، "حتى عند استيفاء كل المعايير الاقتصادية والقانونية والاجتماعية المنصوص عليها في قمة كوبنهاغن... ستبقى تركيا لا تشاركنا قيمنا، التي تحمل طابع المسيحية والإنسانية" (البرلمان الأوروبي 2007). الملاحظ من خلال التعليقات الثلاثة أن بناء تركيا باعتبارها دولة غير أوروبية بالرغم من عضويتها بعيدة الأمد في مؤسسات المجتمع الدولي الأوروبي.[1]

[1] Bahar Rumelili, Op.cit., p.240.

أما في نقاش البرلمان الأوروبي حول إستراتيجية التوسيع لعام 2009، أين يتم تقييم التقدم الذي حققته الدول المرشحة، كانت تركيا أكثر مرشح تم معاملته بريبة. فقد أعرب عدد من أعضاء البرلمان الأوروبي على أنه بالرغم من أن تركيا قامت ببعض التقدم إلا أنه مازال الكثير أمامها لتحققه، وأنه لا بد من ممارسة الضغط على تركيا للحفاظ على وعودها. تقدم هذه النقاشات تركيا على أنها دولة لن يكتمل أبدا التزامها بقيم الاتحاد الأوروبي. بالرغم من أن هذا الشك يبدو موضوعيا لأنه يرتكز على فشل تركيا في تنفيذ بعض الإصلاحات، إلا أن الجدير بالملاحظة أن الانتقادات الموجهة لتركيا عادة ما ينظر إليها باعتبارها معارضة للانضمام في الأساس.[1]

المبحث الثالث: الإسلام والهوية الأوروبية: من منظور "صدام الحضارات"

لقد شهدت مرحلة ما بعد الحرب الباردة تراجع أهمية العوامل الإيديولوجية في السياسة الدولية، في حين اكتسبت الهويات الإثنية والوطنية والدينية أهمية أكبر، من بين المقاربات التي روجت لهذا الطرح: "مقاربة صدام الحضارات". نشرت مجلة "شؤون دولية" *Foreign Affairs* الأمريكية صيف 1993 مقالا للمفكر الأمريكي **صامويل هنتنغتون** ***Samuel P. Huntington*** بعنوان: "صدام الحضارات"، كان لهذا المقال صدى كبير في كل أنحاء العالم كما أثار العديد من الردود سواء المؤيدة أو المعارضة لهذه الفكرة. أعيد نشر المقال عام 1996 في شكل كتاب بعنوان: "صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي"، الفكرة الرئيسية التي طرحها **هنتنجتون** هي أن الصراعات في عالم ما بعد الحرب الباردة لن يكون مصدرها إيديولوجيا أو اقتصاديا وإنما ثقافيا بين الحضارات المختلفة في العالم، كما يؤكد على أن العدو الرئيسي ومصدر تهديد الحضارة الغربية يتمثل في الإسلام. تعززت هذه الفكرة في أوروبا، وفي الغرب عموما، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر أين أصبحت الأصولية الإسلامية تمثل تهديدا مباشرا لكل قيم الحضارة الغربية، مثل: الحرية وقيم الفردية والديمقراطية وحقوق الإنسان وسيادة القانون.

[1] Bahar Rumelili, Op.cit., p.240.

توجد تركيا اليوم، وهي البلد الذي ترشح لعضوية الاتحاد الأوروبي منذ 1963، حيث لم تكن في ذلك الوقت أوربيتها محل معارضة، في قلب هذه الإشكاليات، بعد أن أصبحت عرضة لسهام المصابين بداء «قصر البصر الثقافي»[1] الذي مصدره ظاهرة معاداة الإسلام الزاحفة. والمعادلة بسيطة: «الإسلام = لا اندماج + عنف + معاداة السامية» ما يعني أن الإسلام لا يتطابق مع الديمقراطية الليبرالية الدنيوية.[2] فقد نوقشت عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي على أساس التوافق بين الإسلام والهوية الأوروبية. لذلك، فإن هذا المبحث سيركز على معالجة انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي من منظور "صدام الحضارات" لتفسير مواقف كل من المعارضين والمؤيدين لعضوية تركيا.

يطرح **هنتنغتون** من خلال مقاربته لصدام الحضارات فكرة أساسية مفادها أن: " المصدر الأساسي للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون إيديولوجيا أو اقتصاديا في المقام الأول. الانقسامات الكبرى بين البشر والمصدر الأساسي للصراع سيكون ثقافيا. ستبقى الدول الأمم أقوى الفواعل في الشؤون العالمية،لكن الصراعات الرئيسية في السياسة العالمية ستحدث بين أمم وجماعات من حضارات مختلفة. سيسطر "صدام الحضارات" على السياسة العالمية. الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون خطوط المعارك في المستقبل.[3] وهو يعرف الحضارة بأنها: "أعلى تجمع ثقافي للبشر وأوسع مستوى للهوية الثقافية لدى البشر والذي يميز الإنسان عن الأنواع الأخرى. وهي تعرف بكل من العناصر الموضوعية المشتركة، مثل: اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات، وبالتعريف الذاتي للناس. وهناك مستويات للهوية لدى البشر، فساكن روما قد يعرف نفسه بدرجات متفاوتة باعتباره: روماني، إيطالي، كاثوليكي، مسيحي، أوروبي، غربي. الحضارة التي ينتمي إليها هي أوسع مستوى للتعريف الذي يعرف به نفسه.[4]

وقد قسم **هنتنغتون** عالم ما بعد الحرب الباردة إلى سبع أو ثمان حضارات كبيرة، وهي الحضارة: الغربية، والكونفوشيوسية، واليابانية، والإسلامية، والهندية، والسلافية الأورثودوكسية،

---

[1] عبارة مستعارة من لوران موشييلي في مقاله الذي يحمل عنوان:
«L'islamophobie : une myopie intellectuelle ?»

[2] ديديي بييون، مرجع سابق، ص.160.

[3] Samuel P. Huntington: «The Clash of Civilizations? », Foreign Affairs, Vol.72, No.3, Summer 1993, pp.22-49, p.22.

[4] Samuel P. Huntington, Ibid.

الأمريكية اللاتينية وربما الإفريقية. وتختلف الحضارات عن بعضها البعض في: التاريخ واللغة والثقافة والتقاليد، والأهم من ذلك، الدين.[1]

إذا وفقا لأطروحة "صدام الحضارات" فإن النظام السياسي والاقتصادي التركي أو مستوى تقدمها الاقتصادي غير مهم بالنسبة للاتحاد الأوروبي، المهم هو هويتها الثقافية أو حضارتها المختلفة. وفقا لتقسيم **هنتنغتون** الحضاري، تركيا لا تنتمي إلى الحضارة الأوروبية (التي تعتبر أحد مكوني الحضارة الغربية إلى جانب أمريكا الشمالية) والأهم من ذلك أن الحضارة التركية هي فرع من الحضارة الإسلامية، وبالتالي ليس هناك توافق بين الاتحاد الأوروبي وتركيا. ففي نظر **هنتنغتون** الإسلام هو أكبر تهديد للغرب، وهو يرى عدم صحة مقولة بعض الغربيين بأنه ليس بين والإسلام أي مشكلة، وإنما المشكلات موجودة فقط مع بعض المتطرفين الإسلاميين،حيث يقول أن: "أربعة عشر قرنا من التاريخ تقول عكس ذلك. العلاقات بين الإسلام والمسيحية سواء الأرثودوكسية أو الغربية كانت عاصفة غالبا. كلاهما كان "الآخر" بالنسبة للآخر. صراع القرن العشرين بين الديمقراطية الليبرالية والماركسية اللينينية ليس سوى ظاهرة سطحية وزائلة، إذا ما قورن بعلاقة الصراع المستمر والعميق بين الإسلام والمسيحية".[2] "ويشير إلى أن الصراع بين الحضارات يتفاوت في حدته، إلا أن التصادم بين الحضارة الإسلامية وباقي الحضارات يتسم بالعنف والدموية، فعلى امتداد الخطوط الفاصلة بين الإسلام والحضارات الأخرى، تدور معارك ضاربة وعنيفة ومتعددة، وهذا ما جعل **صموئيل هنتنغتون** يخلص إلى أن للإسلام حدودا دموية".[3]

وفي هذا الإطار يشير **هنتنجتون** إلى أن أحد التحديات الرئيسية التي واجهت أوروبا بعد نهاية الحرب الباردة كانت إقامة الخط الذي يفصل بين الدول الأعضاء والدول غير الأعضاء في الاتحاد الأوروبي. فأثناء الحرب الباردة لم تكن أوروبا موجودة كوحدة، إلا أنه مع سقوط الشيوعية أصبح من الضروري الإجابة عن السؤال الذي يواجه الأوروبيين الغربيين: أين تنتهي أوروبا؟ وفي نظره، يقدم النموذج الحضاري إجابة واضحة عن هذا السؤال، وهي: "تنتهي أوروبا حيث تنتهي المسيحية الغربية ويبدأ

---

[1] Ibid., p.25.

[2] صامويل هنتنجتون: **صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي**، (ترجمة طلعت الشايب)، الطبعة ثانية، مصر، القاهرة،سطور، 1999، ص.338.

[3] محمد بوالروايح: **نظريات حوار وصدام الحضارات (رؤية تحليلية نقدية)**، الطبعة الأولى، الجزائر، قسنطينة، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2010، ص.135.

الإسلام والأرثودوكسية". [1] لذلك، فهو يرى بأن السبب الحقيقي وراء المعارضة الأوروبية الواسعة لانضمام تركيا، هي أنها دولة إسلامية.

خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر، بدأت مسألة عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي تناقش على أساس فكرة "صدام الحضارات"، فتركيا بالنسبة للمعارضين لعضويتها في الاتحاد الأوروبي ليست جزءا من الحضارة الأوروبية. لمئات السنين، كانت الإمبراطورية العثمانية القوة الإسلامية الوحيدة التي كانت في مواجهة مباشرة مع "الآخر"، أوروبا على أرضها. أن تكون تركيا كان يعني أن تكون مسلما، وأن تكون مسلما كان يعني عكس أن تكون أوروبيا. إن المعارضين لعضوية تركيا لديهم فهم للهوية الأوروبية من زاويتها الضيقة. يؤكد **جيرارد** ***Girard*** أن الإسلام ليس مجرد دين، إنه كذلك ثقافة وحضارة بالإضافة إلى هوية وهذه الهوية ستكون أجنبية عن أوروبا المسيحية التي يُعتقد أن لديها قيم مختلفة. ويشير إلى أن أوروبا بُنيت على الإرث المزدوج للمسيحية والتنوير. وإلى اليوم ما زالت بعض الجماعات في أوروبا ترى في الهوية الإسلامية لتركيا مصدرا للاختلاف مما يوفر سببا لإبعاد تركيا من الاتحاد الأوروبي. [2]

نجد مثلا في أوساط النخب السياسية الألمانية أن الحجج القائمة على "صدام الحضارات" فيما يتعلق بتركيا عادة ما يتم التصريح بها من طرف ممثلي الاتحاد المسيحي الديمقراطي، والذي يمكن اعتباره استمرارا لتقليد الاتحاد الديمقراطي المسيحي طويل الأمد في ربط أوروبا بالمسيحية. يعارض بعض المسيحيين الديمقراطيين أهلية تركيا في العضوية للاتحاد الأوروبي على أساس أن تركيا هي دولة مسلمة. [3] وفي اجتماع جمع الأحزاب الديمقراطية المسيحية الأوروبية، ورئيس اللجنة الأوروبية، ورئيس البرلمان الأوروبي في مارس 1997 جاء البيان التالي: " من غير الممكن أن تنضم تركيا إلى للإتحاد لا في المدى القريب أو البعيد لأن أوروبا بصدد تطوير مشروعها الحضاري". [4]

النقطة المهمة الأخرى التي يشير إليها **هنتنجتون** في أطروحته هي أن هناك مجموعة من الدول التي تريد تغيير انتمائها الحضاري، غالبا نحو الغرب، لكن تاريخها وثقافتها وتقاليدها ليست غربية، وهي ما يُطلق عليها بـ: "الدول الممزقة"، ويعرفها بأنها الدول التي لها :"ثقافة واحدة سائدة تضعها في حضارة

[1] صامويل هنتنغتون، مرجع سابق، ص.257-258.

[2] Selcen Öner: «Turkey's Membership to the EU in Terms of "Clash of Civilizations"», The Journal of Interdisciplinary Economics, Vol.20, No.20, 2009, pp.245-261, p.246.p.248.

[3] Selcen Öner, Ibid., p.251.

[4] محمد نور الدين، مرجع سابق، ص.43.

واحدة ولكن زعماءها يريدون الانتقال إلى حضارة أخرى. يقولون: "نحن في الواقع شعب واحد وننتمي كلنا إلى مكان واحد ولكننا نريد تغييره". ويرى **هنتنجتون** في تركيا المثال النموذجي للبلد الممزق الذي يحاول منذ سنوات العشرينات أن يقوم بالتحديث وأن يتغرب وأن يصبح جزءا من الغرب.[1] فقد كانت الثورة في تركيا تتضمن رفضا لكل من الثقافة الإسلامية التقليدية والثقافة العثمانية، وسعيا لاستيراد الثقافة الغربية والالتحاق بالغرب. وهكذا حاولت تركيا على مدى سنوات طويلة أن تعرف نفسها كدولة أوروبية. فقد كانت إصلاحات أتاتورك مخططة بالضبط لتحويل تركيا من دولة شرق أوسطية مسلمة إلى دولة أوروبية علمانية.[2]

يجادل **هنتنجتون** بأن الدولة الممزقة يمكنها النجاح في تحويل هويتها الحضارية إذا استطاعت تحقيق ثلاث شروط: "أولا، يجب أن يكون هذا التحول مدعوما من طرف نخبة الدولة. ثانيا، يجب أن يكون هناك قبول جماهيري العام هذا التحول. وأخيرا، يجب أن تكون النخب المسيطرة في الحضارة المتلقية، في أغلب الحالات الغرب، راغبة في قبول هذه الدولة المتحولة.[3] يرى **هنتنجتون** بأن تركيا تفي بالشرطين الأولين، فالنخب التركية تؤيد بالإجماع هذا التحرك وأذعنت الجماهير لذلك. أما نخب الحضارة الغربية المتلقية فلم تتقبل ذلك.

بالنسبة للشرط الثالث، أي ما إذا كان الأوروبيون، النخب السياسية والمواطنون العاديون، راغبين أو لا في قبول تركيا الديمقراطية المسلمة الحديثة في الاتحاد الأوروبي، فقد مس أول نقاش مفتوح حول ترشح تركيا خلال قمة كوبنهاغن عام 2002 عصبا حساسا بين كل أصناف الجماهير الأوروبية. كشف هذا النقاش المنتشر إلى أي مدى كان الإسلام مع كل صوره المشوهة باعتباره "الآخر" للحضارة الغربية المسألة الحقيقية، بدلا من مدى استعداد تركيا لتحقيق نفس الشروط الاقتصادية والسياسية مثل كل الدول الأعضاء الأخرى، وراء معارضة انضمامها.[4]

يؤكد **هنتنجتون** بأن تركيا تقع في "الخط الفاصل" بين الحضارات، في مرحلة الحرب الباردة كانت تركيا تنتمي للغرب، لكن في فترة ما بعد الحرب الباردة هي تنتمي إلى العالم الإسلامي. إن وصف **هنتنجتون** لمكان تركيا بـ"الخط الفاصل" أو "الحدية" في مرحلة ما بعد الحرب الباردة يعني أن

[1] صامويل هنتنجتون، مرجع سابق، ص.226.
[2] صامويل هنتنجتون، نفس المرجع، ص.244.
[3] Samuel P. Huntington, Op.cit., p.44.
[4] José Casanova: «The Long, Difficult, and Tortuous Journey of Turkey into Europe and the Dilemmas of European Civilization», Constellations, Vol.13, No.2, 2006, p.240.

تركيا ليست في الغرب ولا في الشرق، بدل ذلك إنها على الهامش. عكس دول أوروبا الشرقية التي تمثل جزءا من الحضارة الغربية، وهذا ما يفسر الموقف المتساهل للاتحاد الأوروبي اتجاه دول أوروبا الوسطى والشرقية خلال عملية انضمامها.[1]

وفي محاضرة له ألقاها في مدينة اسطنبول عام 2005، أشار **هنتنجتون** إلى أنه: "على الرغم من الجهود التي بذلتها تركيا لاعتماد القيم والممارسات الأوروبية، فإن مجتمعها وثقافتها وتاريخها تجعل منها في شكل أساسي بلدا غير أوروبي"، ويضيف أنه: "بينما تتقدم تركيا باتجاه علماني يبدو أن أوروبا تتقدم باتجاه ديني بسبب هجرة المسلمين الكثيفة إلى أوروبا، والتفاعلات المتزايدة على البلدان الأوروبية والبلدان الإسلامية المجاورة". و يخلص **هنتنجتون** إلى القول بأن أوروبا ليست جاهزة لتركيا، وأنه ما دامت أوروبا ترى في تركيا بلدا غير أوروبي ستبقى عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي أمرا بعيد الاحتمال. وبالنظر لشعور الأوروبيين بأنه لا يمكنهم رفض تركيا كما لا يمكنهم قبولها في آن واحد، فقد عمدوا إلى إتباع سياسة التأجيل والمماطلة.[2] إن رفض الاتحاد الأوروبي لعضوية تركيا على أساس دينها يتعارض مع قيم الاتحاد العالمية، والمتمثلة في التعددية والتسامح وحقوق الإنسان.

رسميا، رفض أوروبا لقبول تركيا إلى حد الآن يقوم أساسا على اعتبارات موضوعية، مثل: عجز تركيا في تنفيذ بعض الإصلاحات، خاصة المتعلقة بحقوق الإنسان وحقوق الأقليات وحرية التعبير عن الرأي وغيرها. لكن، ليس هناك العديد من المؤشرات الخفية بأن أوروبا العلمانية ظاهريا مازالت جد مسيحية عندما يتعلق الأمر بإمكانية تصور دولة مسلمة كجزء من المجموعة الأوروبية. إن النقاشات العامة في أوروبا حول قبول تركيا أظهرت أن أوروبا في الحقيقة هي الدولة الممزقة، المنقسمة بعمق حول هويتها الثقافية، غير القادرة على الإجابة على عن التساؤل حول ما إذا كان يجب تعريف الهوية الأوروبية، وبذلك حدودها الداخلية والخارجية، من خلال الإرث المشترك للمسيحية والحضارة

[1] Selcen Öner: «Turkey's Membership to the EU in Terms of "Clash of Cilizations"», Op.cit., p.250.

[2] عبد القادر النيال: «تركيا وخياراتها الإستراتيجية»، الثلاثاء 12 فبراير 2013. اطلع عليه في: 8 أفريل 2013.

http://www.an-nour.com/%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA/item/1321-%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7%D9%88%D8%AE%D9%8A%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%87%D8%A7%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%A91%D9%85%D9%862#.UYeC0bWEPQR

الغربية أو من خلال قيمها الليبرالية العلمانية الحديثة، وحقوق الإنسان العالمية، الديمقراطية السياسية والتسامح والتنوع الثقافي الشامل. بالطبع لا تستطيع النخب العلمانية الليبرالية الأوروبية، بشكل علني، أن تتقاسم تعريف البابا للحضارة الأوروبية باعتبارها مسيحية بشكل أساسي. لكنهم لا يستطيعون أيضا التعبير عن "المتطلبات الثقافية غير المعلنة" التي تجعل من اندماج تركيا في أوروبا بهذه الصعوبة.[1]

لا بد من الإشارة إلى أن هناك العديد من الحجج المضادة لفكرة "صدام الحضارات". فمثلا يرى **بيركينز** (2004) -*Perkins*-، بأن **هنتنجتون** يعيد إحياء الصور النمطية عن الإسلام على أنه بربري وغير عقلاني وأصولي وعنيف. إضافة إلى ذلك، من خلال تعريف الإسلام باعتباره "الآخر" الرئيسي لأوروبا، فهو يعيد إحياء مطابقة النصرانية مع الحضارة. كما ينتقد **هولز** (1998) ***Holmes*** ـ **هنتنجتون** كذلك، فهو يجادل بأنه كان من الممكن أن يساهم في عالم متحضر أكثر، إذا كانت لديه اقتراحات بناءة أكثر من أجل زيادة الاحترام، والتسامح، والفهم المتبادل بين مختلف الحضارات.[2] من بين أيضا المصادر التي انتقدت نظرية "صدام الحضارات" كتاب "حول صراع الحضارات: حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنغتون" لمؤلفه **محمد سعدي** الذي يقول: "تعاني أطروحة "صدام الحضارات" من عجز على مستوى إمكانياتها الفعلية في التعبير عن واقع التطورات الدولية، بل أكثر من ذلك فهي تحاول أن تخضع الواقع الدولي بشكل تعسفي لمنطقها مع أن التطورات الدولية ما فتئت تعلن قصور هذه الفرضية في تشخيصها للواقع الدولي".[3]

الانتقاد الآخر الذي يمكن أن يوجه لفكرة **هنتنغتون** بأن الإسلام هو أكبر عدو للغرب وأوروبا، وأن أوروبا تنتهي أين تنتهي المسيحية ويبدأ الإسلام، هي أنها فكرة مجحفة في حق الإسلام وتتجاهل الدور الذي لعبه الإسلام في تطور أوروبا. لا يمكن تصور الإسلام في عزلة عن أوروبا، إذ لا بد من الأخذ بعين الاعتبار إسهامات الإسلام في الإرث التاريخي والثقافي لأوروبا وفي عملية بناء الهوية الأوروبية، فلم يكن للإسلام فقط دور "الآخر" بالنسبة لأوروبا. يؤكد كل من **أرنولد** ***Arnold*** و**ساردار** ***Sardar*** بأن:

---

[1] José Casanova, Op.cit., p.241.

[2] Selcen Öner: «Turkey's Membership to the EU in Terms of "Clash of Cilizations"», Op.cit., p.250.

[3] محمد سعدي: **حول صراع الحضارات: حوارات ومقالات مختارة لصموئيل**، ط إفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، 2006، ص.73. نقلا عن: محمد بوالروايح، مرجع سابق، ص.149.

لم يقم الإسلام فقط بتقديم الحضارة اليونانية القديمة للأوروبيين، لكن بدون الإسلام، لم يكن لأوروبا أن تستطيع أبدا تصنيع جذورها اليونانية المفترضة... عدد قليل من أكبر الفلاسفة الأوروبيين في العصور الوسطى استطاع بالفعل قراءة اليونانية، الذي قرؤوه في الواقع لم يكن **أفلاطون** أو **أرسطو** في الأصل لكن تعليقات لاتينية عن أفلاطون من قبل الفارابي و الترجمات اللاتينية لابن سينا عن أرسطو... بالنسبة للعلماء المسلمين كانت ترجمة النصوص اليونانية تمثل مشروعا فكريا رئيسيا من القرن الثامن إلى القرن الثاني عشر.[1]

في مقابل الموقف الرافض لعضوية تركيا على أساس فكرة "صدام الحضارات"، نجد أن المؤيدين لعضوية تركيا يتصورون اندماج تركيا في الاتحاد الأوروبي كمثال مضاد لـ"صدام الحضارات" وكأداة لمنع ذلك، ويركزون عادة على دور تركيا باعتبارها "جسر" بين الغرب والعالم الإسلامي. كما يرون بأن من شأن ذلك أن يساعد في تأسيس السلام بين مختلف الثقافات، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر. يرى مفوض السابق الاتحاد الأوروبي في شؤون التوسيع **فيرهوجان** ***Verheugen*** أنه: " في أعقاب أحداث 11 سبتمبر، أصبح من الواضح أكثر من أي وقت مضى أن الاتحاد الأوروبي أمر لا غنى عنه بالنسبة لتركيا، وتركيا أمر لا غنى عنه بالنسبة للاتحاد الأوروبي." ويؤكد أنه: "عندما تكون تركيا إلى جانبنا بشكل كامل، تزداد فرص تجنب مثل هذا الصراع أو حله بطريقة سلمية". وبعد قرار ديسمبر 2004 بفتح مفاوضات انضمام تركيا في 3 أكتوبر 2005، صرح **توني بلير** بأن: "يُظهر هذا القرار أن أولئك الذين يؤمنون بأن هناك "صراع حضاري" بين المسيحية والإسلام على خطأ".[2]

لدى العديد من الديمقراطيين الاجتماعيين رؤية للاتحاد الأوروبي باعتباره مشروع سياسي وأوروبا متعددة الثقافات، خاصة بعد 11 سبتمبر، أين اكتسب حوار الحضارات أهمية أكبر بكثير، ليس فقط فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية للاتحاد الأوروبي، ولكن أيضا لدمج أقلياته المسلمة. وفقا لـ**كارلسون** (2004) ***Karlsson*** والذي هو القنصل العام للسويد في اسطنبول، إذا رفض الاتحاد الأوروبي تركيا على أساس الثقافة والدين، فإنه سيعطي رسالة إلى السكان المسلمين الذين يعيشون داخل الاتحاد الأوروبي بأنهم سوف يُعتبرون دائما مواطنين من الطبقة الثانية. **ريهن** (2007) ***Rehn*** ، المفوض في التوسيع، صرح بأن "التحدي الأكبر في وقتنا هو العلاقة بين أوروبا والإسلام، أو

[1] John Arnold & Ziauddin Sardar: **Europe: A Double Legacy,** pp.16-19; quoted in: Selcen Öner, **Construction of European Identity within the European Union**, Op.cit., p.422.

[2] Selcen Öner: «Turkey's Membership to the EU in Terms of "Clash of Civilizations"», Op.cit., p.251.

بشكل واسع بين الغرب والإسلام... تركيا مرساة للاستقرار في أكثر المناطق غير المستقرة في العالم، في الشرق الأوسط الكبير. إنها مرجع للديمقراطية في العالم الإسلامي من المغرب إلى ماليزيا". كما يركز السياسيون الأتراك أن "على الاتحاد الأوروبي أن يقبل تركيا، إذا لم يكن ناديا مسيحيا أو إذا كان حقا يريد إنكار "صدام الحضارات"". كما يركز الوزير الأول التركي أردوغان على دور تركيا في منع "صدام الحضارات" وأعلن بأن "عندما ندخل الاتحاد الأوروبي، لن نمثل "صدام الحضارات" والثقافات، بدل ذلك، تركيا من خلال كونها "جسر" ستساعد في تحقيق اندماج مختلف الثقافات والحضارات".[1]

إذا يبقى القرار في يد الاتحاد الأوروبي لتأكيد صحة أحد الافتراضين، إما أن يؤكد على طابعه العالمي والتعددي الذي يسمح بتعدد الثقافات داخله ويشجع على احترامها واحترام القيم الأخرى التي ينادي بها، مثل: الديمقراطية وسيادة القانون واحترام حقوق الإنسان والأقليات، وهذا من خلال قبول عضوية تركيا. أو يؤكد طرح "صدام الحضارات" ويقتصر العضوية في الاتحاد الأوروبي على دول تشترك في هوية قائمة على أساس ديني وثقافي، وهذا برفضه لانضمام تركيا.

[1] Selcen Öner: «Turkey's Membership to the EU in Terms of "Clash of Cilizations"», Op.cit., p.252-253.

خـاتـمـة

تتمتع تركيا بمجموعة من الخصائص والمقومات (الطبيعية، البشرية، الاقتصادية، العسكرية) التي تمكنها من أن تلعب دور الفاعل السياسي القوي إقليميا ودوليا، والتي تؤهلها لاكتساب العضوية في الاتحاد الأوروبي، إلا أن هذا الأخير يبدو مترددا بشأن ذلك وقد اعتمد منذ فترة طويلة سياسة الانتظار والمماطلة، فهو لم يمنح تركيا العضوية إلى الآن كما أنه لم يرفضها بشكل مطلق.

يعتمد الاتحاد الأوروبي على مجموعة من المعايير السياسية والاقتصادية، وهي ما يعرف بمعايير كوبنهاغن، والتي يجب أن تتوفر في أي دولة (شرط أن تكون أوروبية) تطلب العضوية في الاتحاد. لقد استطاعت تركيا أن تقطع شوطا كبيرا فيما يتعلق بالإيفاء بهذه المعايير، والمتمثلة في: نظام ديمقراطي نيابي، اقتصاد السوق الحر والقدرة التنافسية، بالإضافة إلى العمل على تبني تشريعات وقوانين الإتحاد الأوروبي، أو ما يعرف بالمكسب المشترك. لقد كان لوصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة منذ 2002 دور كبير في إعطاء دفعة قوية لعملية الإصلاح الشاملة والتي مست مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمل على تبني معايير الإتحاد الأوروبي.

إن التقدم الكبير الذي شهدته تركيا فيما يتعلق بتبني معايير الإتحاد الأوروبي، بالإضافة إلى الانعكاسات الإيجابية التي سترتب عن انضمام تركيا إلى الإتحاد الأوروبي، يدل على أن هناك متطلبات أخرى "غير معلنة" للعضوية في الإتحاد الأوروبي وهي متطلبات ثقافية، دينية بالأساس. هذا الطرح يؤكده التوسع الأخير الذي شهده الإتحاد الأوروبي نحو دول أوروبا الوسطى والشرقية، التي بالرغم من أنها كانت تعاني العديد من المشاكل الاقتصادية والسياسية وتبعاتها على الإتحاد الأوروبي، إلا أنها تعتبر جزءا من أوروبا ومن الموروث الحضاري والثقافي الأوروبي القائم أساسا على العقيدة المسيحية. في المقابل، فإن تركيا، في نظر المعارضين لانضمامها للاتحاد الأوروبي، ليست دولة أوروبية فهي لا تنتمي للحضارة الأوروبية، بل كانت ولقرون عديدة تمثل العدو الأول بالنسبة لأوروبا.

بالرغم من أن الاتحاد الأوروبي بدأ كمشروع وحدوي اقتصادي ثم تطور ليصبح اتحادا سياسيا، إلا أن النقاشات حول هوية الاتحاد الأوروبي ودورها في تماسكه والدفع إلى مزيد من الاندماج بين أعضائه اكتسبت أهمية كبيرة، خاصة حين يتعلق الأمر بضم دولة مسلمة كبيرة مثل تركيا التي بالرغم

من أنها دولة علمانية، إلا أن هويتها الإسلامية، في نظر العديد من الأوروبيين، لا تتوافق مع القيم والمعايير الأوروبية، بل وتشكل تهديدا للهوية الأوروبية خاصة في ظل انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام في أوروبا. إن تعريف الهوية الأوروبية على أساس ثقافي- ديني سيجعل من الاتحاد الأوروبي كيان حصري وستفقد كل من المعايير السياسية والاقتصادية التي يشترطها للعضوية معناها.

إن الاتحاد الأوروبي برفضه لعضوية تركيا لمجرد أنها دولة مسلمة فإن ذلك من شأنه أن يؤكد فكرة "صدام الحضارات" ويزيد من التوتر والمواجهة بين العالم الإسلامي وأوروبا التي يقيم فيها أصلا العديد من المسلمين، في حين أنه بقبولها سيساهم في بناء جسر بين أوروبا والعالم الإسلامي وسيعزز من "حوار الأديان والحضارات"، كما أن ذلك سيؤكد على طبيعة الاتحاد العلمانية والتعددية وأن الهوية الأوروبية تقوم على أساس قيم الديمقراطية، حقوق الإنسان، وسيادة القانون. إذا يبقى الخيار في يد الإتحاد الأوروبي والدول الأعضاء فيه، لكن السؤال الذي يبقى مطروحا: إلى متى ستنتظر تركيا هذا القرار؟ وإلى أي مدى هي مستعدة لتقديم تنازلات في سبيل تحقيق هدفها بالحصول على العضوية الكاملة؟ وهل يمكن لهذا التردد الأوروبي أن يؤثر على توجهات تركيا المستقبلية كأن يدفعها للتوجه نحو العالم الإسلامي والعربي؟

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

الكتب:

- أوغلو أحمد داود: **العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية**، (ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل)، الطبعة الثانية، الدار العربية للعوم ناشرون، بيروت، مركز الجزيرة للدراسات ، الدوحة،2011.
- بوالروايح محمد: **نظريات حوار وصدام الحضارات (رؤية تحليلية نقدية)**، الطبعة الأولى، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2010.
- حسن ياسر أحمد: **تركيا البحث عن المستقبل**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006.
- سبيتان سمير: **تركيا في عهد رجب طيب أردوغان**، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى 2012.
- صامويل هنتنجتون: **صدام الحضارات..إعادة صنع النظام العالمي**، (ترجمة طلعت الشايب)، الطبعة ثانية، مصر، القاهرة،سطور، 1999.
- العيسوي فايز محمد: **الجغرافيا السياسية المعاصرة**، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008.
- محفوض عقيل سعيد: **جدليات المجتمع والدولة في تركيا المؤسسة العسكرية والسياسة العامة**، الطبعة الأولى، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، 2008.
- محمد عبد العاطي، محررا: **تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج**، الطبعة الأولى، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2009.

- النعيمي أحمد نوري: **النظام السياسي في تركيا**، الطبعة الأولى، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 2011.
- نور الدين محمد: **تركيا الجمهورية الحائرة (مقاربات في الدين والسياسة والعلاقات الخارجية)**، الطبعة الأولى، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت،1998.
- هلال رضا: **السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي**، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، 1999.
- هيرمان راينر : **تركيا بين الدولة الدينية والدولة المدنية الصراع الثقافي في تركيا**، (ترجمة: علا عادل)، الطبعة الأولى، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة، 2012.

الدوريات:

- السكري أحمد مجدي: «العلاقات التركية – الأوروبية بين إشكالية مفاوضات الانضمام وآفاق المستقبل». المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد 36، خريف 2012، ص.ص.77ـ116.
- عمر تاشبينار: «أثر التقاليد العلمانية على تطور النظام السياسي التركي»، مجلة شرق نامه، "النموذج التركي والمجتمعات العربية"، العدد السابع، أكتوبر 2010. ص.ص.7ـ21.
- مقلد حسين طلال: «تركيا والاتحاد الأوروبي بين العضوية والشراكة»، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 26، العدد الأول، 2010، ص.ص.335ـ395.
- نوفل أحمد سعيد: «متحدون في التنوع: الاتحاد الأوروبي بين القدرات والتحديات»، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 26 ، ربيع 2010، ص ص.128ـ152.

- الغندور عبير: « بدائل التوجه السياسي التركي المعاصر»، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 33، شتاء 2012، ص ص. 109ـ 120.

المراجع باللغة الأجنبية:

التقارير:

- **« La Turquie dans l'Europe: Plus qu'une promesse? »**, Rapport de la Commission Independante sur la Turquie, Septembre 2004.
- **«The European Union, Turkey and Islam»**, Report of Netherlands Scientific Council for Government Policy, Amsterdam University Press, 2004.
- Archick Kristin: **«European Union Enlargement»**, CRS Report for Congress, Congressional Research Service, February 2013.
- Eurobarométre 66. L'opinion publique dans l'"Union européenne. Automne 2006. Rapport national France.
- **«European Council Conclusions»,** Copenhagen, Denmark, June 1993.
- Morelli Vincent: **«European Union Enlargement: A Status Report on Turkey's Accession Negtiations»**, CRS Report for Congress, Congressional Research Service, January 2013.

الكتب:

- Delanty Gerard: **Inventing Europe: Idea, Identity, Reality**, London, MacMillan Press, 1995.
- Goddard Hugh: **A History of Christian Muslim Relations**, Chicago, Ivan R. Dee, 2000.
- J. Zürcher Erik: **Turkey A Modern History**, London, New York, I.B. Tauris & Co Ltd, second edition, 1998.
- Rabasa Angel & F. Larrabee Stephen, **The Rise of Political Islam in Turkey**, RAND Corporation, Santa Monica, 2008.

- **Turkey Watch : EU Member States' Perceptions on Turkey's Accession to the EU**, Edit by: Sait Akşit, Özgehan Şenyuva, Çiğdem Üstün, Turkey, Center for European Studies, First Published,2010.
- Usul Ali Resul: **Democracy in Turkey The impact of EU political conditionality,** Routledge, London and New York, 2011.
- Yavuz M. Hakan: **Islamic Political Identity in Turkey**, Oxford University Press, New York, 2003.

الدوريات:

- «Turkey's Quest for EU Membership», policy Area: Turkey. European Union Center of North Carolina, EU Briefings, March 2008.
- Aydin Mustafa: «The Determinants of Turkish Foreign Policy,and Turkey's European Vocation», The Review of International Affairs, Vol.3, No.2, Winter 2003.
- Baç Meltem Müftüler & Taşkin Evrim: «Turkey's Accession to the European Union: Does Culture and Identity Play a Role?», Ankara Review of European Studies, Vol.6, No.2, Spring 2007, pp.31-50.
- Baç Meltem Müftüler: «Through the Looking Glass: Turkey in Europe», Turkish Studies, Vol.1, No.1, spring 2000, pp.21-35.
- Balkir Canan: **«Turkey's Road to EU Membership: Economic Outlook»,** KÖZ-GAZDASÁG, Special Issue 2010/3.
- Barysch Katinka; « What Europeans Think About Turkey And Why», Centre for European Reform, London, September 2007.
- Bülent Daver: « Secularism in Turkey », Ankara Üniversitesi SBF Dergisi, vol.43, No.1-2, 1988, pp. 29-40.
- Casanova José: «The Long, Difficult, and Tortuous Journey of Turkey into Europe and the Dilemmas of European Civilization», Constellations, Vol.13, No.2, 2006.
- Dahlman Carl: «Turkey's Accession to the European Union: The Geopolitics of Enlargement». Eurasian Geography and Economics, 2004, **45**, No. 8, pp. 553-574.

- Erkem Gul Pinar: «Identity Constuction of Europe by Othering: A Case Study of Turkey and the EU Relations from Cultural Perspective», Journal of Political Analysis and Theory, euro POLIS 5/2009, pp.489-509.
- Gerhards Jürgen & Hans Silke: «Why not Turkey? Attitudes towards Turkish membership in the EU among citizens in 27 European countries», Journal of Common Market Studies, Volume 49, Issue 4, 2011, p.p.741-766.
- Helvacıoğlu Banu: «The Paradoxical Logic of Europe in Turkey: Where Does Europe End?», The European Legacy, Vol. 4, No. 3, 1999.
- Hughes Edel: « The Secularism Debate and Turkey's Quest for European Union Membership», Religion and Human Rights, 3, 2008, pp 15–32.
- Huntington Samuel P.: «The Clash of Civilizations? », Foreign Affairs, Vol.72, No.3, Summer 1993, pp.22-49.
- Hurd Elizabeth Shakman**:** «Negotiating Europe: The Politics of Religion and the Prospects for Turkish Accession», Review of International Studies, Vol. 32, No. 3 (Jul., 2006), pp. 401-418.
- Ingrid Kylstad: «Turkey and the EU: A 'new' European Identity in the Making», LSE 'Europe in Question' Discussion Paper Series, Paper No.27, 2010, The London School of Economics and Political Science.
- Ivic Sanja & Lakicevic Dragan D. : « European Identity: between Modernity and Postmodernity », Innovation: The European Journal of Social Science Research, Vol.24, No. 4, December 2011, 395- 407.
- Kubicek Paul: « Turkish Accession to the European Union: Challenges and Opportunities», World Affairs, Vol. 168, No. 2 (FALL 2005), pp. 67-78.
- Macmillan Catherine: « conceptions of the EU and Attitudes to Turkey's Accession in French and British Discourse», International Journal of Social Sciences and Humanity Studies, Vol2, No 2, 2010, p.p.121-128.

- Nugent Neill: « The EU's Response to Turkey's Membership Application: Not Just a Weighing of Costs and Benefits», Journal of European Integration, vol. 29, No.4, 2007, pp. 481-502.
- Öner Selcen: «Turkey's Membership to the EU in Terms of "Clash of Cilizations"», The Journal of Interdisciplinary Economics, Vol.20, No.20, 2009, pp.245-261.
- Ricardo Borges de Castro, **«The European Union, Turkey and "democratic secularism:" tentative reflections on an emerging condition»**, paper presented METU's Jean Monnet Centre of Excellence Speakers Series Seminar, March 2010.
- Rostane Mehdi, « L'Union Européenne et le Fait Religieux, Elément du débat constitutionnel », Revue française de droit constitutionnel, No 54, 2003, pp.227-248.
- Rumelili Bahar: «Turkey: Identity, Foreign Policy, and Socialization in a Post-Enlargement Europe», Journal of European Integration, Vol.33, No.2, pp.235-249.
- Saatçioğlu Beken, «The EU "Rhetorical Entrapment" in Enlargement Reconsidered: Why Hasn't It Worked for Turkey?». Insight Turkey, vol.14, No.3, 2012, pp. 159-176.
- Treske Cora Allie: «Turkish-EU Relations: let's just say, it's complicated», University of North Carolina at Chapel Hill, International Studies and Political Science, Fall 2008.
- Turan Ilter: «Uneasy Coexistence : Religion and Politics in Turkey», On Turkey, Analysis, The German Marshall Fund of the United States, February, 2012.
- Woyke Wichard: « European Union Enlargement Consequences and Problems », German Policy Studies, 1(4), 2001, pp. 385-403.

الرسائل الجامعية:

- Öner Selcen: **Construction of European Identity within the European Union**, PhD Thesis, Department of Politics and International Relations of the European Union, European Union Institute, Istanbul, 2008.
- Becerik Güneş: **Evaluating the Role of Identity in European Integration from a Constructivist Perspective**, Master of Art Thesis, The Graduate School of Social Sciences, Izmir University of Economics, June 2006.
- Genç Ezgi: **The Role of Religious Identity in Turco- European Relations**, Master of Science, Department of International Relations, The Graduate School of Social Sciences of Middle East Technical University, Ankara, 2004.
- Hastings Fintan: **Guarding the Camp, Outside the Tent- The Relationship Between Turkey and the European Union from a Military and Regional Security Perspective,** Master of Art in History in International Relations, School of History, National University of Ireland, Cork, 2010.
- Kap Derya: **European Identity and the European Union: The Prospects and Limits**, Master of Science Thesis, Department of International Relations, The Graduate School of Social Sciences, Middle East Technical University, December 2006.
- Kaşka Ayşegül Özgün: **European Identity and its Others : a Comparative Analysis of the Russian and the Turkish Cases**, Master of Science, Department of European Studies, The Graduate School of Social Sciences, Middle East Technical University, Ankara, 2007.
- Kütük Cem: **European Identity in the European Integration Framework**, Master of Art Thesis, Department of Politics and International Relations of The European Union, European Union Institute, Marmara University, Istanbul, 2006.
- Öztürk Hande: **European Identity, the Effect of Europeanization on Nation-state Identities and the Turkish Dimension**, Master of Art

Thesis, Department of Politics and International Relations of The European Union, European Union Institute, Istanbul, 2005.

- Susuzlu Şahika: **The European Union Enlargement and Turkey: A Cultural Approach**, Master of Art, The Graduate School of Social Sciences, Izmir University of Economics, January 2008.
- Yildiz Fatma, **Islamist Perception Of Turkey's EU Membership In Historical Process**, (Master of Arts in International Relations), Institute of Social Sciences, Fatih University, 2005.

المصادر الإلكترونية:

- بييون ديديي: «حتمية وحدود سياسات الحوار بين الحضارات والثقافات: الحالة التركية»، ترجمة: مصطفى فتحي بولعراس.اطلع عليه في 12 أفريل 2013: http://www.cmiesi.ma/acmiesi/file/notes/didier-billion_2.pdf
- «**تركيا:** هيكل الدولة والدستور والنظام القانوني»، اطلع عليه في: 5 جانفي 2013.

http://www.trtarabic.tv/ar/turkey-information/arabia/142-143.htm

- «لمحة عن تركيا، البنية القانونية والسياسية». اطلع عليه في: 5 جانفي 2013.

http://www.invest.gov.tr/ar-SA/turkey/factsandfigures/Pages/LegalAndPoliticalStructure.aspx

- "انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي"، موسوعة مقاتل من الصحراء، اطلع عليه في: 20 جانفي 2012

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/TurkeyEU/sec09.doc_cvt.htm

- عبد القادر النيال: «تركيا وخياراتها الإستراتيجية»، الثلاثاء 12 فبراير 2013. اطلع عليه في: 8أفريل 2013.

http://www.an-nour.com/%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA/item/1321-%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7%D9%88%D8%AE%D9%8A%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%87%D8%A7%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%A91%D9%85%D9%862#.UYeC0bWEPQR

- موقع: CIA The World Fact Book، اطلع عليه في: 26 ديسمبر 2012.

https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/tu.html

- Turkey's Population Young and Rapidly Expanding, January 24, 2012. Accessed on: 26th December, 2012.

http://blog.euromonitor.com/2012/01/turkeys-population-young-and-rapidly-expanding.html

الملاحق

1. الملحق رقم.1. كرونولوجيا علاقات تركيا مع الاتحاد الأوروبي
2. الملحق رقم.2. ردود أفعال ونقاشات الرأي العام الأوروبي حول انضمام تركيا إلى الإتحاد الأوروبي

الملحق رقم.1. كرونولوجيا علاقات تركيا مع الاتحاد الأوروبي

1959

- 31 جويلية: تقدمت تركيا بطلب شراكة للمجموعة الاقتصادية الأوروبية.

1963

- 12 سبتمبر: توقيع اتفاق أنقرة (اتفاق الشراكة)، الذي سيطور اتحاد جمركي بين تركيا والمجموعة الاقتصادية الأوروبية .

1964

- 1 ديسمبر: دخول اتفاق أنقرة الموقع بين تركيا والاتحاد الأوروبي حيز التنفيذ.

1970

- 23 نوفمبر: توقيع البروتوكول الإضافي الذي يتضمن ترتيبات الاتحاد الجمركي في بروكسل.

1971

- 1 سبتمبر: دخول الأحكام القضائية التجارية للبروتوكول الإضافي حيز التنفيذ مع "اتفاق مؤقت". إلغاء الاتحاد الأوروبي للرسوم الجمركية والقيود الكمية التي كانت مطبقة على أغلب المنتجات الصناعية المستوردة من تركيا (باستثناء المنتجات النسيجية).

1973

- 1 جانفي: دخول البروتوكول الإضافي حيز التنفيذ. حققت تركيا أول تخفيض للرسوم الجمركية وتوفيق قائمة التحرير المدمجة (تعريفات الاتحاد الجمركية).
- 21 ماي: اختتام المفاوضات بين تركيا والمجموعة الاقتصادية الأوروبية المتعلقة بتوسيع المجموعة الاقتصادية الأوروبية باتفاق حول عضوية تركيا في النهاية.
- 30 جوان: توقيع بروتوكول متمم لاتفاق التوسيع الأول في أنقرة.

1974

- 1 جانفي: دخول الاتفاق المؤقت حيز التنفيذ مع الاتفاق المتمم المرتبط به.

1976

- بدء تنفيذ التزامات البروتوكول الإضافي في التحقق، نفذت تركيا التخفيض الثاني للرسوم الجمركية و مواءمة قائمة التحرير الموحدة.

1978

- 11 أكتوبر: خلال مسار خطة الخمس سنوات الرابعة، أوقفت تركيا التزامات الاتحاد الجمركي وتلقت مساعدة اقتصادية لما يقرب 8 مليار دولار أمريكي (صندوق النقد الدولي/ البنك العالمي)

1980

- 30 جوان: قرر مجلس الشراكة إلغاء الرسوم الجمركية المطبقة تقريبا على كل المنتجات الزراعية في تركيا إلى غاية 1987.

1982

- 22 جانفي: وقف العلاقات الرسمية بين تركيا والاتحاد الأوروبي - بعد الوقف الفعلي للمحادثات كنتيجة للانقلاب العسكري عام 1980.

1986

- 16 سبتمبر: اجتماع تركيا ومجلس الشراكة للمجموعة الاقتصادية الأوروبية.
- عودة العلاقات بين تركيا والمجموعة الاقتصادية الأوروبية التي كانت متوقفة منذ 12 سبتمبر 1980.

1987

- 14 أفريل: قدمت تركيا رسميا طلب بالعضوية الكاملة في المجموعة الأوروبية بناء على المادة 237 من اتفاقية روما، المادة 98 للمجموعة الأوروبية للفحم والحديد والمادة 205 من المجموعة الأوروبية للطاقة الذرية.

1988

- 20- 21 ديسمبر: انعقاد اللجنة الخاصة للمرة الثانية وتقديم تركيا برنامج عمل مسرع للمجموعة الأوروبية من أجل تنفيذ التزامات الاتحاد الجمركي المعلقة.

1989

- 18 ديسمبر: صرحت المفوضية الأوروبية في "رأيها" حول طلب تركيا للعضوية الكاملة أنه سيكون من المستحيل على المجموعة الأوروبية قبول أعضاء جدد إضافيين قبل إكمال عملية الإنجاز الكلي لسوقها الداخلية (1992) ووضع الشروط الضرورية فيما يتعلق بالتطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يجب إنجازها قبل بدء تركيا مفاوضات ما قبل الانضمام.

1990

- 6 جوان: قدمت المفوضية الأوروبية "حزمة التعاون" بشأن الاحتياطات التي شملت بدء و/ أو تسريع التعاون مع تركيا عبر نطاق واسع من المجالات الاقتصادية والسياسية.

1994

- 30 جويلية: إعادة تأكيد مفوضية المجموعات الأوروبية على مبادئ الاتحاد الجمركي كما تم وضعها في معاهدة أنقرة الأصلية (الموقعة بين تركيا والمجموعة الأوروبية في 1963).

1995

- 13 ديسمبر: الموافقة على قرار المجلس رقم 95/1 ،حول الشراكة بين تركيا والاتحاد الأوروبي، من طرف البرلمان الأوروبي (343 قبول، 149 رفض، 36 امتناع عن التصويت).

1996

- 1 جانفي: دخول تركيا المرحلة النهائية من اتفاق الشراكة والاتحاد الجمركي الأصلي (التي دامت 22 سنة) بعد إنهاء "المرحلة الانتقالية: في المنتجات الصناعية والمنتجات الزراعية المصنعة في 31 ديسمبر 1995.

1997

- 12ـ 13 ديسمبر: في نهاية قمة رؤساء الدول والحكومات في لوكسمبورغ التي دعا إليها الاتحاد الأوروبي، لم تذكر تركيا من بين الدول المرشحة للعضوية، لكن تم مناقشتها في إطار التوسيع.

1998

- 3 مارس: إعلان المفوضية الأوروبية عن الوثيقة المعنونة بـ"الإستراتيجية الأوروبية لتركيا" المتعلقة بتحسين العلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي.
- 4 نوفمبر: نشر أول "تقرير تقدم" بما في ذلك آراء المفوضية حول "تقرير التقدم المنتظم حول تركيا" التي تم تسجيلها على ضوء المعايير التي تم إعدادها من طرف المفوضية الأوروبية من أجل العضوية في الاتحاد الأوروبي.

1999

- 11ـ 12 ديسمبر: الاعتراف الرسمي بتركيا كدولة مرشحة في لقاء قمة المجلس الأوروبي بهيلسينكي، لكن من دون تحديد لموعد بدء المفاوضات.

2000

- 4 جويلية: تأسيس الأمانة العامة لشؤون الاتحاد الأوروبي في اتصال مع مكتب رؤساء الوزراء.

2001

- 26 فبراير: قبول "قانون إطار العمل" الذي يشكل قاعدة الإجراءات المتعلقة بشراكة الانضمام وقاعدة التبرع الذي ستتلقاه تركيا من شراكة الانضمام في اجتماع مجلس الشؤون العامة.
- 24 مارس: نشر "قرار المجلس المؤرخ في 8 مارس 2001 بشأن المبادئ، الأولويات، الأهداف الوسيطة، والشروط الواردة في شراكة الانضمام مع جمهورية تركيا" في الجريدة الرسمية للمجموعة الأوروبية رقم L85 في 24 مارس.
- 24 مارس: نشر "قرار حول البرنامج الوطني لتركيا من أجل تبني المكسب المشترك، تطبيق، تنسيق، ورصد البرنامج الوطني لتركيا من أجل تبني المكسب المشترك" في الجريدة الرسمية رقم. 24352 مكرر في 24 مارس 2001.

2002

- 12ـ 13 ديسمبر: إعلان المجلس الأوروبي في قمة كوبنهاغن أن الاتحاد الأوروبي سوف يفتح مفاوضات الانضمام مع تركيا "من دون تأخير" إذا حققت تركيا "معايير كوبنهاغن".

2004

- 24 أفريل: إجراء الاستفتاء في قبرص. قبول 69.4 % من الأتراك في قبرص خطة **عنان** في حين رفض 75.83% من اليونانيين في قبرص هذه الخطة.
- 6 أكتوبر: إعداد "تقرير التقدم الدوري لتركيا" من طرف المفوضية الأوروبية وفي إطار هذه الوثيقة تم الاعتراف بأن تركيا أوفت بالمعايير السياسية اللازمة لبدء المفاوضات.
- 17 ديسمبر: تم الإعلان في اجتماع قمة رؤساء الدول والحكومات أن تركيا نفذت المعايير السياسية بما فيه الكفاية ويمكنها بدء مفاوضات الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي في 3 أكتوبر 2005.

2005

- 3 جوان: **تعين علي باباكان** ***Ali BABACAN*** ، وزير الدولة، لمنصب الرئيس المفاوض في مفاوضات انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي.

- 30 جويلية: توقيع تركيا لـ"البروتوكول الإضافي" الذي وسع اتفاقية أنقرة فيما يتعلق بالأعضاء العشر الجدد.

2006

- 12 جوان: فتح الفصل المتعلق بالعلم والبحث وغلقه بصفة مؤقتة.
- 11 ديسمبر: تجميد الاتحاد الأوروبي المحادثات حول 8 فصول بسبب الخلاف المستمر جول قبرص، وإعلانه أنه لن يتم غلق أي فصل إلى غاية إيجاد حل.

2007

- 29 مارس: فتح الفصل المتعلق بالمؤسسات والسياسة الصناعية.
- 25 جوان: فتح الفصل المتعلق بالإحصاء وفصل المراقبة المالية في حين تم الاعتراض على فتح الفصل المتعلق بالسياسة الاقتصادية والنقدية من طرف الرئيس الفرنسي **نيكولا ساركوزي**.
- 20 ديسمبر: فتح الفصل المتعلق بالصحة وحماية المستهلك وفصل الشبكات عبر الأوروبي.

2008

- 17 جوان: فتح الفصول المتعلقة بقانون الشركات وقانون الملكية الفكرية.
- 19 ديسمبر: فتح الفصول المتعلقة بحرية حركة رأس المال ومجتمع المعلومات والإعلام.

2009

- 30 جوان: فتح فصل الضرائب.
- 8 ديسمبر: فتح الفصل حول البيئة.

2010

- 30 جوان: فتح الفصول المتعلقة بسلامة الغذاء، البيطرية، وسياسة الصحة النباتية.

2012

- 17 ماي: انطلاق "الأجندة الإيجابية" مع تركيا.
- 1 جويلية- 31 ديسمبر 2012: تجميد تركيا لعلاقاتها مع الاتحاد الأوروبي خلال فترة الرئاسة الدورية لقبرص.

2013

- 12 فبراير: أعلن وزير الخارجية الفرنسي **لورون فابيوس** ***Laurent Fabius*** بأن فرنسا سوف تزيل رسميا نقضها حول الفصل 22 السياسة الإقليمية وستساعد في فتح الفصل.

الملحق رقم.2. ردود أفعال ونقاشات الرأي العام الأوروبي حول انضمام تركيا إلى الإتحاد الأوروبي

Pour	Contre
Démographie	
▪ La population turque est jeune et dynamique, l'Europe « vieillissante » en a besoin.	▪ La population turque est nombreuse et pauvre. L'UE ne pourra pas supporter le poids de cette adhésion. ▪ Il y aura une immigration massive des Turcs vers l'UE. ▪ La Turquie deviendra un des pays les plus forts et influents du Parlement européen compte tenu de son poids démographique.
Economie	
▪ La Turquie est un grand marché et la 20e plus grande économie du monde.	▪ L'économie turque a besoin de réformes structurelles. Ces réformes coûteront cher à l'UE.
Géographie	
▪ La Turquie est un pont entre l'Europe et l'Asie. ▪ Sa position géographique et culturelle donnera à l'UE l'occasion de devenir un acteur incontournable dans la région mais aussi en Asie centrale. ▪ Chypre est plus à l'Est que la Turquie.	▪ La Turquie ne se trouve pas en Europe. ▪ Avec l'adhésion de la Turquie l'UE aura des frontières communes avec des pays comme l'Iran et l'Irak. ▪ L'UE peut être entraînée dans les conflits du Proche-Orient.
Identité(s) culturelle(s)	
▪ L'adhésion de la Turquie apaisera les tensions entre le « monde occidental » et le « monde musulman ». ▪ La Turquie assure la Présidence de l'Organisation de la Conférence islamique.	▪ La Turquie est un pays musulman, avec une culture et des valeurs différentes. ▪ L'adhésion de la Turquie dénaturera l'identité culturelle européenne.
Culture politique & démocratie	
▪ La Turquie a besoin de l'impulsion européenne pour compléter ses réformes en matière de droits de l'homme, droits des femmes et droits des minorités.	▪ La Turquie ne remplit pas les critères démocratiques européens pour adhérer à l'UE.
Chypre	
▪ La Turquie a fait un grand pas à Chypre, dont la partie nord a accepté le plan Annan. ▪ Les relations gréco-turques sont apaisées.	▪ La Turquie doit retirer ses soldats de Chypre. ▪ Il existe toujours des conflits de souveraineté dans la Mer Egée.

Génocide arménien	
▪ La Turquie est en faveur des relations diplomatiques et économiques avec l'Arménie.	▪ Ankara doit reconnaître le génocide arménien de 1915.
Le « sens historique » du projet européen	
▪ Le projet européen est la réconciliation entre les peuples.	▪ Historiquement les Turcs et les Européens ont toujours été des rivaux.

المصدر:

Samim Akgönül: **«La Turquie dans l'Union européenne?»**, Policy Paper 18, Institut français des relations internationales, France, 2005, p.p.20-21.

الـفـهـرس

مقدمة.....1

الفصل الأول:

مقومات الدولة والمجتمع في تركيا

المبحث الأول: المقومات الجيوسياسية والجيواستراتيجية.....**11**

المطلب الأول: الموقع الجغرافي.....**12**

المطلب الثاني: العوامل البشرية.....**14**

المطلب الثالث: الاقتصاد التركي.....**18**

المطلب الرابع: القدرات العسكرية التركية.....**20**

المبحث الثاني: النظام السياسي في تركيا وعلاقة الدين بالدولة.....**23**

المطلب الأول: المؤسسات الدستورية.....**23**

الفرع الأول: السلطة التشريعية.....**23**

الفرع الثاني: السلطة التنفيذية.....**24**

الفرع الثالث: السلطة القضائية.....**25**

المطلب الثاني: الإسلام والعلمانية في تركيا.....**29**

الفرع الأول: الفترة العثمانية.....**29**

الفرع الثاني: العلمانية عند أتاتورك.....**33**

الفرع الثالث: التعددية الحزبية وعودة الإسلام إلى الحياة العامة.....**36**

الفصل الثاني:

تركيا ضمن سياسة توسيع الاتحاد الأوروبي

المبحث الأول: الاتحاد الأوروبي وسياسة التوسيع.....49

المطلب الأول: تطور الاتحاد الأوروبي.....50

المطلب الثاني: معايير الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.....54

الفرع الأول: شروط الانضمام.....54

الفرع الثاني: مسار الانضمام.....56

المطلب الثالث: الدين والاتحاد الأوروبي.....58

الفرع الأول: قيم الاتحاد الأوروبي.....58

الفرع الثاني: العلمانية والعلاقة بين الكنيسة والدولة في دول الاتحاد الأوروبي.....60

المبحث الثاني: موقع تركيا من سياسة التوسيع.....62

المطلب الأول: مسار تركيا نحو الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.....63

المطلب الثاني: حساب المكسب والخسارة لكل من تركيا والاتحاد الأوروبي.....69

الفرع الأول: ما الذي ستكسبه تركيا من انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي؟.....69

الفرع الثاني: انعكاسات انضمام تركيا على الاتحاد الأوروبي.....70

المبحث الثالث: المواقف الأوروبية من انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي.....74

المطلب الأول: مواقف أهم الحكومات الأوروبية.....75

الفرع الأول: الحكومات المعارضة لعضوية تركيا.....75

الفرع الثاني: الحكومات المؤيدة لعضوية تركيا.....78

المطلب الثاني: موقف الرأي العام الأوروبي.....80

الفصل الثالث:

أثر الهوية الأوروبية على العلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي

المبحث الأول: الهوية الأوروبية.....86

المطلب الأول: الجذور التاريخية للهوية الأوروبية.....87

الفرع الأول: الحضارة الإغريقية.....87

الفرع الثاني: الإمبراطورية الرومانية.....89

الفرع الثالث: المسيحية في أوروبا ومواجهتها للإسلام.....91

الفرع الرابع: عصر التنوير.....94

المطلب الثاني:محددات تشكيل الهوية الأوروبية.....96

الفرع الأول: دور الدين في تشكيل الهوية الأوروبي.....96

الفرع الثاني: دور الآخر في تشكيل الهوية الأوروبية.....97

الفرع الثالث: دور الاتحاد الأوروبي في تعزيز الشعور بالهوية الأوروبية.....99

المطلب الثالث: محاولات لتعريف الأوروبية.....101

المبحث الثاني: التصور الأوروبي لعضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي من منظور الهوية الأوروبية.....103

المطلب الأول:البناء التاريخي للهوية الأوروبية في مواجهة "الآخر التركي".....105

المطلب الثاني: أوروبية تركيا.....109

المبحث الثالث:الإسلام والهوية الأوروبية: من منظور "صدام الحضارات".....113

خـاتـمـة.....122

قائمة المراجع.....124

الملاحق.....133